دراسات و بحوث مؤتمر

الإمام الحسين (عليه السلام)

(القسم الأول)

طهران

محرم الحرام ١٤٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة مقالات

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام

القسم الأوّل

طهران

محرم الحرام ١٤٢٤ هـ . ق / اسفند ١٣٨١ هـ . ش

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الكتاب: دراسات و بحوث مؤتمر الإمام الحسين (عليه السلام) (القسم الأوّل)

تأليف: مجموعة من الباحثين

الناشر: مركز الطباعة و النشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الطبعة: الاولى

الكمية: ٢٠٠٠

سنة الطبع: ١٤٢٤ هـ . ق ٢٠٠٣ م

شابك: ٩٦٤-٧٧٥٦-٣٣-X ISBN: 964-7756-33-X

«حقوق الطبع محفوظة»

تهران ـ ص.ب. ١٤١٥٥-٧٣٦٨

هاتف: ٨٩٠٧٢٨٩ (٠٠٩٨٢١) ـ فاكس: ٨٨٩٣٠٦١ (٠٠٩٨٢١)

فهرس اجمالي

المقدمة
١ـ الولاء والبراءة في القرآن الكريم ١
٢ـ الولاء والبراءة ٤٣
٣ـ عزّ الأمة الإسلامية وكرامتها في أهداف الثورة الحسينية ٩٣
٤ـ الثوابت الأربعة في ثورة الإمام الحسين ١٢٣
٥ـ خُطب الحسين في كربلاء ١٤١
٦ـ تأمّلات في الخطاب الحسيني ١٥٣
٧ـ الاستماتة والجزع من الموت في ساحة عاشوراء ١٩٧
٨ـ سنّة التعميم في القرآن الكريم وتطبيقاتها في ثورة الإمام الحسين ٢٢١
٩ـ وارث الأنبياء ٢٥٧
١٠ـ يوم عاشوراء في اللغة والتاريخ والحديث ٢٧٣
١١ـ دراسة حول صوم يوم عاشوراء ٢٨٧
١٢ـ تبديل الاحرام الى العمرة بين الواقع والخيال ٣١١
١٣ـ عرض وتلخيص لكتاب «اللؤلؤ والمرجان» في شروط خطباء المنبر الحسيني ٣٢٣
الفهرس التفصيلي ٣٦١

على مدى الدهر في شعارات ثورته ومنطلقات نهضته الإلهية، فهو القائل: «إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد(صلى الله عليه وآله)»[1]، وهو القائل: «ما الإمام إلّا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله»[2]، وهو القائل: «رضا الله رضانا أهل البيت(عليهم السلام)»[3]، وهو القائل أيضاً: «نحن أهل بيت محمد(صلى الله عليه وآله) أولى بولاية هذا الأمر»[4]، وهو القائل أيضاً: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنّة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله»[5]، والقائل أيضاً: «إنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً»[6]، والقائل أيضاً: «لا أفلح قومٌ اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق»[7]، والقائل أيضاً: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ فرار العبيد»[8]، والقائل أيضاً: «هيهات منّا الذلّة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون»[9] وغيرها كثير ممّا زخرت بها كتب الحديث وتناقلتها رواته من مختلف المذاهب الإسلامية، فكل ملحمة الطف إلهية، فأيّامها أيام الله الخالدات وكلمات

(١) مقتل العوالم: ٥٤، ومقتل الخوارزمي: ١/١٨٨.
(٢) تاريخ الطبري: ٣/٢٧٨، والأخبار الطوال: ٢٢٨.
(٣) اللهوف، ٣٣، ومثير الأحزان لابن نما: ٢٠.
(٤) ارشاد المفيد: ٢٠٧، وابن شهرآشوب في المناقب: ٢/١٩٣.
(٥) تاريخ الطبري: ٣/٣٠٧.
(٦) تاريخ الطبري: ٣/٣٠٧، والعقد الفريد: ٢/٣١٢ وغيرها.
(٧) بحار الأنوار: ١٠/١٨٩، ومقتل العوالم: ٧٦.
(٨) تاريخ الطبري: ٣/٣١٩.
(٩) تاريخ ابن عساكر: ٤/٣٣٤، ومقتل الخوارزمي: ٢/٧ وغيرها.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إنّ للإمام الحسين عليه السلام موقعاً رسالياً في صميم حركة الأنبياء والأولياء تميّز به عن سائر أئمة أهل البيت عليهم السلام، وجعل منه حقيقة خالدةً وضميراً حيّاً لكلّ مظلوم يصحر بظلامته عبر تاريخ البشرية، وصرخة حق تدوّي في وجه الظالمين الى يوم الدين، وليس جزافاً أن تكون طبيعة الرعاية النبوية ومستواها متميّزة للإمام الحسين عليه السلام التي نجدها صريحة عبر هذا العدد الكبير من النصوص والروايات التي تنقلها لنا أُمهات الكتب الحديثية لكافة المذاهب والفرق الإسلامية في حقّه عليه السلام، وليس هذا إلّا من أجل أنّ هناك دوراً رسالياً جوهرياً ومقاماً إلهياً خاصّاً أراده الله سبحانه وتعالى ورسوله الصادق الأمين لهذا الإمام الوتر لكي يكون ثأر الله القائم حتى يرث الأرض عباد الله الصالحون. وتتكامل به عليه السلام وبنهضته الإلهية الكبرى شروط الوعي العقائدي للأُمة الإسلامية ويتعاظم اندكاكها بالرسالة بقيادة أهل بيت النبوة والعصمة عليهم السلام لتنطلق تحت ولايتهم بإرادة صلبة ثائرة وبعزم أُولي العزم نحو إعلاء كلمة الله في الأرض ليكون الدين كلّه لله وحده لا شريك له.

ونجد هذه الحقيقة قد جسّدها الإمام الحسين الثائر عليه السلام لأجيال الأُمة

إمامها كلمات الله الخالدات، فهي خالدة بالكلمات وخالدة بالتضحيات وخالدة بإمامها وأهل بيته وأصحابه الشهداء.

ومن هنا نفهم السرّ في مدى الأثر الجوهري لملحمة الطف وكلمات الإمام الحسين عليه السلام على نهج الإمام الخميني في نهضته وثورته التي جلّلها بالإنتصار المتواصل الى يومنا هذا، وكأنّه كان واحدةً من تلك الصرخات التي أطلقها الإمام الحسين عليه السلام في الثورة بوجه الظالمين والمستكبرين، ولهذا يؤكّد الإمام الخميني على إمتداد حركته وثورته وقيادته للأُمة على احياء الشعائر الحسينية واعلان الولاء للإمام الحسين عليه السلام وفي الوقت نفسه يؤكد على اعلان البراءة من أعداء الإمام الحسين عليه السلام من ظالمي آل محمد صلى الله عليه وآله، وكل الظالمين على مدى الأجيال والعصور. وفي ذلك استحضارٌ دائم للثورة الحسينية وأهدافها وتقويم دائم للواقع على أساس معادلة الحق والباطل ومصاديقها في كلّ عصر. فانظروا الى ما جاء في وصية الإمام الراحل للأُمة الإسلامية: «أوصيكم أن لا تغفلوا حتى للحظة واحدة عن إقامة شعائر مراسم العزاء للأئمة الأطهار، لا سيّما سيّد المظلومين ورائد الشهداء أبي عبدالله ـ صلوات الله الوافرة وصلوات أنبيائه وملائكته الصالحين على روحه الملحمية العظيمة ـ، واعلموا أنّ تأكيدات الأئمة عليهم السلام على احياء هذه الملحمة التاريخية الإسلامية وأوامرهم بادامة اللعن على ظالمي آل البيت نابعة من كونها تمثل كلّ الصرخات الأبيّة الشجاعة بوجه الظالمين على مدى التاريخ منذ الأزل الى الأبد، واعلموا بأنّ اللعن الدائم على بني أُمية ـ لعنة الله عليهم ـ يمثل ـ ورغم انقراضهم وورودهم جهنم وبئس الورد المورود ـ صرخة اللعن والرفض لظالمي

العالم، ففي إحياء هذه الصرخة إبادة للظلم»[1].

ومن هذا المنطلق جاء اعلان قائد الأمة الإسلامية وولي أمرها آية الله العظمى السيد علي الخامنئي(دام ظله) في خطبته الشهيرة في رحاب مرقد الإمام الرضا(ع) بأن يكون هذا العام نموذجاً لعام العزة والكرامة الحسينية.

ولذا وجد المجمع العالمي لأهل البيت(ع) أنه معنيٌّ في أن يكون سهماً في تجسيد هذا الإعلان والاستجابة له عن طريق إقامة ملتقى فكري ثقافي تحت عنوان: (ملتقى الإمام الحسين(ع))، فاستكتب لأجل ذلك الكثير من المفكرين والمحققين والعلماء والمثقفين ليقدموا أبحاثهم ودراساتهم ومقالاتهم في ذلك. فكانت الاستجابة رغم قصر المدة وقلّة الإمكانات هي وصول مجموعة من المقالات والأبحاث العلمية باللغة العربية، وقد انتخبت «اللجنة العلمية المشرفة على الملتقى الفكري» (٢٥) مقالة وبحثاً علمياً منها لإعدادها ونشرها على شكل كتاب جامع لها في جزئين لتيسيرها بين يدي طلّاب المعرفة والفكر من محبي أهل البيت(ع) وعشّاق الإمام الحسين(ع) واتباع مدرسته الثورية الرائدة ليزداد الحق سطوعاً وليزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً.

وهنا لابدّ لنا من تقديم جزيل شكرنا ووافر عرفاننا للذين استجابوا لنا من العلماء والمحققين والكتّاب الكرام فقدّموا أبحاثهم ومقالاتهم انطلاقاً من شعورهم بالمسؤولية الرسالية الملقاة على عاتق أهل الفكر

---

(١) الوصيّة الإلهية السياسيّة لإمام الأمة الراحل(قده)، الترجمة العربية.

سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾[١]

ب - ﴿.. وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً﴾[٢]

ج - ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾[٣]

د - ﴿قل أطيعوا الله والرسول...﴾[٤]

هـ - ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلّكم تُرحمون﴾[٥]

و - ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم...﴾[٦]

ز - ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول...﴾[٧]

وكما أنّ الولاء لله يتطلّب الطاعة لله وللرسول والانقياد والتسليم، فإنّه يتطلّب كذلك رفض الطاعة لغير الله.

قال تعالى: ﴿فاتقوا الله وأطيعون، ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾[٨] .

٢ - الحب والإخلاص لله سبحانه وتعالى:

فقال تعالى:

---

(١) سورة النور: ٥١.
(٢) سورة الحجرات: ١٤.
(٣) سورة النساء: ١٣.
(٤) سورة آل عمران: ٣٢
(٥) سورة آل عمران: ١٣٢.
(٦) سورة النساء: ٥٩.
(٧) سورة النور: ٥٤.
(٨) سورة الشعراء: ١٥٠ – ١٥١

الولاء والبـراءة
في القرآن الكريم

الشيخ محمد مهدي الآصفي

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة

والعلم في إبراز حقائق نهضة الإمام الحسين عليه السلام وأهدافها الإسلامية الكبرى، آملين منهم دوام الصلة ومزيد التعاون مع المجمع لنشر فضائل أهل البيت عليهم السلام، واحياء أمرهم إذ به احياءٌ للدين في الأُمة وإقامةٌ لاركانه في الأرض والحمدلله رب العالمين.

السيد محسن الموسوي

ادارة ملتقى الإمام الحسين عليه السلام

كان نوع ذلك الولاء الآخر - غير ولاء الله - لابدّ وأن يقع في مقابل ولاء الله لا محالة، وأنّ أكثر مصاديق الشرك الذي كان يحاربه الأنبياء عليهم السلام والذي ينقله القرآن الكريم هي من شرك الولاء، وليست من الشرك في الخالق.

فقليل من الناس مَن يشرك بالله، ويعتقد بوجود إله خالق غيره لهذا الكون، ولكنّ الكثير منهم مَن يشرك بالله في الولاء فيشرك «غير الله» و «لغير الله» في ولائه، ويوزّع ولاءه وطاعته «لله» و «لغير الله» معاً، فيعطي للطاغوت حظّاً من ولائه ونصيباً من طاعته، وفي الوقت الذي يجب أن لا يكون للطاغوت أيّ شيء منها، ويجب أن يكون الولاء والطاعة خالصَيْن لله تعالى وحده.

ومن هنا، فإنّ الطاغوت عندما يعمل على تثبيت حالة محوريته في حياة الناس، فإنّه إنّما يعلن - بذلك - الحرب على الله سبحانه وتعالى، لأنّه يكون حينئذ قد تجاوز حدوده سبحانه، وتعدّى على حقّ الله وولايته على جميع الموجودات بما فيها الإنسان.. محاولاً انتزاع البشرية من دائرة الولاء لله تعالى وقطع صلتها به سبحانه.

وقد كان صراع «التوحيد» و «الشرك» في حياة الأنبياء عليهم السلام في هذا الأمر بالذات هو من أغلب الحالات، فقد كان الأنبياء عليهم السلام يعملون على توحيد الولاء، وتوحيد محور الولاية في حياة الإنسان.. حيث كانوا عليهم السلام يدعون البشرية إلى «ولاء الله وطاعته» ويأمرونهم برفض كلّ ولاء آخر غير الولاء له سبحانه.

ويشكّل صراع «الحق» و «الباطل» في تاريخ الإنسان صوراً مختلفة لمعركة الولاء التي هي أعمق بكثير من كونها صراعاً سياسياً أو عسكرياً، لأنّها معركة عقائدية وحضارية في حقيقة الحال، وحتّى إذا سمّينا هذا الصراع بـ«الصراع السياسي» فهو نمط خاص من أنماط الصراع السياسي، وليس من قبيل ما ألفه الناس من الحروب السياسية.

فالمعركة هنا حول مسألة واحدة، وهي: حق الحاكمية في حياة الإنسان.

وحق الحاكمية حقّ واحد لا يتجزأ ولا يتعدد، فأمّا أن يكون «لله تعالى» فلا يقبل شريكاً ولا نداً، وأمّا أن يكون «لغير الله» فيكون من الشرك بالله سبحانه.

وتنشطر البشرية حول هذه المسألة إلى شطرين:

أحدهما: يوحّد الله تعالى بالولاء والطاعة، ولا يقبل لله سبحانه أيّ شريك في الولاية والحاكمية.

والآخر: يقبل في الحياة محاور أُخرى للولاية وينقاد لها: فقد يكون الولاء للهوى، وقد يكون للطاغوت.

ويُشكّل الصراع بين هذين الشطرين من البشرية كبرى قضايا الإنسان، وأهمّ أحداث تاريخ حياة الإنسان على وجه الأرض.

وإذا جاز للإنسان أن يقف موقف اللاّمبالاة والمتفرج من كثير من القضايا، فلا يجوز له أن يقف موقف المتفرج من قضية الولاء، فهي مسألة جدّية وحقيقية في حياة الإنسان، تتطلب منه موقفاً محدّداً

وصريحاً، وتتطلب منه ثباتاً على الموقف مهما كلّفه ذلك من جهد وعمل ومهما احتاج إلى ضرائب وتضحيات.

فليست مسألة الولاء في حياة الإنسان مسألة مساومة ولا مجاملة، وإنّما هي عنوان شخصية الإنسان وقيمته؛ حيث إنّ الإنسان الذي ليس له ولاء معيّن ومحور ثابت يرتبط به في حياته، فإنّه لا يزيد على أن يكون ريشة في مهبّ الرياح السياسية والأهواء الذاتية والمتغيرات الاجتماعية.

والولاء لله هو الولاء الوحيد الذي يحدّد للإنسان معالم شخصيته ومسار تحرّكه، وهو الذي يعطي للإنسان قيمته الحقيقية التي تتمثل في خلافته لله تعالى على وجه الأرض، وهو الذي يحدّد له الموقف والمنطلق والمسار والغاية.

والمسألة التي تكون بهذه الدرجة من الأهمية في حياة الإنسان لا يجوز للإنسان أن يتناولها بضعف، ويتعامل معها بتسامح وتساهل ومرونة؛ بل عليه أن يأخذها بقوّة، ويكون من أمرها واضحاً وصريحاً وجاداً وقوياً!

كيف يكون الولاء؟

ويتجسّد الولاء لله سبحانه وتعالى عبر الارتباط به سبحانه من خلال:

١ - الطاعة والانقياد والتسليم:

فقال تعالى:

أ - ﴿إنّما كان قولَ المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

ليس الصراع من أجل استقطاب ولاء الناس بأمر طارئ أو جديد في حياة البشرية وتاريخها الطويل، وإنّما هو من أقدم أنماط الصراع إذ يتقابل فيه محوران:

الأول: المحور الرباني وما له من امتدادات في حياة الإنسان.

الثاني: محور الطاغوت؛ حيث يحاول أن يستقطب ولاء الناس لنفسه، ويعمل على انتزاعه منهم بأساليب متعددة.

ولكلّ طاغوت محوره الخاص به، ولكنّ هذه المحاور جميعها تقع في قبال المحور الرباني للولاية في حياة الإنسان.

ومما يلفت النظر بقوة في زيارة الإمام الحسين عليه السلام المعروفة بـ «زيارة وارث» هي حالة الارتباط بالمحور الرباني للولاية، والانفصال عن كلّ المحاور التي يصطنعها الطاغوت من أجل استقطاب ولاء الناس لنفسه.

والولاء من مقولة التوحيد دائماً، فلا يقبل معه الشرك مطلقاً، وتوحيد الولاء من أهمّ مقولات التوحيد.

فليس للإنسان أن يحتفظ بولاء آخر إلى جانب ولاء الله تعالى، مهما

أ - ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتّى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[١].

ب - ﴿ومن الناس مَن يتّخذ من دون الله أنداداً يحبّونهم كحبّ الله والذين آمنوا أشدّ حُبّاً لله...﴾[٢].

٣ - النصرة لله ولرسوله وللمؤمنين:

فقال تعالى:

أ - ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم﴾[٣].

ب - ﴿ولينصرنّ الله مَن ينصره إنّ الله لقوي عزيز﴾[٤].

جـ ﴿... والذين آووا ونصروا أُولئك بعضهم أولياءُ بعض..﴾[٥].

د - ﴿..والذين آووا ونصروا أُولئك هم المؤمنون حقّاً...﴾[٦]

هـ - ﴿...فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أُنزل معه أُولئك هم المفلحون﴾[٧].

والولاء بهذا المعنى الشامل يقوم باستقطاب كلّ قدرات الإنسان

---

(١) سورة التوبة: ٢٤.

(٢) سورة البقرة: ١٦٥.

(٣) سورة محمد ﷺ: ٧.

(٤) سورة الحج: ٤٠.

(٥) سورة الأنفال: ٧٢.

(٦) سورة الأنفال: ٧٤.

(٧) سورة الأعراف: ١٥٧.

وإمكاناته ومواهبه وميوله حول محور واحد، ويؤدّي إلى توجيه كافّة أفعال الإنسان وتحرّكاته ورغباته في خدمة ذلك المحور... وبالتالي فإنّه - أيّ الولاء - يفرض هيمنة شاملة لهذا المحور على كلّ الكينونة الإنسانية، فينقذ الإنسان من التشتت والتمزق والضياع الذي يعاني منه كثير من الناس حيث تتوزعهم أُمور متباينة وعوامل مختلفة وجهات شتّى.

فأوّل ما يصنع توحيد الولاء في كيان الإنسان هو أنّه يجمع كلّ كيانه الداخلي والخارجي حول نقطة واحدة.

ثـم يوجّه - ثانياً - هذه المجموعة المنسجمة من الإمكانات والطاقات من ميول ورغبات وأفعال بإتجاه واحد، وهو الصراط المستقيم الذي يأمر به الله تعالى، فيتحوّل الإنسان حينئذ - من كائن ضعيف متشتت البال والأحوال ومتوزّع القوى والقدرات إلى كائن قويّ فاعل في الاتجاه الذي يسير فيه، لا تتنازعه العوامل المختلفة ولا يصيبه الضعف أو التردّد أو الوهن، ولا يعاني من الحيرة في العمل ولا يلابسه لبس أو غموض أو شك في التحرك.

فيحرّره - ثالثاً - من جميع المحاور المختلفة والعوامل المتباينة التي تهدّد باحتواء حياة الإنسان وجهده وحركته، كالأهواء والأنا والطاغوت والمال والمتاع.

ويمنحه - رابعاً - الانسجام التام بين الجوارح والجوانح، بين الظاهر والباطن، بين الخارج والداخل، إذ أنّ الولاء لا يفرض هيمنة قسرية على جوارح الإنسان وعمله وتحرّكه، وإنّما يمنح الإنسان الانسجام النفسي مع

الطاعة والإقبال والحبّ والرغبة؛ وذلك لأنّه يشكّل هيمنة كاملة على كلّ الكينونة الإنسانية، ويشكّل محوراً ثابتاً لكلّ اهتمامات الإنسان وتحركاته وجميع ميوله النفسية ورغباته.

ومن أهمّ خصائص هذه «الهيمنة» و «المحورية» هي أنّها لا تأتي عن حشر وإرغام وقسر، وإنّما تصدر عن انسجام نفسي كامل للإنسان مع هذا المحور، وانجذاب شامل نحوه، حيث إنّ حركة الجوارح يمكن أن تخضع للحشر والضغط، ولكنّ الميول والرغبات والحبّ والبغض لا يمكن أن تخضع للعوامل الخارجية القاهرة.

ولذلك، فإنّ حبّ الله والحب في الله هي من أهمّ عناصر الولاء ومقوّماته، حيث إنّه هو الذي يمنح الإنسان هذا الانسجام ما بين عمل جوارحه وتوجه جوانحه، وهو الذي يجعل طاعة الإنسان لله وانقياده له، وعبادته إياه تعالى تصدر عن رغبة وحبّ وشوق.

ضرورة الممارسة الفعلية للحاكمية:

وهناك مسألة أساسية في الولاء لابدّ أن نشير إليها لكي نفهم معنى الولاء، وندرك دوره وقيمته في حياة الإنسان المسلم.

فيجب أن نعرف بأنّ الممارسة الفعلية للحاكمية ضرورة لابدّ من وجودها في حياة الأُمة المسلمة، وأن حياة الأُمة وحركتها لا تنتظم من دون هذه الحاكمية والممارسة القيادية.

إذ أنّ الإسلام شريعة قائدة في حياة الإنسان، تتولى تنظيم المجتمع

وإدارة شؤونه وتوجيه الناس باتّجاه تحقيق أهداف الدعوة وغاياتها، ولا يمكن أن يتحقق شيء من ذلك من دون وجود ممارسة فعلية للقيادة والحاكمية في المجتمع المسلم، وهذه القيادة والحاكمية هي التي يسميها القرآن الكريم بـ«الإمامة» أو «الخلافة»، وهي ليست نفس الجانب التشريعي من هذا الدين، وإنّما هي شيء آخر يختلف عنه، حيث إنّ الطاعة فيما يبلغ الناس من أحكام الله وتشريعاته، إنّما هي طاعة لله تعالى، وأمّا الأنبياء ﷺ فهم مبلّغون لتلك الأحكام، ولا تمثل طاعة تلك الأحكام والتكاليف طاعة لهم ﷺ في حين أنّنا نرى بأنّ القرآن الكريم يصرّح بوجوب إطاعة الرسول ﷺ وإطاعة أُولي الأمر من بعد الرسول ﷺ كامتداد لطاعة الله، حيث قال تعالى:

﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم﴾.

فهذه الطاعة ليست هي طاعة الله في امتثال أحكامه والالتزام بالحلال والحرام، وإلاّ لما أمر الله بها وجعلها شيئاً مستقلاً يختلف عن طاعته تعالى، ولما كان هناك معنى لطاعة الرسول وأُولي الأمر.

فطاعة الرسول ﷺ وأُولي الأمر - إذن - هي غير طاعة الله - وإن كانت من امتدادها، وأنّها تكون في دائرة الفراغ التي تتركه الشريعة السمحاء لأولياء أُمور المسلمين فيما تتطلبه مصلحة الإسلام والأُمة المسلمة، مما لا يمكن ضبطها في الشريعة بأحكام ثابتة.

ومن أجل أن يمارس هذا الدين دوره القيادي في حياة الإنسان، فإنّه لابدّ من وجود ممارسة فعلية للقيادة والحاكمية في حياة الناس.

ولكي يؤدّي الحاكم مهماته الصعبة ويتمكن من مواجهة التحديات وإزالة العقبات والاستمرار بالأُمة في المسيرة الصعبة - مسيرة ذات الشوكة - فإنه:

١ - لابدّ وأن يكون موضع نصرة المؤمنين.

٢ - لابدّ وأن يكون موضع حبّ المؤمنين وتقديرهم واحترامهم.

حيث إنّ المهمات الكبيرة التي يجب على الحاكم الإسلامي أنْ يحققها تتطلب انسجاماً كاملاً وتفاهماً تاماً بين الأُمة والإمام، فمن دون أن تسود المحبّة والمودّة والانسجام النفسي بين الرعية والحاكم، فإن الحاكم لا يستطيع أن يوجّه المسيرة ويواجه العقبات.

معنى البراءة:

وليس ثمة شكّ في أنّ الطاغوت سوف يعمل بكلّ جهده لعرقلة مسيرة هذا الدين وتطويقه وتلغيم دربه، وسوف يستنفذ كلّ إمكاناته في الدس في هذا الدين والدس في هذه الأُمة، لكي تفقد الأُمة أصالتها وصلابتها ومناعتها الفكرية وتتحوّل من أُمة رسالية تريد أن تؤدي رسالتها، إلى أُمّة تريد أن تعيش حياة هادئة وديعة بعيدة عن هموم الرسالة ومتاعب الدعوة إليها.

ولكي تستطيع الأُمة أن تحفظ مناعتها وأصالتها في مواجهة المحاولات التي يبذلها أعداؤها لتمييع أصالتها وحرفها عن مسيرتها القويمة ومصادرة أهدافها ورسالاتها؛ لابدّ وأن تتمتع بمناعة قويّة ضدّ

أي عنصر دخيل أو فكر غير أصيل.

وهذه المناعة هي الضمان الوحيد الذي يحمي الأُمّة من الانصهار والميوعة والانحراف.

ولا تتحقّق هذه المناعة أبداً، ما لم تكن المفاصلة بين المسلمين والكفار كاملة، وما لم يكن الابتعاد عن أئمة الشرك ومنطقة نفوذه وتأثيره ابتعاداً تاماً.

إذ أنّ هذه المفاصلة كفيلة بمصادرة كلّ فرص التأثير السلبي على هذه الأُمّة، وتجعل الأُمة في حصانة كاملة من كلّ التأثيرات الانحرافية التي يريدها أعداء الإسلام بها، وتحمي أصالة الأُمة وعقيدتها من الانهيار، وتمنع رشدها الفكري ورسالتها المتينة من الانصهار والذوبان.

وهذه المفاصلة بين المسلمين وبين المشركين وأئمة الكفر هي التي يصطلح عليها القرآن الكريم بـ«البراءة».

﴿براءةٌ من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾[١].

﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أنّ الله بريء من المشركين ورسولُه﴾[٢].

ومن الطبيعي أن البراءة تجب في حالة مواجهة نوايا عدوانية من الطرف الآخر، وفي حالة تحصين الأُمّة ضد التأثيرات السلبية.

ولكي تستطيع الأُمة أن تواجه العدوان والتحديات من قبل أعدائها،

(١) سورة التوبة: ١.
(٢) سورة التوبة: ٣.

وتتمكّن من اجتياز العقبات، لابدّ لها من التماسك والترابط، ولابدّ لها من أن تكون كتلة متراصّة وصفّاً مرصوصاً كما يقول القرآن الكريم.

الولي والإمام:

لمّا كانت رسالة هذا الدين (الإسلام) رسالة عالمية، وكانت مهمّة الأُمّة هي إبلاغ هذه الرسالة إلى البشرية جميعاً، وتحرير الإنسان من الطاغوت وتعبيده لله الواحد الأحد، فإنّه - إذن - دين ذو طبيعة حركية وجهادية، وهذا يتطلب من الأُمة حالتين أساسيتين في الداخل والخارج، وهما:

١ - التماسك والترابط من الداخل:

فقال تعالى:

أ - **﴿... والذين آووا ونصروا أُولئك بعضهم أولياء بعض...﴾**[١].

ب - **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض...﴾**[٢].

وفي الحديث:

أ - **«مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»**[٣]

ب - **(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً)**

---

(١) سورة الأنفال: ٧٢.

(٢) سورة التوبة: ٧١.

(٣) رواهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله مسلم في صحيحه: ٨ / ٢٠ - دار الفكر.

ج - (تواصلوا وتباروا وتراحموا وكونوا إخوة بررة كما أمركم الله)[١]

فهذا كله من أجل أن تكون الأُمة جسماً متضامن الأعضاء والأطراف.

٢ - المفاصلة الكاملة مع أعداء الله ورسوله الذين يتربصون بهذا الدين سوءاً وينتظرون لهذه الأُمة إبادة.

فقال تعالى:

أ - ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين...﴾[٢]

ب - ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين...﴾[٣]

ج - ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء. بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنّه منهم...﴾[٤]

د - ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الإيمان...﴾[٥]

وهذه هي حالة البراءة من أعداء الله تعالى وأعداء الرسول ﷺ وأعداء الإسلام، وحالة تحريم موالاتهم ومودتهم والتحبب اليهم.

ويتطلّب ذلك الترابط القويّ من الداخل، وهذه المفاصلة التامة من الخارج، وجود قيادة مركزية، تتولى قيادة مسيرة الأُمة لمواجهة

(١) بحار الأنوار: ٧٤ / ٣٩٩ عن الإمام الصادق عليه السلام.
(٢) سورة آل عمران: ٢٨
(٣) سورة النساء: ١٤٤.
(٤) سورة المائدة: ٥١.
(٥) سورة التوبة: ٢٣.

التحديات واجتياز العقبات، فتعمل على ربط هذه الأُمة بعضها ببعض في كتلة مرصوصة واحدة من الداخل، وفصلها عن أعدائها الذين يريدون بها سوءاً من الخارج[1] ثم تقوم بتوجيه هذه الكتلة المجتمعة باتجاه تحقيق الأهداف الكبرى لهذه الدعوة على وجه الأرض كلّها.

وهذه القيادة التي لابدّ من وجودها في كيان هذه الأُمة، وهذا الحاكم الذي يمتلك من الأُمة الطاعة والنصرة والحبّ (العناصر الثلاثة للولاء)، هو الذي يصطلح عليه القرآن الكريم اسم الإمام أو الخليفة أو الولي؛ حيث إنّه يتولّى أُمور المسلمين ويوجّههم إلى حيث يريد الله تعالى ويرضى.

الولي امتداد للمحور الإلهي:

إلّا أن هذا المحور (الولي) الذي يستقطب الطاعة والتأييد والنصر والحبّ من الأُمة لا يشكل محوراً آخر في قبال المحور الربّاني للولاية في هذا الكون، ولن يكون محوراً جديداً غير هذا المحور الإلهي؛ إذ أن أيّ محور آخر لولاية في قبال المحور الإلهي هو طاغوت، تجب مكافحته ومحاربته.

فيكون الولي -إذن- امتداداً لهذا المحور الرباني ليس إلاّ، وتجب طاعته ونصره وحبه امتداداً لوجوب طاعة الله ونصره وحبه.

فلن يكون الولي -إذن- محوراً جديداً، وإنّما هو امتداد للمحور

(١) راجع بحث (الولاية) بقلم سماحة السيد علي الخامنئي.

الرباني للولاية على العباد، وذلك لأنّ الولاية من أهمّ مقولات التوحيد: فلا يمكن أن تتعدد محاور الولاء أبداً.

والولاء أمّا أن يكون أو لا يكون.

فإذا كان الولاء لله فلابدّ وأن يكون بوجهه الإيجابي والسلبي (الذي هو رفض الولاء لغير الله) ولا تقلّ قيمة الوجه السلبي عن قيمة الوجه الإيجابي.

فلا يتمّ الولاء لله تعالى إلّا برفض أيّ ولاء آخر مع ولاء الله فضلاً عن أن يكون من دونه، وأنّ قبول أيّ ولاء آخر مع ولاء الله سبحانه - أو من دونه - يعني الشرك بالله تعالى.

ضرورة توحيد الولاء:

وبناءً على ما تقدم فإنّ مسألة توحيد الولاء -إذن- من أهمّ خصائص الولاء، وقد سبق وأن أشرنا إلى أن أكثر مصاديق الشرك في القرآن الكريم هي شرك في الولاء وليست شركاً في الخالق.

قال تعالى: **﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً...﴾**[1].

حيث يضرب الله سبحانه لنا مثلاً في «التوحيد» و «الشرك»، برجلين:

---

(١) سورة الزمر: ٢٩.

أحدهما: يتنازعه شركاء متشاكسون، لكلّ واحد منهم ولاية عليه وسلطان، فهؤلاء الشركاء مختلفون فيما بينهم، وهو موزّع بينهم.

والآخر: قد أسلم أمره إلى رجل واحد فقط «ورجلاً سلماً لرجل» يطيعه في كلّ شيء وينقاد له في كلّ أمر ويتقبّل ولايته وحاكميته في كلّ شأن.

وهكذا الأمر بالنسبة للتوحيد والشرك.

فالموحّدون من الناس كالرجل الثاني الذي أسلم أمره لرجل واحد، فهو في راحة من أمره.

والمشركون من الناس كالرجل الأوّل الذي يتنازعه شركاء متشاكسون.

وواضح من هذا المثال أنّ المقصود بالشرك والتوحيد هو: الشرك في الولاء والتوحيد في الولاء.

وقال تعالى عن لسان يوسف عليه السلام:

﴿يا صاحبي السجن ءأرباب متفرّقون خير أم الله الواحد القهّار﴾[1].

إنّ صاحبي يوسف عليه السلام في السجن لم يكونا ينكران الله الواحد القهّار، وإنّما كانا يشركان أرباباً متفرّقين مع الله في الولاية والحاكمية على حياتهم فأنكر يوسف عليه السلام عدم تسليم أمورهما كلّها لله الواحد القهّار.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في أسباب البعثة:

---

(١) سورة يوسف: ٣٩.

«بعث الله محمداً ﷺ ليُخرج عباده من عبادة عباده إلى عبادته، ومن عهود عباده إلى عهوده، ومن طاعة عباده إلى طاعته، ومن ولاية عباده إلى ولايته»[١].

الله تعالى وحده هو مصدر الولاية والحاكمية والسلطان:

فالولاية – إذن – محور ثابت لا يتعدّد ولا يتجزّأ ولا يتغيّر.. وهي لله سبحانه وتعالى، ولكنّ الله سبحانه وتعالى يمنح هذه الولاية إلى مَن يشاء من عباده، وإلى مَن يرتضي من الناس.

فلن تكون ثمة ولاية – إذن – في قبال ولاية الله.

ولن تكون هناك أيّ ولاية – أبداً – بغير إذن الله، ولا حاكمية من دون أمره[٢].

حيث إنّ الولاية المشروعة في حياة الأُمّة، لمّا كانت امتداداً لولاية الله، فإنّها لابدّ وأن تكون بإذن الله وأمره.

وما لم يأذن الله لأحد من الناس بأن يلي أمر عباده لن يكون له الحقّ في أن يتولّى شيئاً من أُمور الأُمّة.

(١) الوافي: ٣ / ٢٢.

(٢) تشكل ولاية الفقيه كما نفهم من الروايات والنصوص الشرعية – منصب النيابة عن «وليّ الأمر»، وليس هو نفس منصب «ولاية الأمر».
حيث إن «وليّ الأمر» في عصرنا الحالي هو الإمام الحجة(عج)، وأمّا الفقهاء فهم نوّابه في ولاية الأمر.
وبذلك فإن الأمر بالنسبة للوليّ الفقيه ومسألة انتخابه واختياره من قبل الأُمّة – بعد إحراز توفّر الشروط فيه – لا يكون نقضاً للأصل الذي ذكرناه هنا.

وبمراجعة القرآن الكريم نجد هذه الحقيقة واضحة فيما يحكي الله تعالى لنا من تنصيب عباد له أولياء وأئمة وخلفاء على الناس، وأنّه لم تتمّ لهم إمامة ولا ولاية على الأُمّة لولا أنّ الله تعالى قد خصّهم بذلك وأناط إليهم هذا الأمر.

ففي قصّة إبراهيم عليه السلام، يقول تعالى:

﴿قال إنّي جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾[(١)]

والإمامة - هنا - بمعنى الولاية.. فقد جعله الله تعالى إماماً بعد أن كان نبيّاً.

وفي قصّة داود عليه السلام، يقول تعالى:

﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق..﴾[(٢)]

والخلافة هنا بقرينة قوله تعالى: ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ تعني الولاية والحاكمية.

ويقول تعالى عن ذرية إبراهيم عليه السلام لمّا نجّاه الله تعالى من القوم الظالمين:

﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾[(٣)]

ولا نريد - هنا - أن نسهب في هذا القول، فله مجاله الخاص في

---

(١) سورة البقرة: ١٢٤.

(٢) سورة ص: ٢٦.

(٣) سورة الأنبياء: ٧٢ - ٧٣.

البحث، وإنّما نريد – فقط – أن نشير إشارة سريعة إلى أنّ مصدر الحاكمية والسلطان في حياة الإنسان هو الله تعالى وليس الأُمّة – كما تذهب الاتجاهات الديمقراطية إلى ذلك – وليس لأحد من دون إذن الله تعالى أن يتولّى أمراً من أُمور المسلمين، كما أن الله تعالى لم يفوض الأُمّة بهذه الصلاحية في اختيار مَن تراه هي أهلاً للولاية والأُمة الإمامة.

فالأصل في الأمر هو أنّ الله سبحانه وتعالى هو مصدر السلطة والحاكمية في حياة الناس، وليس هناك في النصوص الشرعية ما يشير إلى أنّ الله عزّ وجلّ قد فوّض الأُمة بهذا الأمر.

فولاية الله تعالى – في حياة الناس لا يقتصر أمرها – إذن – على نفوذ الأحكام الشرعية المحدّدة من قبل الله تعالى في حقّ عباده، وإنّما تعني الممارسة الفعلية للحاكمية والأمر والنهي في حياة الإنسان من خلال أُولئك الذين اتّخذهم الله أولياء له، وجعلهم أئمة للبشر وخلفاء على الناس.

دور الولاية وأهميتها في حياة الأُمّة:

هناك بعض النصوص الإسلامية التي وردت في أهمية الولاية وقيمتها في حياة الأُمة، وموقعها في هذا الدين الحنيف، ومنها:

عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «بُني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية».[1]

(١) أُصول الكافي: ٢ / ١٨، وبحار الأنوار: ٦٨ / ٣٢٩.

وعن عجلان بن صالح قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام أوقفني على حدود الإيمان، فقال عليه السلام: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله والإقرار بما جاء من عند الله وصلاة الخمس وأداء الزكاة وصوم شهر رمضان وحجّ البيت وولاية ولينا وعداوة عدوّنا والدخول مع الصادقين.(١)

وعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ والولاية، قال زرارة (راوي الحديث) فقلت، وأيّ شيء من ذلك أفضل؟ قال عليه السلام: الولاية أفضل لأنّها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهنّ... ثم قال عليه السلام: ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء، ورضى الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته أنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿مَن يُطِع الرسول فقد أطاع الله ومَن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾(٢)، أمّا لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه، وتكون جميع أعماله بدلالته اليه ماكان له على الله حقّ في ثوابه، ولاكان من أهل الإيمان. ثم قال عليه السلام: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته)(٣)

وهذا الحديث يتوقّف الإنسان ليتأمّل فيه طويلاً، فمن قام ليله وصام نهاره، ولم يعرف ولاية الله ماكان له على الله حقّ في ثوابه، ولاكان من أهل الإيمان، وذلك لأنّ جوهر الدين ليس عبارة عن مجموعة تعليمات

(١) أصول الكافي: ٢ / ٨ وبحار الأنوار: ٦٨ / ٣٣٠.
(٢) سورة النساء: ٨٠.
(٣) أصول الكافي: ٢ / ١٨، وبحار الأنوار: ٦٨ / ٣٣٢ - ٣٣٣.

من العبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات. وإنّما هو الارتباط بالله ورسوله وأوليائه.

وعن طريق هذا الارتباط يتمّ للإنسان المؤمن تحديد معالم دينه.

وقد أمر الرسول ﷺ أمته من بعده بالارتباط بأهل بيته ﷺ بعد كتاب الله لتحديد معالم دينهم.

يقول رسول الله ﷺ: «**ألا أيّها الناس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين؛ أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه. ثم قال ﷺ: وأهل بيتي، أُذكركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي**»(١)

وعن طريق هذا الارتباط يتمّ تنظيم المجتمع وتحريك الأُمّة وتوجيهها وقيادتها باتجاه تحرير الإنسان من عبودية الهوى والطاغوت، وتعبيده لله الواحد الأحد وترسيخ الدعوة إلى الله على وجه الأرض.

فمسألة الولاية - إذن - مسألة أساسية في هذا الدين، ولا يستطيع هذا الدين أن يؤدّي دوره الأساسي في ربط الإنسان بالله تعالى، وفي قيادة الإنسان إلى تحقيق أهداف هذا الدين في الحياة، وتعبيد الإنسان لله، وإزالة الحواجز التي يزرعها الطاغوت في طريق هذه الدعوة. من دون «الولاية».

---

(١) أخرج هذا الحديث أئمة الحديث بطرق كثيرة. وقد دوّن طرقها العلّامة الكهنوي مير حامد حسين في عدّة مجلّدات من كتابه القيّم العبقات. ونذكر هنا من جملة مصادر الحديث: صحيح مسلم: ٧ / ١٢٢ (دار الفكر - بيروت).

وهذه الحقيقة تقرّر حتمية الصراع بين محوري «الولاية» و «الطاغوت»، بشكل دائم في تاريخ الإنسان.

الإنسان بين محوري «الولاية» و«الطاغوت»:

إنّ هذين المحورين يعملان باتجاهين متعاكسين في حياة الإنسان، وكلّ منهما يعمل لاستقطاب ولاء الإنسان حول محوره، ويحاول فصل الإنسان عن المحور الآخر.

فرسالة محور الولاية هي:

١ - استقطاب ولاء الأُمّة حول محور الولاية، وإنقاذ الأُمة من التشتّت والضياع والاختلاف.

٢ - توجيه الأُمّة وتوحيد حركتها باتّجاه إسقاط محور الطاغوت وتحرير الإنسان من عبودية الطاغوت والهوى.

٣ - إسقاط الطاغوت وإزالة العقبات من أمام طريق الإنسان إلى الله تعالى.

٤ - ربط الإنسان بالله وتعبيده لله تعالى.

وفي قبال هذا المحور الرباني، يعمل محور الطاغوت على استقطاب ولاء الناس، ويحاول وضع الحواجز والعقبات في طريق الناس إلى الله تعالى، ويحاول استعباد الإنسان وإخراجه من النور إلى الظلمات.

وإلى هذا الصراع بين محوري «الولاية» و «الطاغوت» تشير الآية الكريمة: ﴿الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا

أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾[١].

ولمّا كانت هذه المهمّة التي يتولّى أمرها الطاغوت، لا تتحقق إلّا من خلال استضعاف الإنسان وإذلاله، فإن الطاغوت يتّبع أساليب كثيرة في استضعاف الإنسان وسلب ثقته من نفسه، وتعميته وتمييع أصالته وقوته الفكرية. وعند ذلك - فقط - يتيسر للطاغوت أن يكسب ولاء الإنسان وطاعته وانقياده.

يقول تعالى عن فرعون: **﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنّهم كانوا قوماً فاسقين﴾**[٢].

ومهما يكن من أمر فإنّ الصراع بين هذين المحورين: محور الولاية ومحور الطاغوت، هو من كبريات قضايا التاريخ، ومن أهمّ العوامل المحركة لعجلة التاريخ.

ومن خلال فهم هذا الصراع نستطيع أن نفهم الكثير من أحداث التاريخ وقضاياه الكبرى ومنعطفاته وثوابته ومتغيراته.

خصائص الصراع بين محوري «الولاية» و«الطاغوت»:

ومن خصائص هذا الصراع التاريخي، والمعركة الممتدّة بين محوري الولاية والطاغوت (الحق والباطل):

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٢) سورة الزخرف: ٥٤.

١ - إنّ المعركة بينهما معركة عقائدية في جوهرها، حيث إنّ جوهر الصراع بينهما يتمثل في صراع عقائدي قوي يدور حول «التوحيد» و «الشرك».

وقد وردت أكثر ألفاظ «الشرك» و «التوحيد» في القرآن الكريم، لتدلّ على الشرك في الولاء، والتوحيد في الولاء.

٢ - إنّها معركة حضارية وليست شخصية؛ لأنها تشكّل صداماً بين حضارتين، لكل منهما خصائصها التي تميزها عن الأخرى، وهما «الحضارة الربانية» و «الحضارة الجاهلية».

إذ أنّ الانتماء إلى أيّ من المحورين ليس - فقط - انتماءً سياسياً إلى محاور القوّة والسيادة، وإنّما هو - أيضاً - انتماء حضاري تستتبعه خصائص وميزات حضارية في أسلوب التفكير والأخلاق والعمل والعلاقة مع الله تعالى ومع النفس ومع الآخرين ومع الأشياء.

فالصراع بين هذين المحورين - إذن - يعني الصراع بين حضارتين بكلّ دقة.

٣ - إنّها معركة سياسية على مراكز القوى من المال والقوة العسكرية وثقة الناس ووسائل التوجيه والثقافة والإعلام.

فلا شك في أن كُلاً من هذين المحورين يعمل للاستيلاء على مراكز القوى في المجتمع، ويُعمِل استخدام هذه المراكز في تمكين محوره وخطّه.

٤ - إنّها معركة حتمية تدخل ضمن حتميات التاريخ الكبرى، ولا

يمكن للإنسان أن يتخلّص منها أو يتجنّب آثارها بأيّ حال من الأحوال.

حيث إنّ طبيعة تعاكس تلك المحاور والخطوط تستدعي حتمية هذه المعركة في كلّ زمان ومكان.

فمحور الهداية والولاية الإلهية يعمل على مصادرة كلّ مصالح الطاغوت ومراكزه ومواقعه ووجوده، ولكنّ الطاغوت لا يتخلّى عن دوره في الإفساد على وجه الأرض دون مقاومة، فيخوض هو وجنده صراعاً مريراً مع محور الولاية وجنوده.

ولذا، فإن أيّ عصر من العصور لم يخل من هذا الصراع؛ فهو قائم بين المحورين منذ أن خلق الله تعالى الإنسان - بهذه التركيبة الخاصة - على وجه الأرض، وحتى يومنا الحاضر.

وقد قرر القرآن الكريم حتمية هذا الصراع بين المحورين بشكل جازم، حيث قال تعالى:

﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان إنّ كيد الشيطان كان ضعيفا﴾[1].

٥ - إنّها معركة مصيرية قد تطول أو تدوم؛ حيث إنّ كلّ محور من المحورين يعمل على استئصال المحور الآخر من على وجه الأرض، وإنهائه وتصفية مراكزه ومواقعه ووجوده بشكل عام.

فهي ليست معركة من أجل أرض أو مياه وهي ليست معركة من

---

(١) سورة النساء: ٧٦ - ٧٧.

أجل حدود برية أو بحرية.. وهي ليست معركة من أجل بئر نفط أو منجم ذهب أو فضة.. وإنّما هي معركة من أجل الوجود والكيان.. ولا يرضى كل من الطرفين إلّا بتصفية الطرف الآخر تصفية كاملة.

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾(٢).

فهذه المعركة تستمر حتى الاستئصال الكامل للكفر والجاهلية والقضاء المبرم على الفتنة من على وجه الأرض، وانهاء حالة التمرّد على الله ورسوله انهاءً تاماً.

ولذا فانّ هذه المعركة معركة شرسة وحرباً ضارية لا يعرف التاريخ نظيراً لها في الشراسة والقسوة والحدّية.

ولذلك فإن التفكير في اللقاء والتفاهم والحلول النصفية مع الكفر والطاغوت، هو تفكير فيه كثير من الفجاجة والضعف والهزيمة النفسية التي تؤدي الى الخسران، إذ أن الهزيمة النفسية هي بداية كل هزيمة ميدانية، وأن بداية الهزيمة النفسية هو التفكير في امكان اللقاء والتفاهم مع الطاغوت وانهاء الصراع معه، والجلوس أمامه على موائد الصلح.

إنّ المعركة مع الطاغوت ـ إذن ـ معركة وجود وليست معركة حدود،

(١) البقرة: ١٢٠.

(٢) سورة الأنفال: ٣٩ ـ ٤٠.

وأنـــها لم تـــنشأ عـــن اخـــتلاف فـــي الاعـــتبار حـتى يـمكن التفاهم والتصافي والتعايش بسلام وتطبيع العلاقات.

٦ ـ أنها تتطلب من الأُمّة المؤمنة أن تقف مواقف واضحة وحدّية وحاسمة في مسألة اعلان «الولاء» و «البراءة».. اعلان الولاء لله ولرسوله ولأولياء أُمور المسلمين، واعلان البراءة من أعداء الله ورسوله وأوليائه.. وذلك لما مرّ من أنها معركة مصيرية صارمة وحرب دائمة ضارية.

فلابد ـ إذن ـ من موقف..

ولابد وأن يكون الموقف واضحاً وحدّياً ومعلناً...

فإنّ المعركة مع أئمة الكفر جدّ لا هزل فيها أو مراء..

وأنها لقائمة لا انتظار لها أو استدعاء...

وانّها لضارية لا تردد فيها أو استرخاء...

وانّها شرسة لا هدوء فيها أو اطفاء...

فلا يكفي أن يضمر الإنسان الحب لله ولرسوله ولأوليائه من دون أن يكون له موقف، ومن دون أن يعرف الناس عنه ذلك...

ولا يكفي أن يكون قلب الإنسان مع الله ورسوله وأوليائه ويكـون سيفه وحرابه عليهم[1].

---

(١) لقد التقى الإمام الحسين عليه السلام في مسيره الى العراق بمنزل الصفاح بالفرزدق بن غالب (الشاعر) فسأله عن خبر الناس خلفه.

فقال الفرزدق: قلوبهم معك والسيوف مع بني أُميّة والقضاء ينزل من السماء.

←

ولا يكفي أن يعطي المرء لله ورسوله وأوليائه بعضاً من نفسه وماله، ليعطي البعض الآخر منها للطاغوت.

ولا يكفي أن يعطي نفسه كلّها لله تعالى، ولكنّه يجامل الطاغوت أو يحتفظ لنفسه ببعض جسور المودة.

ذلك، لأنّ الولاء كلّ لا يتجزأ؛ فأمّا أن يكون كلّه لله تعالى، وأمّا أن لا يكون لله منه شيء، فإنّ الله غنيّ عن العالمين.

فالولاء - إذن - يتطلّب الموقف المحدّد الثابت، والإشهار بالموقف في مسألة «الانتماء» و «الانفصال».. في الحب والبغض، في المودة والمعاداة، في التولّي والتبري، في السلام والحرب.

٧ - إنّ «الولاء» و «البراءة» وجهان لحقيقة واحدة في هذه المعركة التاريخية وما تتطلبه من مواقف.

فلا ينفع «ولاء» من دون «براءة»، ولا يؤدّي الولاء دوره الفاعل والمؤثر في حياة الأُمّة ما لم يقترن بالبراءة من أعداء الله ورسوله وأوليائه.

فالموقف هذا لا يتكوّن من «الولاء» وحده، وإنّما له وجهان: وجه موجب ووجه سالب، سلم وحرب، رحمة وقسوة، انتماء وانفصال،

← فقال الحسين عليه السلام: صدقت، لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكل يوم هو في شأن إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وأن حال القضاء دون الرجاء فلم يعتدّ من كان الحقّ نيّته والتقوى سريرته.

(عن مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ١٨٢، نقلاً عن الطبري: ٢١٨/٦، وابن الأثير: ١٦/٤)

حبّ وبغض.

وما لم يجتمع هذان الوجهان في موقف الإنسان، فإنّ الموقف لن يكون موقفاً حقيقياً، وإنّما يكون شعبة من شعب النفاق وطوراً من أطوار المجاملة السياسية واللعب على الحبال.

قال تعالى: ﴿.. أشدّاء على الكفار رحماء بينهم﴾[1]

٨ - وكما أنّ محور الولاية هو مركز واحد وخطّ واحد وامتداد واحد على طول التاريخ، فإن محور الطاغوت - أيضاً - هو خط واحد وحضارة واحدة وامتداد واحد. ونحن لا نفرّق في الولاء بين أنبياء الله وأوليائه القريب منهم من عصرنا والبعيد منهم عن عصرنا، فكلّهم يحملون رسالة الله ويبلّغون دين الله، وآتاهم الله من لدنه النبوّة والإمامة والولاية على عباده، فنحن نواليهم جميعاً ونؤمن بما أنزل الله معهم، ولا نفرّق بين أحد منهم.

قال تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النبيون من ربّهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[2]

وقال سبحانه: ﴿آمن الرسول بما أُنزل اليه من ربّه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا

---

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) سورة البقرة: ١٣٦.

وإليك المصير﴾[1].

وكما نوالي أولياء الله جميعاً، يجبُ أن نتبرّأ من أعدائهم جميعاً.

وكما أن الولاء أمر واحد، فإن البراءة أمر واحد أيضاً.

فيجبُ أن نتبرّأ من فرعون ونمرود كما نتبرّأ من أبي جهل ويزيد، وكما نبرأ من طغاة عصرنا وجلاوزته.

وذلك، لأنّ نفس السبب الذي يدعونا للبراءة من طغاة عصرنا ويدفعنا للعنهم، يدعونا أيضاً للبراءة من فرعون ونمرود وأبي جهل ويزيد والحجّاج وقابيل، ويدفعنا للعنهم.

فلمّا كانت المعركة بين محوري «الحقّ» و «الباطل».. «الهدى» و «الضلال».. «الولاية» و «الطاغوت»، ليست معركة شخصية وإنّما هي معركة حضارية، وأنّ لكلّ من الجبهتين امتدادها التاريخي وجذورها الحضارية في أعماق الهدى أو الضلال، وأنّ المعركة في جوهرها هي معركة واحدة في كلّ مراحلها التاريخية، فإنّ الولاء يكون ولاءً واحداً، وتكون البراءة براءة واحدة: في كلّ مراحل المعركة وأزمنة الصراع.

واقعة الطف محكّ لمعدني «الولاء» و «البراءة»:

تعتبر وقعة كربلاء - منذ القدم - مسرحاً من أهمّ مسارح الولاء والبراءة؛ لأنّها وقعة متميزة من بين الكثير من أحداث التاريخ الكبرى،

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

ومشاهد الصراع بين الحق والباطل.

ولذلك، فإنّ ولاء المؤمنين وبراءتهم يتجلّى على صعيد قضية كربلاء أكثر من كثير من القضايا التي تستثير الولاء والبراءة.

ويتجسّد «الولاء» و «البراءة» في هذه الوقعة ضمن مظاهر كثيرة: من إقامة مجالس العزاء، والبكاء، والزيارات، والسلام على الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، واللعن على أعدائهم، ومسيرات العزاء، والوفود إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، والأدب والخطابة، وغير ذلك من المشاهد الكثيرة التي تعبّر عن ولاء المؤمنين للحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وبراءتهم من أعدائهم.

إنّ وقعة الطف من المواقع العقائدية والحضارية الكبرى المؤثّرة في التاريخ، والتي تفرض نفسها على الإنسان، فلا يملك أن يمرّ عليها مروراً عابراً، أو يقف عندها وقوف المتفرّج أو يقرأ سطورها بلا مبالاة وعدم اكتراث.

فبالرغم من مرور أكثر من ألف وثلاثمائة سنة على هذه الواقعة المفجعة، فإنّها لا تزال تملك تأثيراً فوق العادة على النفوس والقلوب والعقول، وتفرض نفسها على كلّ مَن آتاه الله بصيرة ووعياً في دينه.

ولا تزال الأجيال تتلقّف قضية كربلاء بحرارة وحماس، وتتفاعل معها في الإيجاب والسلب، في الولاء والبراءة، فما هو السرّ الكامن في هذه الحقيقة؟

وما الذي جعل منها مرآة للولاء والبراءة، عبر هذا التاريخ الطويل؟

إنّ وقعة الطف تتميّز بالوضوح الكامل الذي لا يبقي شكّاً لأحد في طرفي هذه المعركة.

فلم يكن هناك التباس في أمر المعركة التي حدثت على أرض الطف، ولم يكن هناك أحد من المسلمين يشكّ في أن الحسين عليه السلام كان يدعو إلى الله ورسوله، وإلى الاستقامة وسلوك صراط الله القويم، ولم يكن هناك من أحد يشكّ في أن يزيد بن معاوية قد تجاوز حدود الله تعالى، وأعلن الحرب على الله ورسوله وجاهر في الفسق والفجور، وهو يجلس مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلم يكن بين المسلمين يومئذ من يتردّد لحظة واحدة - وهو يقف على ساحة الصراع بين أبي عبدالله الحسين عليه السلام ويزيد بن معاوية - في الحكم بأنّ الحسين عليه السلام على هدى وأنّ يزيد على ضلال.

وعليه، فلم يكن في أمر هذه المعركة خفاء أو لبس، فمن وقف مع الحسين عليه السلام وقف عن بينة، ومن وقف مع يزيد وقف عن بينة.

وقليل من مشاهد الصراع بين الحق والباطل، تمتلك كل هذا الوضوح الذي تمتلكه وقعة الطف.

فقد وقف الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء بين الصفّين وقال مخاطباً جيش بني زياد: «**أيها الناس، انسبوني من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، وانظروا هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟.. ألستُ ابن بنت نبيكم؟ وابن وصيّه وابن عمّه وأوّل المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربّه؟ أوليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ أوليس جعفر الطيار عمّي؟، أولم يبلغكم قول رسول الله صلى الله عليه وآله لي**

ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنة فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمدت الكذب منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله ويضرّ به من اختلقه، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم مَن إن سألتموه أخبركم، سلوا جابر بن عبدالله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبرونكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لأخي. أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟

فقال الشمر: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول.

فقال له حبيب بن مظاهر: والله إنّي أراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك.[1]

وعندما حاول الوليد - عامل يزيد على المدينة - أن يجبر الإمام الحسين عليه السلام على البيعة ليزيد والرضوخ له، قال الإمام عليه السلام: «أيّها الأمير، إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل شارب الخمور وقاتل النفس المحرّمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»[2].

لقد كانت الجبهتان المتصارعتان في كربلاء متميّزتين في انتمائهما لمحور الولاية الإلهية والطاغوت، ولم يكن الأمر يخفى على أحد.

فقد أمضى أصحاب الحسين عليه السلام ليلة العاشر ولهم دوي كدويّ النحل بين قائم وقاعد وراكع وساجد[3]..

سمة العبيد من الخشوع عليهم لله إن ضمّتهم الأسحار

---

(١) تاريخ الطبري: ٦ / ٢٤٣.

(٢) مقتل الحسين للمرحوم السيد عبد الرزاق المقرّم: ١٢٧ - ط النجف.

(٣) المصدر السابق: ٢٣٨.

وإذا ترجلت الضحى شهدت لهم   بيض القواضب أنّهم أحرار

تقول فاطمة بنت الحسين عليه السلام: «وأما عمتي زينب فإنّها لم تزل قائمة في تلك الليلة في محرابها تستغيث إلى ربّها، والله فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا رنّة»(١)

فهكذا كان الأمر في معسكر الحسين عليه السلام.. شوقاً إلى لقاء الله، وإقبالاً على الله، وإعراضاً عن الدنيا وزخرفها، وانقطاعاً عن الدنيا إلى الله تعالى، حتّى أنّ بعضهم كان يداعب أصحابه ويمازحهم في ليلة العاشر، فقد هازل برير عبدالرحمن الأنصاري عليهما الرحمة، فقال له عبدالرحمن: ما هذه ساعة باطل، فقال برير: لقد علم قومي ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً، ولكنّ مستبشراً بما نحن لاقون، والله ما بيننا وبين الحور العين إلّا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم، ولوددت أنّهم مالوا علينا الساعة(٢).

وأمّا الطرف الآخر من هذه المعركة (معسكر يزيد) فقد كان همّه هو ما يصيبه من الذهب والفضة والأمارة والجائزة، في قتال ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقد تولّى عمر بن سعد أمر قتال ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله طمعاً في إمارة الري.

يقول اليافعي: ووعد الأمير المذكور (عمر بن سعد) أن يملكه مدينة

---

(١) مثير الأحزان: ٥٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٦ / ٢٤١.

الريّ، فباع الفاسق الرشد بالغي[١].

وفيه يقول:

أأترك ملك الريّ والريّ بغيتي   أو أرجع مأثوماً بقتل حسين

ثم يقول:

وحزّ رأس الحسين بعض الفجرة الفاسقين وحمله إلى ابن زياد، ودخل به عليه وهو يقول:

املأ ركابي فضة وذهباً   إني قتلت السيد المحجّبا[٢]

قتلت خير الناس أماً وأباً   وخيرهم إذ يذكرون النسبا

فغضب ابن زياد من قوله وقال: إذا علمت أنّه كذلك فلم قتلته؟، والله لا نلت مني خيراً أبداً ولألحقنك به[٣].

ويتبجح الأخنس بن مرثد الحضرميّ من رضهم للأجساد الطاهرة بعد استشهادهم، وهو يعلم أنّه يعصي الله تعالى في طاعة أميره، فيقول - كما يروي الخوارزمي:

نحن رضضنا الظهر بعد الصدر   بكل يعبوب شديد الأسر

حتى عصينا الله ربّ الأمر   بصنعنا مع الحسين الطهر[٤]

ففي الوقت الذي كان فيه همّ الحسين ﷺ وأصحابه في كربلاء هو

---

(١) مرآة الجنان لليافعي: ١ / ١٣٢.

(٢) في بعض الروايات: (السيد المهذّبا) بدلاً من (الملك المحجبا).

(٣) المصدر السابق: ١ / ١٣٣.

(٤) مقتل الحسين للخطيب الخوارزمي: ٢ / ٣٩.

مرضاة الله تعالى، وشوقهم إلى لقاء الله، فإنّ همّ جُند ابن زياد كان ما يدفع لهم الأمير من جائزة ذهب أو فضة أو إمارة.

فلم يكن في الأمر - بالنسبة لكلا المعسكرين - أيّ خفاء، وإنّ جميع الذين عاصروا المعركة أو شاهدوها، أو وقفوا عليها من قريب أو بعيد، كانوا يعرفون الحقّ والباطل فيها، ويميزون دعوة الله عن دعوة الطاغوت، ولم يتخلف أحد عن نصرة الحسين عليه السلام نتيجة لالتباس الأمر عليه وعدم قدرته على تمييز الحقّ عن الباطل، وإنّما كان التخلف عنه عليه السلام بسبب إيثار العافية والراحة على القتل في سبيل الله سبحانه، ولم يشهر أحد فيها السيف على ابن بنت رسول الله عن لبس أو جهل أو غموض، وإنّما شهره عن وضوح وعلم ودراية بأنّه يحارب الله ورسوله وأولياءه بقتال الحسين عليه السلام.

وهذا الوضوح في ساحة المعركة هو الذي يجعل معركة الطف معركة متميّزة من بين سائر المواقع التاريخية؛ فهي تعكس صورة صارخة من صراع الحقّ والباطل، ومجابهة محور الولاية والطاغوت؛ ولذلك فإنّها كانت رمزاً خالداً للصراع بين الحقّ والباطل، ومسرحاً للولاء والبراءة في حياة المؤمنين.

إنّ وقعة الطف لا تبقي مجالاً لأحد في التردّد والتأمّل، فهي المواجهة الصارخة بين الحقّ والباطل: بين جبهة الله وجبهة الشيطان، بين الهدى والضلال.

فلابدّ من موقف محدّد وواضح في هذه القضية.

فإنْ لم يكـن هـذا المـوقف مـوقف الولاء لجند الله والبـراءة مـن أعدائهم، فإنّه سيكون - لا محالة - موقف الرضى بفعل يزيد وجنده، وهو الموقف الذي يستحقّ صاحبه اللعن والطرد من رحمة الله.

«فلعن الله أمّة قتلتك، ولعن الله أمة ظلمتك ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به»[1].

حيث إنّ مجرّد فقدان الموقف في قضية الولاء يشكّل موقف الرضى بما لقيه الإمام الحسين عليه السلام من ظلم وقتل.

فمَن خذل الإمام الحسين عليه السلام ولم يقف معه يوم استنصر المسلمين، فلابدّ وأن يكون راضياً بفعل يزيد، إذ لو لم يكن راضياً به لما أبطأ عـن نصرة الإمام عليه السلام.

فالخذلان والسكوت والتفرج على ساحة الصراع مـن دون تكـلّف معاناة المشاركة تعتبر في مفهوم الولاء موقفاً رافضاً وسلبياً، وهو موقف يستحقّ صاحبه اللعن والطرد من رحمة الله الواسعة.

ولأنّ قضية كربلاء قضية متميّزة من بين الكثير من أحداث التاريخ الكبرى، وتتطلب وضوح الموقف والرأي دائماً، نجد أنّ هذه القضية تستثير الولاء والبراءة في نفوس المؤمنين بصورة مستمرة ودائمة وقوية.

ولهذا، فإنّ البكاء، وإقامة مجالس العزاء وتنظيم المسيرات، والوفود

---

(١) زيارة وارث.

إلى كربلاء لزيارة مرقد الإمام الطاهر، وغيرها من المظاهر ليست من آثار العاطفة، وإنّما هي تجسيد لولاء المؤمنين للحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وتجسيد لبراءتهم من أعدائهم، وإن انشداد الناس بقضية الطف وتفاعلهم معها، وإن كان للعاطفة دور مؤثّر فيه، ولكنه هو ولاء لخط الحسين عليه السلام وبراءة من خط يزيد، أكثر من كونه عاطفة مجرّدة؛ وذلك لأنّ العاطفة وحدها لا تملك كلّ هذا التأثير القوي في حياة الناس.

وإذا كانت معركة الطف رمزاً للصراع بين الحقّ والباطل، ومحوراً للولاية والبراءة، فإنّ الانشداد والتفاعل مع هذه القضية يعني التفاعل مع محور الولاية الإلهية على وجه الأرض، والإعلان عن البراءة عن محور الطاغوت، والانفصال عن أعداء المحور الرباني.

وكما أنّ التفاعل مع قضية الطف يكشف عن درجة تفاعل الإنسان مع المحور الرباني (محور الولاية)، كذلك يصح أيضاً أن نقول بأنّ التفاعل مع مأساة الطف يعمّق صلة الإنسان وارتباطه بمحور الولاية الإلهية، ويعمّق حالة الانفصال بينه وبين الطاغوت (حالة البراءة)، فإنّ الولاء للحسين عليه السلام هو ولاء لكلّ أولياء الله تعالى في التاريخ، وأنّ البراءة من أعداء الحسين عليه السلام هي براءة من كلّ أعداء الله وأعداء أوليائه في التاريخ، وربّما كانت طريقة السلام على الإمام الحسين عليه السلام في زيارة وارث، تشير إشارة واضحة إلى هذه الحقيقة، حيث يُسلّم الزائر على الإمام عليه السلام بصفته وارثاً لآدم ولنوح ولإبراهيم ولموسى ولعيسى ولرسول الله صلى الله عليه وآله وعليهم جميعاً ولعلي عليه السلام، فيقول:

«السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله،السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين ولي الله»[١].

فإنّ هذه الصفوة من أولياء الله وعباده الصالحين قد شكّلت امتداداً واحداً لولاية الله سبحانه على وجه الأرض وفي حياة الإنسان، وسارت على خط حضاري واحد، ودعت إلى الالتفاف حول محور رسالي واحد، وحملت هموم قضية عقائدية واحدة.

كما أنّ أعداءهم الذين قاوموهم وأعلنوا عليهم الحرب والعدوان، ووقفوا أمام المسيرة الإلهية الكبرى في فترات التاريخ المختلفة، قد شكّلوا -أيضاً- امتداداً واحداً، وخطّاً حضارياً واحداً، وقضية واحدة.

إنّ الإحساس بوحدة الولاء ووحدة البراءة يعمّق وحدة المحور في حياة الأُمة.

وإنّ الشعور بوحدة المحور للأُمة المسلمة يعمّق الشعور بأنّ الأُمّة المسلمة على امتداد التاريخ -ومنذ آدم عليه السلام إلى اليوم الحاضر- هي أُسرة واحدة، تلتفّ حول محور واحد، وتحارب في جبهة واحدة ومن أجل قضية واحدة، وتشترك في الحبّ والبغض والسلم والحرب، فقضيتها نفس القضية، ومهمّتها على وجه الأرض واحدة وخطّها واحد وحضارتها واحدة وإيمانها واحد.

---

(١) زيارة وارث.

وعندما يتعمق الإحساس بوحدة الولاء ووحدة البراءة، ووحدة الحبّ ووحدة البغض، وحدة الطاعة ووحدة العداء، ووحدة الإيمان ووحدة الرفض، فإنّه سوف يتعمق الإحساس بوحدة الأُسرة المؤمنة في التاريخ وعلى وجه الأرض، فيشعر الإنسان المؤمن بأنّ الولاء لله ولرسوله ولأوليائه قد طوى به الزمان والمكان ليجعل من هذه الأمّة المسلمة كلّها كتلة واحدة تتحد في مشاعرها وأحاسيسها وإيمانها وحربها وسلمها ورسالتها، ويشعر بالتحام قوي يربطه مع أعضاء هذه الأُسرة العظيمة رغم الفترات الزمنية المتباينة والمسافات المكانية المتباعدة؛ وبذلك فإنّ الشعور بوحدة المصير سوف يقوّي في نفسه ويتعمق، فيمنحه إحساساً بالقوة والاعتزاز بالله.

فهو ليس وحده في هذه المعركة الضارية، وإنّما هو أُمة مؤمنة عريقة في التاريخ وممتدّة على كلّ وجه الأرض، وتستعين بالله الواحد القهار في إرساء قواعد هذه الدعوة، وتعبيد الناس لله تعالى، وتحكيم هذا الدين في حياة الناس وإزالة كافّة العقبات والعراقيل من أمام طريق الدعوة هذه.

إنّ هذا الإحساس بمعيّة الله ومعيّة المؤمنين سيزيل الشعور بالوحشة والانفراد عن نفوس الدعاة إلى الله في خضّم الصراع مع الطاغوت ومواجهة شوكته وجبروته وكبريائه.

لقد كان إبراهيم عليه السلام وحدة أمّة، قانتاً لله في مواجهة نمرود.

﴿إنّ إبراهيم كان أمّةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين﴾ [1] .

---

(١) سورة النحل / ١٢٠.

الولاء والبراءة

الشيخ محمّد مهدي الآصفي

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مشاهد الولاء في زيارة وارث:

في هذه الزيارة هنالك ثلاثة مشاهد للولاء، هي:

١ - التسليم: وهو قوله «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله».

٢ - الشهادة، قوله: «أشهد أنّك الإمام البرّ التقي الرضي».

٣ - الموقف، قوله: «قلبي لقلبكم سلم وأمري لأمركم متبع».

وضمن هذه المراحل الثلاث يعبّر الزائر عن ولائه للحسين عليه السلام في المعركة الكبرى التي وقف فيها أبو عبدالله في مواجهة طاغية عصره، ويعبّر عن كلّ الجذور التاريخية لهذه المعركة الكبرى وامتداداتها إلى اليوم.

والولاء -إذن- يتجسّد في هذه الزيارة ضمن مفاهيم ثلاثة، هي:

١ - طرح السلام والأمن والمحبّة (التسليم).

٢ - طرح الثقة المطلقة: (الشهادة بالإمامة وإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

٣ - طرح الموقف النظري والعملي تجاه محور الولاية.

وسنعرض فيما يلي هذه المشاهد الثلاثة للولاء في زيارة وارث.

المشهد الأول، التسليم:

وهو أوّل مشاهد الولاء، ويكون ضمن ثلاث فقرات:

الأُولى: (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله...

الثانية: (السلام عليك يابن محمّد المصطفى..

الثالثة: (السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره)[1].

والتسليم من عناصر الولاء، ويعني: ترك المشاكسة والمشاققة والاختلاف واللجاج والعناد داخل النفس وعلى سطح السلوك.

وفي داخل النفس يعني: إزالة عوامل البغضاء والكراهية والضغينة والاختلاف في الرأي عن النفس، وإحلال المحبة والمودّة والانسجام النفسي محلّها، ويعني على سطح السلوك: ترك المخالفة والمشاكسة واللجاج والعناد والشقاق، ومعنى كلّ ذلك هو الطاعة والانقياد والتسليم.

إلا أنّ الطاعة هذه طاعة نابعة عن انسجام نفسي ومحبّة ومودّة، وليست طاعة نابعة عن الإجبار والإكراه.

وعلاقة الأُمّة بمحور الولاء علاقة التسليم، كما أنّ علاقتها بأعداء هذا المحور هي البراءة والحرب والبغضاء داخل النفس، وعلى سطح السلوك وهذه العلاقة -التسليم لمحور الولاية- تأتي في خاتمة الصلاة في السلام: (السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته) وأنّ حصيلة الصلاة للعبد

---

(١) زيارة وارث.

وحصيلة هذا العروج الروحي إلى الله تعالى، والذي يفتتحه العبد بالتكبير؛ حصيلة هذا العروج إلى الخالق الرحلة الروحية إلى الله تعالى؛ وهي التسليم والطاعة والانقياد والمحبّة والمودّة لمحور الولاية.

و(السلام) لا يُشكّل فقط أساس العلاقة مع محور الولايـة، وإنّـما يشكّل أيضاً أساس العلاقة مع الأُمّة المسلمة الملتفة حول هذه الولاية.

وقد اعتبر الإسلام (السلام) تحية بين المؤمنين، وجعل هذه التحية الشاملة في خاتمة الصلاة (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين).

وهذا الاهتمام بنشر السلام بين أعضاء هذه الأُمّة جاء للتأكيد على نوع العلاقة القائمة بين أفراد وأعضاء الأُمّة المسلمة. وأنّ هـذه العـلاقة قائمة على أساس من ترك المشاقّة والمخالفة والتصادم مع الأُمّة المسلمة وإزالة البغضاء والضغائن والكراهيـة من النفوس، وإحلال المحبّة والمودّة في النفوس، والانسجام والوفاق والتعاون والتناصر في السلوك.

المشهد الثاني، الشهادة:

والشهادة هي طرح الثقة والإيمان بمحور الولاية، ولابـدّ أن تـنضمّ هذه الثقة المطلقة إلى جنب التسليم المطلق.

والشهادة تأتي ضمن ثلاث فقرات:

١ - الشهادة برسالة الحسين عليه السلام وقضيته وعمله.

(أشهد أنّك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة، وأمـرت بـالمعروف،

ونهيت عن المنكر، وأطعت الله ورسوله حتى أتاك اليقين).[١]

و(أقمت الصلاة) هنا غير أداء الصلاة، فإنّ أداء الصلاة تكليف شخصي وفريضة شخصية، وإقامة الصلاة رسالة وقضية في حياة الإنسان المؤمن.

إنّ إقامة الصلاة هي تثبيت الصلاة والارتباط بالله في حياة الناس، ودعوة البشرية لمقاطعة محاور الطاغوت، وإقامة الصلاة لله على وجه الأرض، وإقامة الصلاة إعلان الصلاة وإعطاؤها دوراً فاعلاً ومؤثراً في حياة الإنسان، ثمّ (وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر) فلم يكن الحسين عليه السلام يبتغي في خروجه على يزيد مُلكاً أو سلطاناً أو جاهاً، وإنّما كان يعمل لتثبيت دعائم المعروف وهدم أُسس المنكر، وإقامة محور الولاية لله، وهدم محور الطاغوت.

وقد خطب الحسين عليه السلام يوم عاشوراء فقال: **«ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برما»**[٢].

وفي منزل (البيضة) خطب الحسين عليه السلام في أصحاب الحُر فقال: **(يا أيّها الناس إنّ رسول الله قال: مَن رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهده مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله.**

---

(١) ن. م. س.
(٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم: ٢ / ٣٩.

ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمان، وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله)[١]

فلم يكن الحسين عليه السلام يطلب سلطاناً أو مالاً وهو يرى أنه يستقبل الموت في سفره هذا، وإنّما كان يرى حاكماً جائراً، يُفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل، ويحلّل حرام الله، ويتجاوز حدود الله.

فنهض الحسين عليه السلام بالعصبة المؤمنة التي احتفت به في كربلاء لفضح الطاغية وكسره والتشهير به، وتوعية الرأي العام الإسلامي المضلّل بحقيقته وإفساده في الأرض، وتسقيطه أمامه وانتزاع الأمّة من محور الطاغوت وإعادتها إلى محور الولاية الإلهية.

٢ – الشهادة بالطهر والنزاهة للحسين عليه السلام، النزاهة من كلّ إثم وذنب، والعصمة من كلّ خطأ وزلل وعصيان، والشهادة بطهارة نفسه وسلوكه عليه السلام؛ تلك الطهارة التي أهّلت أهل هذا البيت الطاهر لاستلام مسؤولية الإمامة والولاية من الله تعالى في عباده.

﴿إنّما يُريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويُطهّركم تطهيراً﴾[٢]

والشهادة بأنّ هذه النزاهة وهذا الطهر طهر موروث خلفاً عن سلف. وقد شاء الله تعالى أن يحتفظ بهذا الطهر في هذه السلالة الطيبة عبر تاريخ طويل من الحضارات الجاهلية التي سادت حياة الإنسان، ورغم تلك

(١) تاريخ الطبري: ٦ / ٢٢٩.
(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

الظلمات (الحضارات الجاهلية) فإنّ الدور الإلهي استمر في حياة الإنسان، واستمر هذا الطهر رغم أنجاس الجاهلية ودون أن يتلوث ويلبس شيئاً من مدلهمات ثيابها.

وقد اصطفى الله تعالى هذه السلالة المباركة للإمامة في حياة الإنسان عبر العصور المختلفة.

﴿إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذُرّية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾(١)

ولنقرأ هذه الفقرة من الشهادة في زيارة وارث:

«أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، لم تنجّسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهمّات ثيابها»(٢).

ولا أستطيع تجاوز هذه الفقرة دون أن أشير إلى جمال التعبير في هذه الفقرة؛ فإنّ الطهر في هذا البيت الطاهر حصيلة اللقاح بين أصلاب شامخة وأرحام مطهرة. أصلاب شمخت وترفّعت عما يتساقط حوله الناس من متاع الحياة الدنيا وزخرفها، وأرحام طهرت وسلمت من أوضار وأوساخ وأدناس الحضارات الجاهلية التي تناوبت على حياة الإنسان.

٣ - الشهادة بموقع الحسين عليه السلام من حياة الأُمّة ومركزه القيادي الذي وضعه الله فيه، وما آتاه الله تعالى من الإمامة والولاية على المسلمين والشهادة، وبموضعه في قيادة الأُمّة وهدايتها، وصلته بالله تعالى،

(١) سورة آل عمران: ٣٣.

(٢) زيارة وارث.

وموضوع ذريته الطاهرة أيضاً في قيادة الأُمّة وإمامتها وهدايتها إلى الله تعالى.

«أشهد أنّك من دعائم الدين وأركان المؤمنين، وأشهد أنّك الإمام البرّ التقي، الرضي، الزكي، الهادي المهدي، وأشهد أنّ الأئمة من ولدك كلمة التقوى، وأعلام الهدى والعروة الوثقى والحجّة على أهل الدنيا»[١]

المشهد الثالث، الموقف:

وهو مرحلة التعبير عن الولاء بعد (التسليم) و(الشهادة). والموقف هنا في (الإيمان والرأي) وفي (العمل). فالموقف في (الإيمان والرأي) يتجسّد بقول الزائر (إنّي بكم مؤمن وبإيابكم موقن بشرائع ديني وخواتيم عملي وقلبي لقلبكم سلم)[٢]

والموقف في (العمل) هو قوله:

(وأمري لأمركم متّبع)[٣]

أي أنّه يقول: أنّي مؤمن بولايتكم وإمامتكم وقيادتكم.

وأصدق دليل على الصدق في هذه الدعوة: إنّني أُسلمكم شرائع ديني وخواتيم عملي؛ فليس بشيء أعز على الإنسان من شرائع دينه الذي يدين به لله تعالى وخواتيم عمله الذي يختم به حياته، حيث لايمكن أن

---

(١) ن.م. س.

(٢) ن.م. س.

(٣) ن.م. س.

يتلافى منه شيئاً، فإنّ في الإمكان تلافي ما أفرط الإنسان من بدايات أعماله وأواسطها بالتوبة ومراجعة النفس وتصحيح العمل. أما خواتيم العمل فهي التي تقود الإنسان إلى عاقبة، وهي التي تقرر عاقبة الإنسان ومصيره.

وليس من شيء أدلّ على الثقة بهم عليهم السلام، والصدق في الولاء لهم من أن يأخذ الإنسان منهم عليهم السلام شرائع دينه وخواتيم عمله.

ثم هذا التسليم المطلق: هو أسمى معاني (السلم) لأنّه تسليم لا يشوبه شقاق، ولا يعكّره ريب في أعماق النفوس: تسليم القلب للقلب (وقلبي لقلبكم سلم)، فهو انسجام القلوب وتلاقي القلوب وتفاهم القلوب، وأما الموقف في (العمل) فيتجسّد في: «وأمري لأمركم متبع» ويمثّل ذلك التبعيّة المطلقة والانقياد التام وهو يعود إلى التسليم لأمر الله تعالى. والموقف هنا إيمان مطلق وتسليم مطلق وثقة مطلقة في النفس، ويستتبعه الالتزام الكامل والتبعيّة الكاملة في مقام العمل.

وورد أيضاً في زيارة الحسين عليه السلام الخاصّة في يوم عرفة:

«أنا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم وعدوّ لمن عاداكم، ووليّ لمن والاكم إلى يوم القيامة»[1].

وفي زيارة الأربعين الخاصّة:

(أشهد أنّي بكم مؤمن وبإيابكم موقن بشرائع ديني وخواتيم عملي، وقلبي لقلبكم سلم وأمري لأمركم متّبع، ونصرتي لكم معدّة، حتّى يأذن الله؛ فمعكم معكم لا

---

(١) زيارة الإمام الحسين عليه السلام المخصوصة في يوم عرفة.

مع عدوكم، صلوات الله عليكم وعلى أرواحكم وأجسادكم وشاهدكم وغائبكم)[١]

فالزائر يقول هذا بأنّ النصرة معدّة وجاهزة، أنتظر فيها إذن الله تعالى، ولست أبخل بنصرتي عنكم وعن نُصرة أوليائكم.

ثم بعد ذلك يأتي هذا النشيد الولائي الرائع وهذه النغمة الإيمانية العذبة.

(فمعكم، معكم لا مع عدوكم)

ليؤكّد الولاء من خلال تكرار المعيّة (فمعكم، معكم) ومن خلال الإيجاب والسلب والولاء والبراءة (لا مع عدوكم).

وفي زيارة أول رجب المخصوصة ترد هذه التلبية الولائية لداعي الله، الذي وقف يوم عاشوراء في كربلاء، يدعو البشرية إلى العودة إلى الله وتحطيم الطاغوت وكسر كبريائه وجبروته، والعودة إلى عبودية الله.

«لبيك يا داعي الله، إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك ولساني عند استنصارك، فقد أجابك قلبي»[٢].

وإنّ أفضل التلبية هي تلبية القلب، فإذا فاتتنا تلبية داعي الله بأبداننا في كربلاء، فإن قلوبنا التي عمّرها الله تعالى بولائه وولاء أوليائه لا تنفك عن تلبيته، والإستجابة لدعوته في مقارعة الظالمين وكسر شوكتهم وسلطانهم، وتعبيد الناس لله، وتحكيم شريعة الله تعالى وحدوده في حياة الإنسان، وانتزاع الإنسان من محور الطاغوت إلى محور الولاء لله تعالى.

---

(١) زيارة الأربعين المخصوصة.

(٢) زيارة الأوّل من رجب المخصوصة.

البراءة هي الوجه الآخر للولاية:

ثمّ يأتي - بعد ذلك - دور الوجه الآخر لمسألة الولاية وهو البراءة، فلا ولاية من دون البراءة، وإنّ الولاء والبراءة وجهان لقضية واحدة، وشطران من حقيقة واحدة.

ويصدق الإنسان في ولائه بقدر ما يصدق في براءته؛ فإنّ الولاء وحده لا يُكلّف الإنسان كثيراً، وأكثر ما يصيب الإنسان من أذى وعناء إنّما هو في أمر البراءة، وليس أيسر من أن يجامل الإنسان الجميع، ويمدّ يده إلى الجميع ويعيش مع الكل بسلام، ويداري كلّ العواطف والأحاسيس، ويلعب على كلّ الحبال، ويتجنب الصدام بالجميع، ويوزّع الابتسامة في كلّ مكان وليرضي الجميع؛ إن مثل هذا الإنسان يستطيع أن يعيش في رغد وعافية، ويستطيع أن يكسب ودّ الجميع وتعاطفهم، ويستطيع أن يعيش من دون مشاكل ومتاعب، ولكن لا يستطيع أن يرتبط بمحور الولاية الإلهية على وجه الأرض، ولا يستطيع أن ينتمي إلى هذه الأُسرة المسلمة التي أعطت ولاءها لله ولرسوله ولأوليائه، ولا يستطيع أن يملك موقفاً، ولا يستطيع أن يحبّ ويبغض ويرضى ويسخط بصدق، ولا يستطيع أن يتجاوز حدود المجاملة السياسية والاجتماعية في علاقته.

إنّ الصدق في التعامل، والموقف في الأحداث، والقوة والجدّية والصراحة في المواقف لا تتم من دون ولاء، والولاء لا يتم من دون براءة.

والبراءة تُكلّف الإنسان الكثير في علاقاته الاجتماعية وصلاته في المجتمع، وفي الأُسرة، وفي راحته وعافيته، وفي استقراره.

إنّ البراءة ضريبة الولاء، والتعب والعناد والأذى ضريبة البراءة، وهذه معادلات أجراها الله تعالى بسننه التي لا تتبدل في حياة الإنسان عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: عشر من لقي الله عزّ وجلّ بهن دخل الجنة:

١ - شهادة أن لا إله إلاّ الله

٢ - وأنّ محمّداً رسول الله

٣ - والإقرار بما جاء من عند الله عزّ وجلّ

٤ - وإقام الصلاة

٥ - وإيتاء الزكاة

٦ - وصوم شهر رمضان

٧ - وحجّ البيت

٨ - والولاية لأولياء الله

٩ - والبراءة من أعداء الله

١٠ - واجتناب كلّ مسكر[١]

وقد ورد في رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى النجاشي ملك الحبشة: (وإنّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتوقن بالذي جاءني وإني رسول الله).

---

(١) خصال الصدوق: ٢ / ٥٢، وبحار الأنوار: ٢٧ / ٥٣.

وفي رسالته صلى الله عليه وآله إلى إسقف نجران: «إنّي أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، وإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم آذنتكم بحرب»(١).

فالفاصل بين الإسلام والكفر إذن هو الولاية.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ أوثق عُرى الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله، وتوالي وليّ الله، وتعادي عدوّ الله»(٢).

وعن الرضا عليه السلام:

«روي أنّ الله أوحى إلى بعض عبّاد بني إسرائيل وقد دخل قلبه شيء: أمّا عبادتك لي فقد تعززت بي، وأمّا زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة، فهل واليت لي وليّاً وعاديت لي عدوّاً؟ ثم أمر به إلى النار نعوذ بالله منها»(٣).

وروي أنّ رجلاً قدم على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، أنّي أحبّك وأحبّ فلاناً وسمّى بعض أعدائه. فقال عليه السلام: أمّا الآن فأنت أعور، فأمّا أن تعمى وأمّا أن تبصر(٤).

ورؤية الأعور، نصف الرؤية، فهو يرى بإحدى عينيه فقط، وكذلك ولاء الإنسان الذي يفقد البراءة، أو لا يجرؤ على البراءة، ويريد أن يجمع بين الجميع ويُرضي الجميع.

---

(١) مكاتيب الرسول: ١٢٠.
(٢) المحاسن: ١٦٥، وبحار الأنوار: ٢٧ / ٥٢.
(٣) فقه الرضا: ٥١، وبحار الأنوار: ٢٧ / ٥٧.
(٤) بحار الأنوار: ٢٧ / ٥٨.

ومثل هذا النمط من الناس لا يبقى أعور إلى الأخير بنصف الرؤية، فأمّا أن يهديه الله تعالى فتكتمل لديه الرؤية وأما أن يفقد هذه الرؤية النصفية الضعيفة، فيعمى ويفقد الولاء مطلقاً.

وقيل للصادق عليه السلام: إنّ فلاناً يواليكم إلّا أنّه يضعف عن البراءة من عدوّكم فقال عليه السلام: هيهات كذّب مَن ادّعى محبّتنا، ولم يتبرأ من عدوّنا[1].

والسائل في هذا الحديث دقيق في طرح السؤال: فالشخص الذي هو موضوع السؤال لا يشك في ولائه، ولكنّه يضعف عن البراءة، وضعفه يجعل موقفه من البراءة مهزوزاً، وضعيفاً ومتميعاً، ولا يملك القوة الكافية من أن يعلن عن موقفه في الولاء والبراءة والوصل والفصل والارتباط، والقاطعة بشكل صريح وحاسم، فيجيبه الإمام عليه السلام: إنّ الولاء الصادق لايمكن أن ينفصل عن البراءة، ومَن يجد في نفسه ضعفاً عن البراءة، فهو كاذب في ولائه.

* وفي حديث الأعمش عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «حبّ أولياء الله واجب، والولاية لهم واجبة، والبراءة من أعدائهم واجبة. والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين واجبة، والبراءة من الأنصاب والأزلام أئمة الضلال وقادة الجور كلّهم، أولهم وآخرهم واجبة»[2].

* وعن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لبعض أصحابه ذات يوم: «يا عبد الله، أحب في الله، وابغض في الله، ووالِ في الله وعادِ في الله، فإنّه لا تنال ولاية الله إلّا بذلك، ولا يجد رجل طعم

---

(١) ن. م. س.

(٢) الخصال: ٢ / ١٥٣ و ١٥٤، وبحار الأنوار: ٢٧ / ٥٢.

الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتّى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا، عليها يتوادون، وعليها يتباغضون، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً».

فقال له: وكيف لي أن أعلم أنّي واليت وعاديت في الله عزّ وجلّ؟ ومَن وليّ الله عزّ وجلّ حتّى أواليه؟ ومَن عدوّه حتّى أعاديه؟

فأشار له رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام، فقال: «أترى هذا؟ فقال: بلى، قال: وليّ هذا وليّ الله فواله. وعدوّ هذا عدوّ الله فعاده. قال: والِ وليّ هذا ولو أنّه قاتل أبيك وولدك، وعادِ عدوّ هذا ولو أنّه أبوك أو ولدك»[1].

وهذا المضمون قد ورد بشكل آكد في حديث الغدير المعروف من رسول الله صلى الله عليه وآله «مَن كنت مولاه فهذا علي مولاه. اللّهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه وانصر مَن نصره واخذل مَن خذله».

وقد استوفى العلّامة حجّة الحق السيد مير حامد حسين الكهنوي رحمه الله في الغدير دراسة هذا الحديث الشريف من حيث السند والمتن، فنقل العلامة الأميني حديث الغدير الشريف عن مائة وعشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بطرق كثيرة، وعن مئات المصادر المعتبرة في الحديث والتفسير، والتأريخ من المصادر الإسلامية المعتبرة لدى السنّة والشيعة.

وحديث الغدير من أوضح الأحاديث في تعميق معنى الولاية وتشخيصها وإبراز أبعادها الإيجابية في الولاء وأبعادها السلبية في البراءة.

---

(١) التفسير للإمام العسكري: ١٨، ومعاني الأخبار: ١١٣، وعيون الأخبار: ١٦١، وعلل الشرائع: ٥٨، وروى عنهم العلامة المجلسي في البحار: ٢٧ / ٥٤.

وقد صدّر العلامة الأميني كتابه القيّم (الغدير) بحديث عن رسول الله ﷺ في هذا المعنى نودّ أن نختم به أحاديث الولاء والبراءة في هذا الحديث.

عن رسول الله ﷺ، قال: «مَن سرّه أن يحيى حياتي، و يموت مماتي، و يسكن جنّة عدن غرسها ربّي فليوالِ علياً من بعدي، وليوالِ وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فأنّهم عترتي، خُلقوا من طينتي، رزُقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي».

الطوائف الملعونة:

هذا، وقد ورد اللعن والبراءة في زيارة وارث لثلاث أمم وطوائف:

(فلعن الله أُمّة قتلتك

ولعن الله أُمّة ظلمتك

ولعن الله أُمّة سمعت بذلك فرضيت به)[١]

١ - الطائفة الأُولى: هي الطائفة التي باشرت قتال الحسين ؑ «لعن الله أُمة أسرجت وألجمت وتهيّأت وتنقّبت لقتالك يا مولاي يا أبا عبدالله»[٢]

٢ - الطائفة الثانية: هي الطائفة التي ظلمت الحسين ؑ وجارت عليه ومكّنت منه وشايعت وبايعت وظاهرت عليه وخالفته. وهذه الطائفة تشمل كلّ أُولئك الذين أعدّوا لقتال الحسين ؑ، أو مكّنوا منه أو خالفوه أو ظاهروا عليه، أو ساهموا في الإعداد لقتاله أو أعانوا الطاغية في سير قتال

(١) زيارة وارث.

(٢) زيارة وارث المطلقة وزيارة عاشوراء المخصوصة باختلاف يسير.

سيّد الشهداء بنحو من الأنحاء وأشياع هؤلاء جميعاً وأتباعهم.

وقد ورد اللعن والبراءة على هذه الطائفة: (وهي طائفة واسعة) بصيغ مختلفة في زيارات الحسين عليه السلام المطلقة والمخصوصة، ففي زيارة عاشوراء المخصوصة: «فلعن الله أمّة أسّست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت ولعن الله أُمة دفعتكم عن مقامكم، وأزالتكم عن مراتبكم التي رتّبكم الله فيها. (ولعن الله أُمّة قتلتكم) ولعن الله الممهّدين لهم بالتمكين من قتالكم، برئت إلى الله وإليكم منهم ومن أشياعهم وأتباعهم»[1].

وأيضاً في زيارة عاشوراء «وأبرأ إلى الله ورسوله ممن أسّس أساس ذلك الظلم والجور عليكم أهل البيت، وبنى عليه بنيانه، وجرى في ظلمه وجوره عليكم وعلى أشياعكم، وبرئت إلى الله وإليك منهم»[2].

وفي الزيارة المخصوصة الثانية لعاشوراء والمروية في المزار القديم:

«لعن الله أُمّة اسست أساس الظلم لكم، ومهّدت للجور عليكم، وطرقت إلى أذيتكم وتحيفكم، وجارت ذلك في دياركم وأشياعكم، برئت إلى الله عزّ وجلّ وإليكم منهم ومن أشياعهم وأتباعهم»[3].

وكما نرى أنّ هذه الطائفة واسعة تشمل كلّ أُولئك الذين ساهموا في قتال الحسين أو مكّنوا من قتاله أو أعدّوا له أو بايعوا الطاغية على قتال، أو شايعوا وظاهروا عليه، وأشياعهم وأتباعهم.

---

(١) زيارة عاشوراء المخصوصة.

(٢) ن. م. س.

(٣) زيارة عاشوراء المخصوصة الثانية.. برواية المزار القديم.

٣ - الطائفة الثالثة هي الطائفة التي سمعت بذلك فرضيت به.

وهذه الطائفة ستوقف الإنسان طويلاً، فمَن هُم أولئك الذين سمعوا بذلك فرضوا به؟ إنّ هذه الطائفة ليست بالتأكيد مشاركة في القتال، ولا هي مشاركة في ممارسة الظلم بصورة عمية، وإلّا لكانت تدخل ضمن الطائفة الأُولى والثانية، ولم يكن موجب لإفرادها بالذكر ثالثاً، فهذه الطائفة لابدّ وأن تكون - إذن - ممّن سمعوا استنصار الحسين عليه السلام ولم ينصروه، وآثروا العافية على الوقوف بجانب سيّد الشهداء عليه السلام في معركة الطفّ، وخذلوا سيّد الشهداء عليه السلام، ولم ينصروه يوم عاشوراء.

وهذه الطائفة لابدّ أن تكون راضية بما حدث في يوم عاشوراء، فلا يمكن أن يتم هذا الخذلان والسكوت والقعود عن نصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في معركته مع طاغوت عصره والقعود بعد ذلك عن أخذ ثاره لولا أنّهم كانوا راضين بما حدث. فإنّ تخلّف هؤلاء عن الالتحاق بالحسين عليه السلام وتقاعسهم عن نصرة الحسين، وإيثارهم للعافية في دنياهم على آخرتهم ينطوي على الرضا بما صنع يزيد، وإن لم يكن كذلك فإنّ مثل هذا التخلّف والتقاعس وإيثار العافية يؤدّي أخيراً إلى الرضا بالظلم.

وقد ذُكرت هذه الطائفة في نصوص أُخرى للزيارة بصيغ مختلفة، كلّها تنصبّ في معنى التخاذل عن نصرة أبي عبد الله عليه السلام والتقاعس عن الالتحاق به وإيثار العافية على الوقوف إلى جانب سيّد الشهداء عليه السلام، فقد ورد في الزيارة المطلقة الثانية:

«لعنت أُمّة قتلتكم وأُمّة خالفتكم، وأُمّة جحدت ولايتكم وأُمّة ظاهرت عليكم،

وأمة شهدت ولم تستشهد»[١].

وموضع الشاهد من هذا المقطع من الزيارة هو الفقرة الأخيرة (وأمة شهدت ولم تستشهد).

وورد في الزيارة المطلقة السابعة: **«وأشهد أنّ قاتلك في النار، أدين لله بالبراءة ممّن قتلك، وممن قاتلك، وشايع عليك، وممن جمع عليك، وممن سمع صوتك ولم يعنك»**[٢].

وموضع الشاهد: (وممن سمع صوتك ولم يعنك).

وورد في زيارة ليلة القدر وليلة العيدين:

«أشهد أنّ الذين خالفوك وحاربوك والذين خذلوك والذين قتلوك ملعونون على لسان النبيّ الأُمّي»[٣].

وواضح في هذا النص إنّ الطوائف الثلاث الملعونة هي:

١ - الطائفة التي خالفت وظلمت.

٢ - الطائفة التي قاتلت الحسين وقتلت.

٣ - الطائفة التي خذلت الحسين عليه السلام، ولم تلبّ دعوة الحسين عليه السلام ولم تنصره.

فالذين سمعوا صرخة الحسين عليه السلام في وجه يزيد وسمعوا نداء الحسين عليه السلام، وهو يستنصر المسلمين لإسقاط الطاغية وإنقاذ الإسلام

---

(١) الزيارة المطلقة الثانية.

(٢) الزيارة المطلقة السابعة.

(٣) الزيارة المخصوصة لليلة القدر وليلة العيدين.

والمسلمين من ظلم الطاغية ولم يتحركوا، وخذلوا سيد شباب أهل الجنة، وآثروا عافية دنياهم على سلامة الآخرة، وتخلّفوا عن الالتحاق بالحسين عليه السلام؛ أُولئك هم من أهل البراءة ومن الذين يستحقّون اللعن.

أجل إنّ معركة الطف كانت معركة حقيقيّة في الأبعاد العقائديّة والحضاريّة والسياسيّة؛ ولذلك فهي تتطلب مواقف حقيقيّة من الولاء والبراءة، وترفض موقف المتفرّج واللامبالاة اليوم كما كانت ترفضه أمس. وتجسّد المواقف المتفرّجة من الموقف المعادي.

ما تفعله الصراعات الحضاريّة بالناس:

إنّ طبيعة المعارك والصراعات الحضاريّة والعقائديّة أنّها تشطر الناس إلى شطرين: شطر مخالف وآخر موافق، ويجري هذا التشطير والانقسام بصورة مستمرّة فيما بعد وإلى ما شاء الله من العصور، وكلّما يكون امتداد القضيّة أعمق في وجدان الناس، كلّما تكون الآثار الحضاريّة المترتّبة عليها واسعةً.

ومعركة الطف في قمّة هذه المعارك والصراعات وذلك نظراً إلى:

أوّلاً - المواجهة والمقابلة العقائديّة والحضاريّة والسياسيّة التي تمّت في هذه المعركة.

ثانياً - وضوح الطرفين في اتجاهاتها العقائديّة والحضاريّة؛ فلم يكن يخفى أمر الحسين ابن بنت رسول الله وسيّد شباب أهل الجنة على أحد من المسلمين، كما لم يكن يخفى أمر يزيد بن معاوية ابن آكلة الأكباد،

وسلالة الشجرة الملعونة في القرآن على أحد، ولم يكن يشك أحد (في ذلك التأريخ وإلى اليوم) في ماهيّة وحقيقة الطرفين المتصارعين ومَن منهما يدعو إلى الله، ومَن منهما يدعو إلى النار.

ثالثاً - المأساة الأليمة التي حدثت لسبط رسول الله وأهل بيته وأصحابه في كربلاء يوم عاشوراء.

كلّ هذه العوامل، وغيرها، تجعل قضية الطف قضية متميّزة في التأريخ، تفرض نفسها على الإنسان فرضاً، وتشطر الناس تجاهها شطرين متميّزين كذلك، الشطر الموافق والناصر والمنتمي والمرتبط والموالي، والشطر المخالف والمعادي. ولا تدع أحداً يقف بين الصفين ليتفرج على المعركة من دون أن يصيبه غبار من المعركة من هنا أو هناك.

فلابدّ من موقف محدّد ولابدّ من ولاء وبراءة، فإنّ القضية باعتبار أبعادها العقائدية والحضارية تهم كلّ إنسان، إذ لا يستطيع أي إنسان أن يقف من قضية عقائدية حضارية حساسة ومصيرية موقف اللامبالاة وعدم الاهتمام، وباعتبار وضوح الطرفين في هذه المعركة، فلا يبقى مجال لأحد في التردد والتأمل، وإنّ الأمر لواضح في الطف لكل ذي عينين؛ فلا يلتبس الحق بالباطل في معركة الطف.

يوم الفرقان الأوّل:

ثم إنّ البعد المأساوي لهذه المعركة يعطي هذه المعركة زخماً عاطفياً قوياً جدّاً في أعماق النفوس. ولذلك قلنا: إنّ هذه المعركة شطرت الناس

في الولاء والبراءة شطرين متميزين من سنة إحدى وستين هجرية إلى اليوم الحاضر وإلى ما شاء الله من العصور.

وهذه الخاصية يسميها القرآن الكريم بالفرقان، وهو الأمر الذي يشطر الناس شطرين متميزين في الولاء والبراءة.

ولقد كان يوم بدر هو «يوم الفرقان الأول». في تاريخ الإسلام، يقول تعالى: ﴿يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان﴾[1].

وذلك لأنّ هذا اليوم الذي إلتقى فيه المسلمون بالمشركين في مواجهة عسكرية، قد شطر الناس شطرين متمايزين في الولاء والبراءة. فهو أوّل مواجهة قتالية بين التوحيد والشرك في تاريخ الإسلام. وعلى نتائج هذه الحرب الميدانية يتوقف مصير البشرية جميعاً، واتجاه الحضارة الانسانية. صحيح أنّ الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ في بدر هم ثلثمائة أو يزيدون، وان الذين وقفوا إلى جانب قريش لقتال رسول الله ألف أو يزيدون قليلاً؛ إلّا أنّ هذه المواجهة كانت أعمق وأوسع مما يتراءى لنا لأوّل مرّة من خلال التأريخ في وادي بدر في السنة الثانية من الهجرة.

لقد كان يقف من وراء المشركين من قريش في بدر جبهة عريضة من الشرك في الجزيرة وخارجها، وتصاعد الأحداث بعد هذا اليوم أثبتت هذه الحقيقة. ولقد كان رسول الله ﷺ وقف بهذه العصبة الصغيرة أمام

(١) سورة الأنفال: ٤١.

جبهة الشرك العريضة. فيوم بدر - إذن - فرّق البشرية إلى شطرين متمايزين في الولاء: شطر قوامه ثلثمائة مقاتل وخمسة مقاتلين، وشطر آخر قوامه جبهة الشرك العريضة، وبكل إمكاناتها الواسعة فهو «يوم الفرقان الأول» حقاً في تأريخ الإسلام.

إنّ النظرة الساذجة الأولى لساحة بدر في السنة الثانية من الهجرة لا تلتقي إلّا بهذين الجمعين المتقاتلين، ولكن النظرة العميقة الممعنة تلتقي في هذه الساحة بحضارتين وعقيدتين، تتصارعان على الوجود، وليس على حفنةٍ من تجارة قريش، وتلتقي بجبهات عريضة وواسعة، وليس من ألف من المقاتلين أو يزيدون على ذلك.

ولم يكن يوم بدر هو يوم الفرقان الذي يشطر الناس في الولاء والبراءة إلى شطرين في السنة الثانية من الهجرة فقط، وإنّما يظل يوم بدر هو يوم الفرقان في تأريخ الإسلام.

يوم الفرقان الثاني:

وإذا كان «يوم بدر» هو «يوم الفرقان الأول» في تأريخ الإسلام، فإنّ يوم عاشوراء هو يوم الفرقان الثاني في تأريخ الإسلام.

فكان يقف فيه الحسين عليه السلام مع ثلّة صغيرة من أهل بيته وأصحابه إلى جانب في هذه المعركة المصيرية، ويقف ابن زياد في جيش واسع في الطرف الآخر من المعركة ومن ورائه يزيد وسلطانه وملكه الواسع وأمواله الكثيرة وجيشه وإمكاناته، وكلّ الموالين له، وكلّ المستفيدين

منه وكلّ المضلّلين به، وكلّ المقاتلين معه وقفوا إلى جانبه وحتى كلّ المتفرّجين على الساحة السياسيّة من الذين آثروا العافية، وانتظروا النتيجة، فوقفوا يتفرّجون على ساحة الصراع وميدان القتال. وكلّ أشياع هؤلاء وأتباعهم.

ففي يوم عاشوراء إذن تتوفّر خاصية (الفرقان) بشكل واضح، فقد شطر الناس إلى شطرين متمايزين في الولاء والأخلاق والفكر والخط والعقيدة.

ولا يزال هذا اليوم (فرقاناً) في تأريخ الإسلام يفرق الناس في الولاء والبراءة إلى اليوم الحاضر وإلى ما شاء الله من العصور.

يوم الفرقان الثالث:

ومادمنا قد أشرنا إلى يومين من أيام الفرقان في التأريخ الإسلامي هما: «يوم بدر» و«يوم عاشوراء»؛ فلا نستطيع أن نتجاوز هذا الحديث دون أن نشير إلى اليوم الثالث من أيام الفرقان في التأريخ الاسلامي، والذي يأتي امتداداً ليوم بدر ويوم عاشوراء.

وهو يوم انتصار الثورة الإسلامية المعاصرة من سنة ١٣٩٩ هـ والذي هو من أيام الله الكبرى في التأريخ، والذي سقط فيه نظام بهلوي، وانتصرت فيه الثورة الإسلامية المعاصرة الكبرى بقيادة الإمام الخميني ﵀.

إن هذا اليوم لا يعني فقط سقوط نظام أسرة بهلوي في تأريخ إيران،

وأنّما يعني إنتهاء مرحلة من تأريخ الإسلام، وبداية مرحلة جديدة من التأريخ.

فإنّ القيمة التأريخية لسقوط أسرة بهلوي وقيام الجمهورية الإسلامية تكمن في كونها:

أوّلاً – نهاية لعصر من الخمول والركود والإستضعاف واليأس والارتماء في أحضان الغرب والشرق، والتخلّف الفكري والسياسي والعسكري والاقتصادي، والرضوخ لسيادة الاستكبار العالمي، والهزيمة النفسية أمام موجة الحضارة الغربية.

ثانياً – بداية عصر جديد من التحرك باتجاه الإسلام وحاكمية دين الله على وجه الأرض، وفكّ القيود والأغلال من الأيدي والأقدام، وكسر الطوق السياسي والاقتصادي والعسكري والعلمي والحضاري الذي فرضه علينا الاستكبار الغربي والشرقي، والعودة إلى الله وإلى الإسلام، وتعبيد الإنسان لله وتحكيم شريعة الله في حياة الإنسان، وإعادة الاعراف والقيم والأخلاق والحدود الإسلامية إلى صلب الحياة من جديد. وبالإجمال فإنّه بداية لمرحلة جديدة للتأريخ.

فيوم ٢٢ بهمن – إذن – هو امتداد حقيقي ليوم عاشوراء، كما كان يوم عاشوراء امتداداً واقعياً ليوم بدر.

وإنّ هذا اليوم يوم مصيري في تأريخ الإسلام وللأجيال المقبلة، كما كان يوم عاشوراء يوماً مصيرياً في تأريخ الإسلام.

ونُلخّص فيما يلي أبرز النقاط والعناصر التي تشكّل القيمة الحضارية

للإنقلاب الإسلامي الشامل والكبير الذي تحقق في هذا اليوم، وللثورة الإسلامية الكبرى التي انتصرت في هذا اليوم على الاستكبار العالمي:

١ ـ هذه الثورة ثورة مبدئية بكل معنى الكلمة، وهي نوع جديد من العمل والحركة الثورية في تأريخنا المعاصر، وفي الأجواء السياسية المعاصرة التي لم نألف هذا النوع من العمل والحركة، فهي ثورة التوحيد على الشرك؛ بالمعنى الذي فسرناه في هذا الحديث وهو:

توحيد الولاء والشرك في الولاء؛ فهي تتجه بفك ارتباط الإنسان المسلم عن الطاغوت المتمثل في الاستكبار الشرقي والغربي وعملائهما في المنطقة. هذا الارتباط الذي يتمثّل في الطاعة والانقياد والاستسلام والركون إلى الظالمين والحب والنصرة. وفك ارتباطه بمحاور الولاء المصطنعة (القومية ـ الوطنية ـ العشائرية الحزبية...) وربط ولائه بالله تعالى ورسوله وأوليائه، وتوحيد الولاء لله تعالى، ومقاطعة ومحاربة كلّ المحاور الأخرى التي تعمل لإنتزاع الولاء من الناس. تلك طبيعة الثورة ومحتواها.

ومن هنا فإنّها كانت ثورة العبودية لله على عبودية الطاغوت.

وإنّ من المهم أن نفهم نحن مسار الثورة الإسلامية المعاصرة ومحتواها، ومن دون ذلك لا نستطيع أن نساهم في دعم وإسناد هذه الثورة.

إنّها ليست بثورة على التخلّف العلمي والتقني، ولا هي بثورة على التخلّف الاقتصادي والفقر، ولا هي بثورة على الاستعمار والاستغلال،

ولا هي بثورة من أجل تحرير آبار النفط من قبضة ملوك النفط، ولا هي بثورة طبقة على طبقة أُخرى (ثورة طبقية)، ولا هي بثورة المستضعفين على المستكبرين، كما حدث في ثورة الزنج في تأريخ الإسلام. وإن كانت تحتوي على هذه الأُمور جميعاً، وتحقّق هذه النتائج كلّها.

وإنّما هي في جوهرها شيء آخر، إذ أنّها ثورة الولاء لله على المحاور المصطنعة للولاء، وأنّها ثورة التوحيد على الشرك، وثورة الإسلام على الجاهلية.

وهذه الثورة إذا حقّقت غايتها على وجه الأرض فلسوف تقضي على التخلّف العلمي والثقافي والتقني، وتقضي على الفقر والتخلّف الاقتصادي، وتقضي على الاستغلال والاستعمار.

وتقضي على استثمار آبار النفط من قبل الشركات الاستعمارية. وتقضي على التلاعب بأموال المسلمين وثرواتهم، وتقضي على الاستضعاف والاستكبار، وعلى استضعاف طبقة من قبل طبقة أخرى وممارسة السيادة لطبقة على أُخرى.

إنّ هذه الثورة سوف تحقق كلّ هذه الغايات، وتحقّق غايات أُخرى أبعد من هذه الأُمور وأسمى منها. ولكن على أن تحافظ على جوهرها ومحتواها الحقيقي، فتبقى ثورة التوحيد على الشرك، ولا تندفع إلى الغايات الفرعية التي تتفرع عنها.

إنّ السمة البارزة والأُولى لهذه الثورة هي «الربانية»، وهذه السمة هي التي تربطها ببدر وعاشوراء، وبحركة الأنبياء عليهم السلام وبمسار الصالحين من

أولياء الله. ومتى أُفرغت الثورة من هذه السمة، وتشبعت بالأهداف والشعارات الجانبية فقدت كلّ قيمتها وفقدت تأييد الله تعالى لها.

إنّ هذه الثورة تختلف اختلافاً جوهرياً عن كلّ الثورات المعاصرة لنا، كالثورة الفرنسية وثورة اكتوبر والثورات التي قامت في القارة الافريقية وفي آسيا فيما بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم الحاضر.

حيث إنّ هذه الثورات - جميعاً - في افضل الفروض - كانت ذات صفة طبقيّة (ثورة طبقة على طبقة) أو صفة تحررية (التحرر من نفوذ وسيطرة الاستعمار الأجنبي أو التحرر من سيطرة حاكم ظالم). ولا نستطيع أن نستثني ثورة معاصرة إلينا عن هذه المنطلقات. وأما الثورة الإسلامية فهي الثورة الوحيدة التي انطلقت من منطلق آخر يختلف اختلافاً نوعياً عنها جميعاً؛ فانطلقت باتجاه تحرير الإنسان من المحاور البشرية للولاء، مهما كان نوع هذا المحور - ان لم يكن مرتبطاً ولاؤه بالله تعالى -؛ وتعبيد الإنسان لله تعالى وتحكيم شريعته في حياة الإنسان، وترسيخ محور الولاية الإلهية بكلّ إمتداداتها في حياة الإنسان

٢ - إنّ هذه الثورة حصيلة جهود كثيرة وكبيرة من قبل كلّ العاملين في سبيل الله والمجاهدين وطلائع العمل الإسلامي، من الذين وعوا محنة تخلّف الأمّة؛ وتحمّلوا المسؤولية ونهضوا بأعباء المسؤولية، وتقبلوا كلّ المتاعب التي واجهتهم على طريق ذات الشوكة؛ وهؤلاء العاملين في سبيل الله يشكّلون نسبة واسعة وكبيرة من العاملين في سبيل الله؛ في أقطار شتّى من أقاليم العالم الإسلامي، وعلى مستويات مختلفة من الثقافة والعلم

والنفوذ، وفي اختصاصات شتى من عقول العمل الإسلامي، إنّ هؤلاء جميعاً وفي عصرنا وقبل هذا العصر لهم دور في بناء قواعد هذه الثورة المباركة، وفي إنجاز هذه الحركة الربانية على وجه الأرض، وفي تحريك هذا السيل البشري الهادر الذي زعزع أركان الطاغوت.

إنّ الطالب الذي كان يدعو إلى الله ورسوله وتحكيم شريعة الله بين زملائه الطلبة له دور في بناء الثورة، والعامل له دور في هذه الثورة، والخطيب الذي كان يخطب في المساجد والاجتماعات وينشر هدى الإسلام ووعيه له دور في هذه الثورة، والعالم والكاتب والشاعر الأديب والمعلّم والنساء والرجال. وكلّ حملة الرسالة، والذين وضعوا حجراً في أساس هذه الثورة في مشارق الأرض ومغاربها لهم دور وسهم في هذه الثورة المباركة.

إنّ هذه الثورة الإسلامية العملاقة التي زلزلت الأرض تحت أقدام الطغاة وهدّدت كياناتهم ومصالحهم والتي قادها الإمام الخميني رحمه الله، وتقدم في طليعتها الشعب الإيراني المسلم الأبي الضيم؛ هذه الثورة الجبارة لم تكن حصيلة فترة زمنية محدودة، وجهد جماعة من العاملين والمجاهدين، وإنّما حصيلة أجيال من العمل في سبيل الله من قبل كلّ العاملين في حقول العمل الإسلامي، كما كانت هذه الثورة حصيلة كلّ الآلام والحرمان والاضطهاد والعذاب والعناء الذي لاقاه المسلمون في مرحلة الركود والضعف. وساهم في هذه الثورة كلّ من أُضطهد في سبيل الله، كلّ من إلتوت السياط على جسمه في غياهب السجون وكلّ

الدموع، وكلّ الدماء، وكلّ الآهات، وكلّ الهجرات التي كانت في سبيل الله.

...أجل إنّ هذه الثورة كانت إنفجاراً هائلاً لكل تلك الآلام والمحن، ولو كان الأمر في هذه الثورة الإسلامية يقتصر على العامل الثاني (ركام الآلام والعذاب)؛ لكان من الممكن أن تغلب على هذه الثورة صفة الغوغائية والتخريب والإنفعال؛ إلا أنّ وجود العامل الأول (المبدئية) وقوته وفاعليته في تحقيق هذه الثورة المباركة كان عاملاً قوياً في توجيه الثورة وتصحيح مسارها والمحافظة عليها من الانحراف.

لقد كان النفس الهادف الذي تم خلال هذه المدّة من قبل العاملين في سبيل الله يصبّ في مصب خط الإسلام النقي الخط الفقهي الذي تجسّد في قيادة الإمام الخميني، والذي عُرف فيما بعد بخط الإمام. لقد كان هنالك بالتأكيد خطوط انحرافية في العمل الإسلامي، عن يمين ويسار، ولكن هذه الخطوط لم تكن تشكّل تيار الحركة الإسلامية القويّة.

إنّ التيار كان يجري في اتجاه الخط الإسلامي الأصيل، ولقد كان للفقهاء والعلماء والمرجعيّة الإسلاميّة الرشيدة دور هام في توجيه هذا التيار وتنظيم مساره والمحافظة عليه.

ومهما كان من أمر فإنّ هذه الثورة كانت حصيلة كلّ هذه الجهود والآلام، ولقد ساهم في بنائها كلّ أولئك العاملين والمحرومين والمعذّبين في سبيل الله ولهذا السبب بالذات فإنّ لهؤلاء العاملين والمعذّبين والمحرومين علاقة عضويّة قويّة بهذه الثورة، سواء عاشوا في إيران أم في العراق أم في جزر اندونيسيا أم في أعماق افريقيا.

فإنّ هذه الثورة لهؤلاء جميعاً، وعلى هؤلاء جميعاً المحافظة على هذه الثورة وحمايتها ضدّ مخططات الإستكبار العالمي. فإنّ هذه الثورة واجهت مخطّطات رهيبة من قبل الاستكبار العالمي الشرقي والغربي، وسوف تستمر هذه المواجهة وتدوم. ومسؤولية المحافظة على هذه الثورة لا تقتصر فقط على الشعب الايراني الذي فجّر الثورة، وإنّما تعم المسؤولية كلّ أبناء هذه الثورة وبناتها والمساهمين فيها؛ فليست هذه الثورة ثورة إقليم كما يحاول أعداء الإسلام أن يبرزوها، وكما تنطلي أحياناً على بعض السذج من المسلمين، وليست ثورة إسلامية ايرانية، وإنّما هي ثورة إسلامية شاملة وعميقة ساهم فيها كلّ العاملين والمعذبين من المسلمين، وشاء الله تعالى أن تكون نقطة انفجارها في أرض إيران، وأن يكون الشعب الذي يفجّرها هو الشعب الإيراني المسلم. فأيّة محاولة لأقلمة هذه الثورة وعزلها عن مشاعر وأحاسيس وقلوب المسلمين هي خيانة لهذه الثورة، ان كانت من قبل أعداء هذه الأُمّة والمترَبّصين بها السوء، وهي سذاجة وجهل إن كانت من قبل هذه الأُمّة، ومن وراء هذه السذاجة خيانة. والغاية من هذه الخيانة عزل الثورة الإسلامية عن مشاعر المسلمين، وعن الرأي العام الإسلامي وتطويقها مقدمة للإجهاز عليها.

وعلينا نحن المسلمين أن نواجه هذه المؤامرة بوعي وإنتباه، وبعيداً عن جو الحسّاسيات، وفي جو من المسؤولية الشرعية.

إنّ هذه الثورة ليست ثورة إقليم، ولا ثورة قوميّة، وإنّما هي ثورة المسلمين جميعاً في مقابل الكفر العالمي والشرك، وإيران لا تريد أن

تكون نقطة بداية لانفجار هذه الثورة.

وإنّ كلّ الثورات التي تحدث فيما بعد في أقطار العالم الإسلامي، وباتجاه هذا الخط الرباني، تُشكّل مراحل مختلفة لثورة واحدة وشاملة، وهي ليست ثورات أُخرى في مقابل هذه الثورة، ولا امتدادات لهذه الثورة، وإنّما هي مراحل مختلفة لثورة واحدة شاملة وقد شاء الله تعالى أن تتمّ المرحلة الأُولى منها في إيران، وفي أحضان هذا الشعب المسلم المضحّي الشجاع.

أرأيت خطّ الزلزال والهزّات الأرضية التي تنطلق من نقطة، وتمتد على منطقة واسعة من الأرض بفعل التفاعلات الجيولوجية غير المرئية لنا في عمق الأرض؟ كذلك كانت هذه الثورة؛ لقد تمّ في عمق هذه الأُمّة تفاعلات واسعة وكبيرة وقوية بتأثير الفعل (العامل الأول) والانفعالات (العامل الثاني) في غياب من رصد الاستكبار العالمي، وحيث كان الاستكبار العالمي يزهو بانتصاراته الكبيرة على العالم الإسلامي، ويعيش في نشوة سلطانه وسيطرته على العالم الإسلامي؛ جرت هذه الإنفعالات في أعماق الأُمة الإسلامية وتفاعلت وتفاقمت، ثم كان الزلزال الذي هز الأرض من تحت أقدام حكّام البيت الأبيض والكرملين والاليزيه، ولم ينتبه هؤلاء الطغاة من نشوة وسكر السلطان إلّا بعد أن حدث الزلزال، وكانت نقطة البداية للزلزال في إيران، إلّا أن خط الزلزال كان خطاً طويلاً وممتداً، ولم ينقطع هذا الزلزال الحضاري الكبير، وإنّما يمتد خطه من طهران إلى بغداد إلى القدس.

إنّ الذي حدث في إيران في ٢٢ بهمن كان شيئاً أكبر بكثير من تصوراتنا السياسية المحدودة، وكان تحقيقاً لوعد الله سبحانه وتعالى للصالحين المستضعفين من عباده في هذه الأُمة ﴿ونُريد أن نمنّ على الذين استُضعفُوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكّن لهم في الأرض﴾.

وعلينا قبل كلّ شيء أن نعي بصورة جيدة الأبعاد الحقيقية لهذه الثورة، وأن ننشر هذا الوعي في صفوف المسلمين، لنحبط المؤامرات التي يحيكها أعداء الإسلام لتطويق ومحاصرة الثورة الإسلامية الكبرى المعاصرة في دائرة الإقليم والقوميّة الفارسية لتنعزل الثورة - بعد ذلك - عن الرأي العام الإسلامي وعن مشاعر المسلمين.

إنّ الذي يتابع كلام الإمام الخميني قائد الثورة، يجد وعياً دقيقاً لهذه المؤامرة، وسعياً وافراً لإحباطها.

ومن هنا فإنّ ربط مصير المسلمين جميعاً بهذه الثورة سنّة وشيعة وعرباً وفُرساً وأتراكاً وأكراداً، وإيرانيين وعراقيين ولبنانيين، وعلماء وساسة وعمالاً، وتعميم مسؤولية المحافظة على هذه الثورة على المسلمين جميعاً هو واجب على كلّ مسلم؛ إذ أن هذه الثورة من عمل وجهد وعناء كلّ المسلمين الصالحين، ورسالة هذه الثورة فك الأغلال وكسر القيود عن أيدي وأقدام كلّ المسلمين، ومسؤولية المحافظة على هذه الثورة من واجب كلّ المسلمين كذلك، ومن أجل هذه الشمولية الواسعة في هذه الثورة نجد أنّ فكرة تصدير الثورة رافقت ولادة هذه الثورة ومن كلمات قائد الثورة بالذات.

إنّ مَن يعرف طبيعة وجذور وأعماق هذه الثورة يعرف جيداً أنّ هذه الثورة لا تعترف بالحدود الاقليمية والقومية، وأنّها لا تقف من وراء الحدود، تستأذن سدنة هذه الحدود ليفتحوا لها الطريق، إنّها السيل، لا تستأذن ولا تقف ولا تعترف بالحدود ولا تنتظر ولا تتردّد. ووعي هذه الحقائق ضروري في حماية ودعم الثورة، كما أنّ تضبيب أُفق الثورة بالحسّاسيات يساعد في الخط العكسي الذي تعمل عليه العقول المخطّطة للإستكبار العالمي.

ونحن نضع هذه الحقائق عن هذه الثورة بين يدي هذه الأُمّة المؤمنة ومفكّريها وقادتها وعلمائها والعاملين في صفوفها وضميرها الحيّ، الواعي، المستنير؛ ليتحمّلوا مسؤوليتهم عن هذه الثورة بين يدي الله تعالى.

٣ - إنّ هذه الثورة من أيّام الفرقان في تأريخ الإسلام إذ أنّها شطرت الناس تجاهها شطرين: شطر الموالين، وشطر المعادين.

ولكن، ليس للثورة ولاء جديد في قبال الولاء لله ولرسوله ولأوليائه، وإنّما ولاؤها هو من امتداد الولاء لله. إنّ هذه الثورة كانت من الأحداث القليلة النادرة في التأريخ التي لم تسمح لإنسان أن يقف فيها موقف المتفرّج واللامبالاة، وإنّما تطلب الموقف من كلّ الناس، وتفرض الموقف على كلّ الناس، لها أو عليها.

ومنذ أيام بزوغ هذه الثورة، ومنذ أن إندلع لهيبها من طهران وجدنا كلّ القلوب المؤمنة والضمائر الحيّة المؤمنة قد تجمّعت حول هذه الثورة

وتعاطفت معها من أقصى الجنوب في جزر أندونيسيا إلى أقصى الشمال من الولايات الإسلامية التي يحتلّها الاتحاد السوفيتي، ومن أقصى شرقي آسيا إلى أقصى المغرب الأفريقي.

لقد تجمّعت كلّ العواطف والأحاسيس والمشاعر الصادقة المؤمنة في هذه الرقعة الواسعة من الأرض حول هذه الثورة المباركة، وكانت تعيش بإهتمام بالغ ساعات ميلاد هذه الدولة المباركة. وحبس التأريخ أنفاسه ليتابع لحظات هذا الميلاد السعيد، لحظات (عودة الحضارة الربّانية) و (عودة سيادة الإسلام على وجه الأرض) و (حاكميّة الله في حياة الإنسان) بعد تلك السنوات العجاف من الركود والخمول والضعف والهزائم النفسية والإنصهار المذلّ في حضارة الإستكبار الشرقي والاستكبار الغربي الجاهلي، ونفوذ وسيطرة الكفر العالمي على أُمّتنا وبلادنا وثرواتنا.

وفي مقابل ذلك: فقد أحسّ الظالمون والعتاة والجلادون والذين باعوا دينهم وضمائرهم، وكلّ الطغاة والجبارين في الأرض؛ كلّ أُولئك أحسّوا بالشرّ، وأحسّوا بالخطر، وأحسّوا بأنّ هناك حدثاً جديداً، وميلاداً جديداً في طهران، وأنّ الذي يجري في طهران ليس أمراً كسائر الأمور التي تجري هنا وهناك، إنّه نهاية لمرحلة وبداية لمرحلة، ونهاية لحضارة وبداية لحضارة. لقد أحسّ هؤلاء بالشرّ، وبالخطر يفاجئهم على حين غفلة؛ فأعلنوا عداءهم تجاه الثورة منذ اللحظات الأُولى، ولم يخفوا حساسيتهم وتخوّفهم من هذه الثورة من ساعاتها الأُولى.

لقد استقبلت الثورة من قبل طائفتين من الناس: فطائفة استقبلتها بقلوب ملؤها العطف والحبّ والإقبال والإندفاع لنصر الثورة، والدعاء إلى الله بتأييد الثورة، وطائفة أُخرى استقبلتها بقلوب حاقدة متخوّفة ومتحسّسة، ولم تتمكن من إخفاء تخوّفاتها وحساسيتها حتّى منذ الساعات الأُولى لميلاد هذه الدولة المباركة وانتصار الثورة.

وهذا الإنشطار في الولاء والبراءة من خصائص أيّام الفرقان في التأريخ، ولسوف تبقى هذه الثورة تحتفظ بهذه الخاصية المزدوجة في مراحلها المختلفة.

٤ - ولقد كان من الطبيعي أن يكون ميلاد هذه الدولة المباركة وانتصار هذه الثورة إيذاناً بصراع ممتد طويل بين الإسلام والجاهلية فلقد كانت هذه الثورة تمتد لإسقاط معاقل الجاهلية والاستكبار على وجه الأرض، وإطلاق ايدي المستضعفين من العقال والقيود وفكّ الأغلال عنهم، وكسر هيبة القوى الكبرى في نفوس المسلمين؛ ولهذا فلا يمكن أن يسكت الاستكبار العالمي أمام هذه الموجة الربانية دون إثارة الفتن والمتاعب في طريق الدعوة والثورة، ودون أن يعمل على تطويق ومصادرة هذه الثورة.

إنّ الذي يتفهم سنن الله تعالى في التأريخ يستطيع أن يفهم بوضوح حتمية الصراع بين هاتين القوتين: القوة الإسلامية النامية وقوة الكفر العالمي، وإنّ هذا الصراع سوف يكون من أقسى أنواع الصراع وأطوله وأكثره دواماً واستمرارية؛ ذلك أنّ هذا الصراع صراع على البقاء كما قلنا،

والصراع على البقاء يطول ويقسو ويستمر؛ فالصراع منّا صراع في العقيدة والحضارة، وليس صراعاً على ماء وطين وعلى نفط وصلب ونحاس حتى يمكن التفاهم واللقاء، فلا يمكن تجنّب هذا الصراع بحال من الأحوال.

إنّ هذه الثورة والدولة قد كسرتا دائرة النفوذ الاستكباري (الشرقي والغربي) على العالم الإسلامي؛ وخرجت الدولة الإسلامية لأول مرّة عن منطقة نفوذ القوى الكبرى بشكل كامل، وتعمل الثورة الآن لفكّ هذا الحصار عن كلّ العالم الإسلامي. ومن الطبيعي أن يواجه الاستكبار هذه الثورة ودولتها الناشئة بكل أنواع الضغوط والمؤامرات من الداخل والخارج لتحجيمها واستهلاكها وتطويقها!

إنّ الحرب العراقية الإيرانية جزء من هذا المخطّط الاستكباري الرهيب؛ وجزء من هذا الصراع الحي الذي تحدّثنا عنه. والنظام العراقي ليس هو الطرف في هذه الحرب، وإنّما هو منفّذ لإرادة القوى الكبرى، والطرف الحقيقي في هذا الصراع هي الدول الكبرى التي تتقاسم فيما بينها الشعوب المستضعفة والمضطهدة على وجه الأرض.

إنّ الثورة الإسلامية يجب أن تواجه الصراع الطويل والقاسي، ويجب أن تستمر خلال حياتها في مواجهة الأمر الواقع الذي لا يمكن تجنّبه، وتعتبر ذلك ضريبة الثورة والإنجازات الكبرى التي تحققها هذه الثورة في حياة الإنسان؛ على أن الثورة لا تستطيع أن تحقق هذه الإنجازات الكبرى، ولا تستطيع أن تؤهل أبناءها للقيام بأعمال كبيرة، ومواجهة

التحدّيات الصعبة، من دون أن يتمرّسوا طويلاً في هذا الصراع.

٥ – والعاقبة في هذا الصراع للمتقين. ومهما نشك في شيء فلا نشك في هذه الحقيقة. إنّ الأمة المؤمنة لا تدافع عن نفسها، وإنّما تدافع عن دين الله وشريعة الله وحدوده، ولا تواجه أعداءها وإنّما تواجه أعداء الله. ولا تحارب بحولها وقوّتها وإنّما تحارب بحول الله وقوّته.

فإذا استوفت هذه الأمّة الشروط ووضعت ثقتها في الله، وأعطت نفسها الله، وتخففت عن التعلّق بالدنيا وحبّها وتحصّنت عن أهوائها، وقامت لله تعالى مثنى وفرادى؛ فإنّ الله تعالى ينصرها طال عليها الأمر أم قصر.

فإنّ ذلك وعد الله تعالى، ولا يخلف الله وعده. فلنستمع إلى كتاب الله الكريم وآياته إلينا:

﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنّهم لهم المنصورون، وإنّ جندنا لهم الغالبون﴾[١]

﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾[٢]

﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾[٣]

﴿فإنّ حزب الله هم الغالبون﴾[٤]

(١) سورة الصافات: ٧٣.
(٢) سورة الروم: ٤٧.
(٣) سورة غافر: ٥١.
(٤) سورة المائدة: ٥٦.

﴿وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً﴾[(١)]

﴿وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾[(٢)]

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[(٣)]

إنّ المعركة إذا طالت، وإذا قست، فلن يتركنا الله لأعدائنا، ولن يتخلّى الله تعالى عنا، ولن يخلف الله وعده، تبارك وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

﴿هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾[(٤)]

وإنّ محنة الصراع إن طالت فلكي يمتحن الله قلوب عباده، ويعرف الثابتين منهم عن المهزومين - وهو العالم بخفايا القلوب -، ولكي يثبت الله للمؤمنين قدم صدق على أرض المعركة؛ ولكي يتخفّف المؤمنين في هذا الصراع من حبّ الدنيا والتعلّق بها. ولكي يزدادوا يقيناً بالله تعالى في خضم هذا الصراع؛ فإنّ الإنسان لا يرزق اليقين في أيام الراحة والعافية كما يناله في ساعات الابتلاء.

ولكي يتمرّس المؤمنون على مواجهة التحدّيات الكبيرة وتجاوز الصعاب في سبيل الله ويزدادوا بأساً وقوة وشجاعة ولكي يقوى في قلوبهم الولاء والبراءة، فإنّ الولاء يقوى من خلال التضحية والعطاء، والبراءة تقوى من خلال المواجهة والقتال.

---

(١) سورة النساء: ٤٥.
(٢) سورة الفرقان: ٣١.
(٣) سورة محمّد: ٧.
(٤) سورة الأحزاب: ٢٢.

وليس هذا الصراع وما يستتبعه من آلام وعناء يخصّ هذه الثورة أو يخصّ هذا الدين، وإنّما هو سنّة الله تعالى في حياة الصالحين من عباده، الذين يرتضيهم الله تعالى لرحمته، والذين يسكنهم الله تعالى في جنّته مع عباده الصادقين.

﴿أم حسبتم أن تُتركوا، ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون﴾(١)

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضرّاء﴾(٢)

إنّ نفوسنا الضعيفة لتهوى أن تقتطف النصر من أقرب الطرق وبأيسر الأسباب، وأن لا يُكلّفها دينها شيئاً. وأن تمدّ أيدينا فتنال النصر والإمامة والخلافة على وجه الأرض .

لكن الله الحكيم يعلم إنّ النصر إذا جاء يسيراً وعلى غير طريق ذات الشوكة لا يؤهّل الإنسان للإمامة وخلافة الله على وجه الأرض، فيريد الله تعالى لنا أن نتمرّس ونقوى، ونحقّق حاكمية دين الله في الحياة عبر طريق ذات الشوكة.

﴿وتودون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم، ويريد الله أن يحقّ الحقّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾(٣)

---

(١) سورة التوبة: ١٦.
(٢) سورة البقرة: ٢١٤.
(٣) سورة الأنفال: ٧ و ٨.

ولنستمع إلى هذه الآيات البينات من كتاب الله من سورة آل عمران تشرح سنن الله تعالى في الصراع، والعناء والمحنة، والنصر والفتح في تسلسل رائع جميل.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[1]

وفي هذه الآيات المباركة من سورة آل عمران اجابات شافية على كل الأسئلة التي تخطر على باب المؤمنين في هذا الصراع الرهيب بين الإسلام والكفر.

لقد كان المسلمون يظنون بعد أن نصرهم الله تعالى ببدر.. أن النصر حليف الفئة المؤمنة دائماً، ولا يفارقهم ولا يعدوهم، وأنهم إذا آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله فلن يتخلفوا عن النصر في حال من الأحوال. فلما أذاقهم الله مرّ الهزيمة في أُحد، وانتكس المسلمون في هذه المعركة عندما خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ وتخلوا عن مواقعهم بحثاً عن الغنائم.. اهتزت نفوس المسلمين واهتزت الثقة في نفوسهم بالنصر، وعادوا يشكّون في أن تكون لهم عاقبة الأمر، وغلب الضعف على النفوس وتمكن الحزن من نفوسهم على الذين استشهدوا في هذه

(١) آل عمران: ١٣٩ ـ ١٤٢.

المعركة من سراة المسلمين، ومن الصفوة المؤمنة الذين صدقوا الله وأخلصوا له في العمل والجهاد.

فيعيد الله تعالى الى نفوسهم الثقة بالنصر أولاً ويطمئنهم بأن العاقبة للمؤمنين: منهما كانت القروح والآلام والانتكاسات والعناء خلال طريق ذات الشوكة، ويمسح الضعف والوهن والحزن عن نفوسهم ويثبت أفئدتهم وقلوبهم بالنصر والعلو ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ .

ثم يذكّرهم الله تعالى ان ما مسّهم من القرح في الحرب لم يخصّهم فقط، وإنّما مسّ أعداءهم أيضاً، وهذا القرح وما يصيب المقاتلين من أذى وتعب وخسائر من متطلبات المعركة في كلّ من الطرفين، ولا يمكن أن تجري معركة من دون قروح وآلام:

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ...﴾ .

وقد جرت سُنّة الله تعالى أن يداول الأيام بين الناس فيجعل يوماً للمؤمنين على الكافرين، وآخر للكافرين على المؤمنين، وينصر هؤلاء في يوم ويذيقهم مرّ الانتكاسة في يوم آخر.. وهكذا يداول بينهم النصر... على أنّ العاقبة للمؤمنين فقط. وهذه المداولة لا تغير مشيئة الله تعالى في أن العاقبة للمتقين.

وإنّما يداول الأيام بين الناس، ويذيق المؤمنين الشدّة والرخاء، ونشوة النصر حيناً ومرارة الهزيمة حيناً آخر ليتميز الذين آمنوا وصدقوا في إيمانهم وثبتوا على الإيمان عن المنافقين وضعاف النفوس وأصحاب

النفوس المهزومة.

فانّ مسيرة الدعوة لو كانت محفوفة بالنصر والغنائم دائماً، ومقرونة باليسر والرخاء لتراكمت عليها العناصر المنافقة والمناصر التي تحسن التسلق، أولئك الذين يغيبون حين البأس، ويحضرون حين توزيع الغنائم، وتطول ألسنتهم في المطالبة بالغنائم والحصص.

﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت﴾.

إنّ مسيرة الدعوة لو كانت تخلو من المكاره ومرارة الإنتكاسات لتجمّعت حولها هذه الطائفة من المنافقين، وضعفاء النفوس، واحتلّوا منها المواقع الحساسة. واذا ما تولّت هذه الطائفة أمور الدعوة والمسيرة تعطّل دورها القيادي في حياة الناس، وفقدت الدعوة قدرتها على التغيير والقيادة وتحوّلت الدعوة من طريق ذات الشوكة في مواجهة الطاغوت إلى مسيرة مترفة عامرة باللّذات ومتع الحياة، وفقدت كلّ إمكاناتها على العمل والتغيير والحركة.

فلابدّ في هذه المسيرة بين حين وآخر من إنتفاضة قوية تطرد المنافقين وضعفاء النفوس عن موكب هذه الدعوة، وتستخلص المؤمنين الأقوياء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأخلصوا الله في عملهم.

فليست مسيرة هذه الدعوة كسائر ما يألفه الناس من مسيرات الأنظمة والحكومات التي تطلب الحياة الوديعة المترفة والعافية والابتعاد عن المنغّصات حتّى تستطيع أن تعيش مع هؤلاء المنافقين، وتحقّق

غاياتها من خلالهم.

أمّا عندما تتعرض هذه المسيرة للآلام والمحن والمصائب ومتاعب الطريق والدم والانتكاسات المرّة فإنّ جوّ الدعوة يصفو للمؤمنين، وتخلص هذه المسيرة للصفوة الصادقة من المؤمنين المجاهدين، ويتميّز المؤمنون عن غيرهم ﴿وليعلم الله الذين آمنوا﴾[1]، وليس هذا فقط فائدة تداول الأيام وتناوب النصر والهزيمة والشدّة والرخاء على المؤمنين، وإنّما لكي يتخذ الله منهم شهداء وقدوات وأئمة في الأرض أيضاً.

فمن خلال هذه المعاناة، ومن خلال مرارة الانتكاسات وقروح الحروب، وآلام المواجهة تتكون في هذه الأُمة شهداء (بمعنى شهداء الأعمال من قبيل قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾[2]... وقدوات دائمة وأمثلة في الثبات والصبر والإيمان.

إنّ النماذج الإيمانية الفريدة في تأريخ البشرية لا تتكون في الحياة الهادئة الوديعة المترفة، وإنّما تتكون في زحام متاعب الحياة، وفي وسط متاعب العمل، وبين الدماء والدموع.

ولابدّ للمسيرة من هذه النماذج الفريدة في الإيمان والثبات؛ وهذه النماذج يتخذها الله تعالى ويختارها في ظروف المحنة والتداول ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾[3]، ثم لهذا التداول فائدة ثالثة في تكوين هذه الأُمة وتقويم

---

(١) آل عمران: ١٤٠.
(٢) سورة البقرة: ١٤٣.
(٣) آل عمران، آية ١٤٠.

شخصيتها؛ وهي أنّ هذه القروح والآلام والمتاعب لتمحّص المؤمنين وتزكيهم وتطهّر قلوبهم من ريب الشكّ، ومن سلطان الأهواء وتخلّص نفوسهم من نقاط الضعف، فلربّ إنسان مؤمن تخفى عليه نقاط الضعف والوهن في نفسه في أيام اليسر والعافية؛ فإذا جدّ الجدّ واشتد البأس اكتشف نقاط الضعف في نفسه، فأعاد النظر في نفسه وأصلحها.

فربّ ضعف في نفس الإنسان لا يستطيع أن يسدّه الإنسان ويصلحه في أيام العافية، وإنّما تصلحه الشدة والمعاناة. فإنّ المعاناة والشدّة كما تصفّي صفوف المؤمنين من المنافقين، كذلك تصفّي نفوس المؤمنين من نقاط الضعف والوهن والشكّ، وتمحّص المؤمنين.

أمّا بالنسبة إلى الكافرين فإنّ المعاناة والمحنة تمحقهم وتهلكهم وتبيدهم، فلا يستطيع أولئك أن يقاوموا المعاناة والمحنة.

﴿ وليمحص الله الذين آمنوا، ويمحق الكافرين ﴾

وبعد: فليس من الصحيح أن نتصور أنّ كلّ من شهد هاتين الشهادتين وأسلم أو آمن بالله ورسوله يدخل الجنة؛ فإنّ في الناس منافقين لا تتجاوز الشهادتان ألسنتهم، ولا تستقرّ في قلوبهم.

والمؤمنون درجات ومراتب في إيمانهم؛ فليس كلّهم بمستوى واحد من الإيمان والعمل الصالح.

فهناك المؤمنون الذين يؤثرون العافية على الجهاد والقتال في سبيل الله.

وهناك المؤمنون المجاهدون.

وهناك المؤمنون المجاهدون الصابرون.

ومن الخطأ أن تتصور أنّ هؤلاء جميعاً في الجنة في درجة واحدة. فلكل درجته وبرتبته ومكانته عند الله. وهذه المرتبة والمكانة تتحدّد في ظروف المحنة فقط؛ حيث يتميز المؤمن عن المنافق، ويتميز المجاهدون عن غيرهم من المؤمنين، ويتميز الصابرون عن غيرهم من المجاهدين.

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة، ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم، ويعلم الصابرين﴾.

٦ - وهذه الثورة المباركة بداية انعطاف كبير في تأريخ وحضارة الإنسان، وأمر ذو بال وذو خطر كبير في حياة الإنسان ومستقبله. والذي يستقرئ الروايات الواردة عن رسول الله ﷺ وعن أهل بيته لا يشك في أنّ هذه الثورة بخصائصها البارزة وقيادتها سوف تمهّد للانقلاب الكبير في تأريخ الإنسان، ولظهور الإمام المهدي من آل محمّد عجّل الله فرجه.

وإنّ اليوم الموعود الذي وعدنا الله تعالى به ورسوله بقيام دولة الإسلام الكبرى، وتمكين المستضعفين من الأرض وقيام الإمام المهدي بثورته الكبرى في الأرض لقريب إن شاء الله، وأنّ هذه الثورة توطّيء الأرض لتلك الثورة الكبرى، وتمهّد الأُمة لظهور وقيام القائم من آل محمّد ﷺ، وفيما يلي ننقل إضمامة من هذه الروايات:

«عن عبد الله بن مسعود قال: أتينا رسول الله ﷺ فخرج إلينا مستبشراً يعرف السرور في وجهه، فما سألناه عن شيء إلّا أخبرنا به، ولا سكتنا الا

ابتدأنا، حتّى مرّت فتية من بني هاشم فيهم الحسن والحسين، فلمّا رآهم إلتزمهم وانهملت عيناه فقلنا: يا رسول الله، ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟ فقال:

«إنّا أهل بيت، إختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد حتّى ترتفع رايات سود في المشرق، فيسألون الحق فلا يعطونه، ثم يسألونه فلا يعطونه، ثم يسألونه فلا يعطونه فيُقاتلون فيُنصرون، فمن أدركه منكم أو من أعقابكم فليأت إمام أهل بيتي ولو حبواً على الثلج، فإنها رايات هدى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي يواطئ إسمه إسمي واسم أبيه اسم أبي فيملك الأرض فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[١]

وروى المجلسي في بحار الأنوار ج ٥١ ص ٨٣ و ج ٥٢ ص ٤٣، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه ثم يطلبونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه، حتّى يقوموا، ولا يدفعونها إلّا إلى صاحبكم (اي المهدي عليه السلام) قتلاهم شهداء، أمَا إنّي لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر».

وروي في البحار ج ٦٠ ص ٢١٦ عن بعض أصحابنا قال: كنتُ عند أبي عبدالله عليه السلام جالساً إذ قرأ هذه الآية ﴿فإذا جاء وعد أُولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أُولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً﴾ فقلنا: جُعلنا فداك! مَن هؤلاء؟ فقال ثلاث مرّات: هم والله أهل قم، هم والله أهل قم، هم

(١) المستدرك على الصحيحين: ٤/٤٦٤.

والله أهل قم .

وروي في البحار ج ٦٠ ص ٢١٦ و ٤٤٦ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحق يجتمع معه قوم كزبر الحديد لا تزلّهم الرياح العواصف، ولا يملّون من الحرب ولا يجبنون، وعلى الله يتوكّلون، والعاقبة للمتّقين»

وروي في البحار ج ٦٠ ص ٢١٣ عن علي بن ميمون الصائغ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «وسيأتي زمان تكون بلدة قم وأهلها حُجّة على أهل الخلائق وذلك في زمان غيبة قائمنا إلى ظهوره، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها»

وروي بأسانيد أُخرى أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه ذكر الكوفة وقال: «ستخلو الكوفة من المؤمنين، ويأزر عنها العلم كما تأزر الحيّة، يظهر العلم ببلدة يقال لها قم، وتصير معدناً للعلم والفضل حتّى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتّى المخدرات في الحجال، وذلك عند قرب ظهور قائمنا، فيجعل الله قم وأهلها قائمين مقام الحجّة، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها ولم يبق في الأرض حجّة فيفيض العلم منها إلى سائر البلاد في المشرق والمغرب فتتمّ حجّة الله على الخلق حتّى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين والعلم، ثم يظهر القائم ويصير سبباً لنقمة الله وسخطه على العباد لأنّ الله لا ينتقم من العباد إلّا بعد إنكارهم حجّته»

وقال صاحب تفسير الكشّاف ج ٤ ص ٣٣١ في تفسير قوله تعالى: ﴿وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم﴾، قال: وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن القوم، وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه، وقال: هذا وقومه. والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال

من أهل فارس.

فهذه إضمامة من الروايات التي تشير إلى استمرارية هذه الثورة المباركة حتى ظهور الإمام المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله، وإنّ هذه الثورة المباركة، والتي تتسع رقعتها إن شاء الله في أجزاء واسعة من المنطقة الإسلامية من الأرض سوف تمهّد لظهور وقيام الإمام المهدي عجل الله فرجه*.

(*) نحيل القارئ في شرح وتحليل هذه الروايات وتطابقها مع ظروف الثورة الإسلامية المباركة في يومنا الحاضر والقرائن والشواهد المؤيدة لذلك إلى كتاب (الممهّدين للمهدي) للشيخ علي الكوراني.

عزّ الأمة الاسلامية وكرامتها في أهداف الثورة الحسينية

الشيخ محمد مهدي الآصفي

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الثورة الحسينية رمز العزّة والكرامة للأمة الإسلامية:

كان الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام قد عقدا العزم على إعلان الخروج على سلطان بني أمية، عندما تسمح الظروف بعد موت معاوية.

وقد أظهرا ذلك لشيعتهم أكثر من مرة. وكانت خطة الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام في ذلك واحدة في الموقف من بني أمية.

ويضاف أن مجاميع من شيعة العراق كتبوا الى الحسين عليه السلام، بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام ، يدعونه للخروج على معاوية وإعلان الثورة، رافضين موقف الإمام الحسن من الصلح، فكتب إليهم الحسين عليه السلام:

«صدق أبو محمد، فليكن كل رجل منكم حِلساً من أحلاس بيته، مادام هذا الإنسان [معاوية] حيّاً»[1].

وشاء الله تعالى أن ينفذ غدر معاوية في الإمام، ويستشهد الإمام قبل هلاك معاوية، وتولّى الحسين عليه السلام الإمامة وقيادة المعارضة ومسؤولية الثورة والحركة من بعد أخيه.

فكان موقف الحسين عليه السلام بعد وفاة المجتبى هو استمرار موقف أخيه الحسن من قبل تجاه معاوية.

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٢١.

فكتب إليه أهل العراق أن يخرج بهم على معاوية فلم يستجب الإمام الحسين لرأيهم وكتب إليهم:

«أما أخي فأرجو أن يكون الله قد وفقه وسدّده فيما يأتي، وأما أنا فليس رأيي اليوم ذلك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض واكمنوا في البيوت واحترسوا من الظنّة ما دام معاوية حياً»[1].

إلّا أن تحركاً سياسياً كان يجري في الحجاز في الكتمان في جوّ المعارضة يقوده الإمام الحسين ﷺ، ويوجهه لتأليب المسلمين ضد سلطان بني أُمية وتمهيد الأجواء للخروج عليهم بعد موت معاوية.

فقد كان الإمام ﷺ على اتصال بوجوه المسلمين من العراق والحجاز، يزورونه ويأخذون برأيه، ورغم أن هذه الاجتماعات كان يغلب عليها طابع السرية إلّا أنها كانت لا تغيب عن عيون بني أُمية وجواسيسهم؛ فكتب مروان عامل معاوية على المدينة الى معاوية:

(أنّ عمر بن عثمان ذكر أن رجالاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون الى الحسين بن علي، وأنه لا يؤمن وثوبه، وقد بحثت عن هذا فبلغني أنه يريد الخلاف يومه هذا، فاكتب إليّ برأيك)[2].

فكتب إليه معاوية أن يتجنّب مواجهة الحسين ما أمكنه ذلك.

ومهما يكن من أمر فقد كان الحسين ﷺ قد عزم على الخروج على سلطان بني أُمية إذا مات معاوية وكانت الظروف مؤاتية، وكان قد أعد

(١) الأخبار الطوال: ٢٢٢.
(٢) الأخبار الطوال: ٢٢٤.

شيعته لذلك التفكير في إسقاط النظام والاستيلاء على السلطة.

لا نشك في أن الإمام لم يكن يطلب في ثورته الشهيرة، وخروجه على يزيد بن معاوية إسقاط النظام الأُموي عسكرياً، والاستيلاء على السلطة. فلم يكن للإمام من أعوان يعتمد عليهم في حركته وخروجه في غير العراق. فقد كانت مصر والحجاز بعيدتين كل البعد عن ظروف الثورة والحركة، وكانت الشام القاعدة المتينة التي ينطلق منها يزيد بن معاوية، ويحتمي بها في حماية ملكه وسلطانه.

ولم يكن هوى أهل العراق معه من غير شيعته؛ فقد كان الإمام يعلم جيداً أنّ من غير الممكن الاعتماد على الكثرة من أهل العراق، فهم مع الطرف المنتصر، ومن الخير له ولثورته ألا يلتحقوا بهم، فإنهم سوف ينفرطون عن جيشه كما انفرطوا من جيش أخيه الحسن من قبل، أو أسرع وأيسر من ذلك، ويفتون في عضده وعضد أصحابه وشيعته الذين ثبتوا من قبل في جيش أخيه الحسن عليه السلام، وهم قلّة لا يكوّنون قوة عسكرية تصمد أمام جيوش الشام.

ولقد صدقت نبوءة الفرزدق للإمام حين التقى به في الشقوق[1] فأقبل على الإمام وقبّل يده، فسأله الإمام كيف خلّفت أهل الكوفة؟

فقال: خلّفت الناس معك، وسيوفهم مع بني أُمية، فقال له الحسين عليه السلام: «صدقت وبررت، إنّ الأمر لله يفعل ما يشاء»[2].

---

(١) منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة، معجم البلدان: ٥/ ٢٨٣.
(٢) أنظر الفتوح لابن الأعثم: ٥/ ١٢٤، ومقتل الخوارزمي: ١/ ٢٢٢.

ولم تكن تجربة الإمام الحسن عليه السلام بعيدة عن الحسين، ولم يكن الإمام الحسين بأقدر من أخيه في تجميع قوة عسكرية لضرب سلطان بني أُمية وإسقاط النظام. إن لم تكن ظروف الحسين عليه السلام أسوأ من ظروف أخيه الحسن. فقد استقرّ لبني أُمية السلطان، وامتدّ نفوذهم، وعمل معاوية بدهائه المعروف في تحكيم أصول حكم بني أُمية، وامتداد نفوذهم وشراء الضمائر ونشر الرعب والإرهاب في أجواء المعارضة، واكتساح الأكثرية التي يتحكّم فيها الإرهاب والإغراء، ويميلون دائماً الى الجهة المنتصرة القوية في الساحة.

فلم يكن حدَثٌ حدثٌ جديد في الساحة السياسية والعسكرية على ما عرفناه في عهد الإمام الحسن عليه السلام غير أمرين اثنين:

أحدهما: استحكام قواعد سلطان الأُمويين وامتداد نفوذهم في البلاد.

والثاني: انتشار الفساد في جهاز بني أُمية الى حد الاستهتار والابتذال في حياة يزيد وحكومته.

والأمر الأوّل: لم يكن لصالح الإمام في التفكير في تحرك عسكري لإسقاط النظام؛ فقد كانت تجربة الإمام الحسن بعد حيّة في نفوس الشيعة؛ حيث لم يستطع جيش العراق أن يقاوم سلطان بني أُمية بعد وفاة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

فما ظنّك بهذه القوة العسكرية، بعد أن استحكم لبني أُمية الحكم والسلطان، وامتدّ لهم النفوذ في البلاد واستتبّ لهم الأمر؟

وأمّا الأمر الثاني: وإن كان ينفع في تحريك الأقلية المعارضة الواعية من

الشيمة، إلّا أنه لم يكن ينفع ـ بالتأكيد ـ في تحريك الأكثرية التي ألِفت هذا الفساد واستسلمت له، بل وأعانت عليه.

فلم يكن يصفو ـ إذن ـ للإمام الحسين من القوة العسكرية غير ما صفا لأخيه الحسن عليه السلام من قبل، وهم الثابتون من شيعته ومواليه؛ ولا يمكن أن يفكّر الإمام ـ بكل تأكيد ـ أن يجازف بهذه القوة المحدودة لإسقاط النظام الأُموي الرهيب بعد أن أخفقت محاولة أخيه الإمام الحسن، في ظروف أحسن من ظروفه، وبقوة عسكرية أقوى من الجيش الذي كان يعدّه له العراق بعد موت معاوية.

وهذا التشخيص ليس مما نضيفه نحن من عندنا الى الظروف التي رافقت خروج الحسين عليه السلام وثورته، وإنما نجده عند كل الذين نصحوا الإمام بالإعراض عن الخروج الى العراق، ممن كان يعزّ عليهم أن يواجه الإمام تجربة أخيه الإمام الحسن مرة أُخرى في العراق، كعبدالله بن عباس وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب وغيرهم.

ونجد هذا التشخيص بالذات في كلمات الإمام الحسين عليه السلام بصورة مؤكدة ومتكررة قبل الخروج الى العراق وبعده.

ونذكر هنا نموذجين فقط من خطب الإمام التي توحي بصورة قوية؛ الى أن الإمام كان مُقدِماً على الشهادة والتضحية، ولم يكن يفكّر في عمل عسكري لإسقاط النظام عسكرياً.

أحدهما: في الحجاز قبل أن يفارق مكة الى العراق. والثاني: في كربلاء.

أما الخطبة الأُولى: فهي يرويها ابن طاووس في اللهوف.

قال عليه السلام: روي أنه عليه السلام، لما عزم على الخروج الى العراق، قام خطيباً فقال: «الحمدلله، وما شاء الله، ولا قوة إلّا بالله، وصلّى الله على رسوله. خُطّ الموت على ولد آدم، مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني الى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف. وخُيّر لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّ بها عينه، وينجز بهم وعده، فمن كان باذلاً فينا مهجته وموطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله»[١].

ولسنا نحتاج الى التعليق على هذه الخطبة فهي واضحة في أن الإمام عليه السلام كان يعدّ أصحابه لحركة مأساوية، قوامها التضحية والدم والشهادة، ولا يطمح فيها الى أي نصر عاجل.

فها هو يبدأ خطابه مع أصحابه بالموت الذي يطوق ابن آدم، كما تطوق القلادة جيد الفتاة.

ثم يخبر عن مستقبل هذه الحركة المأساوية فيقول: «كأني بأوصالي تقطّعها عسلان (ذئاب) الفلوات» .

ثم يطلب النصرة من المسلمين، ولكن بهذه الطريقة الفريدة: «فمن كان باذلاً فينا مهجته موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا».

---

(١) اللهوف للسيد ابن طاووس: ٥٣. طبعة اصفهان ١٣٦٦ هـ. ش ، ونفس المهموم للمحدّث القمي: ١٦٣ مكتبة بصيرتي في قم ١٤٠٥ هـ ق، وص ٧٠ مطبعة العرفان صيدا ١٣٣١ هـ.ق.

إنّ الإمام لا يشير في هذه الخطبة الى أي هدف عسكري بالمعنى المعروف في الأعمال العسكرية، وإنّما يعد أصحابه لتضحية مأساوية دامية، ويطلب ممن يريد أن يرافقه أن يعدّوا أنفسهم للقاء الله ولبذل المهج في سبيل الله.

والخطبة الثانية خطبها الحسين بذي حسم من منازل العراق فقال:

«ألا ترون الى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإني لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً»[1].

ولما سار الإمام بأصحابه من قصر بني مقاتل خفق خفقة ثم انتبه، وهو يقول: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ فأقبل عليه ابنه علي بن الحسين على فرس له فقال: «يا أبت، جعلت فداك، مِمَ حمدت الله واسترجعت؟ قال: **يا بنيّ إنّي خفقت برأسي خفقة فعنّ لي فارس على فرس، فقال: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم. فعلمت أنها أنفسنا نُعيت إلينا.**

قال له: يا أبتِ لا أراك الله سوءً، ألسنا على الحق؟

قال: بلى والذي إليه مرجع العباد.

قال: يا أبتِ، إذنْ لا نبالي، نموت محقين.

فقال: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده»[2].

ولا يقتصر الأمر على هذه المنامات والخطب التي يرويها أصحاب السير كالطبري (وابن أعثم) (والسيد ابن طاووس) (والمفيد) وغيرهم

---

(١) الطبري: ٣٠١/٧ الطبعة الأوروبية.

(٢) الطبري: ٣٠٦/٧ الطبعة الأوروبية. نقلنا من النص بمقدار الحاجة. وينقل الطبري مناماً آخر للإمام بمضمون قريب من هذا المضمون: ٣١٨/٧.

بصورة متواترة، لا تقبل الشك. فإن كلّ شيء في حركة الحسين عليه السلام الى العراق يدل على أن الإمام لم يكن بصدد حركة عسكرية بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة لإسقاط النظام الأُموي.

إذن فإن الإمام لم يكن يفكّر، ولا يمكن أن يفكّر في حركة عسكرية، وإنما كان الإمام يقدم عن علم ووعي على تضحية مأساوية نادرة، بنفسه، وأهل بيته، وأصحابه، ليهزّ ضمير الأمة الخامل، ويبعث في نفوسهم الحركة وروح التضحية والإقدام.

ولعل في حديث الإمام مع أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنه عندما أراد الخروج من مكة الى العراق ما يشير الى هذه الغاية. والرواية يرويها السيد ابن طاووس في اللهوف.

يقول السيد رحمه الله: إنّ محمد بن الحنفية عندما علم بخروج الحسين من مكة أتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها فقال: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ وكان قد سأل الإمام أن يسير الى اليمن. وينصرف عن العراق. قال: بلى. قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فقال: أتاني رسول الله (في المنام) بعد ما فارقتك فقال: يا حسين أُخرج فإنّ الله شاء أن يراك قتيلاً.

فقال له ابن الحنفية: ﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾، فما معنى حملك هؤلاء النساء، وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ فقال له: إنّ الله شاء أن يراهنّ سبايا. وسلّم عليه ومضى[1].

---

(١) اللهوف للسيد ابن طاووس: ٥٥ ط اصفهان، ونفس السهموم: ١٦٤ ـ ١٦٥. قم ١٤٠٥ هـ. ق. وروى الفقرة الأخيرة المتعلقة بالنساء المسعودي في إثبات الوصية: ١٤٦ ط النجف المطبعة الحيدرية.

إذن، فالنتيجة التي نتتهي إليها في هذه الجولة السريعة: أن الإمام الحسين كان يفكّر في الإقدام على تضحية مأساوية دامية، ولم يكن يفكّر في عمل عسكري على الإطلاق لمواجهة سلطان بني أُمية، وهذان نحوان من الخروج، كل منهما يحقق هدفاً محدوداً، والخلط فيما بينهما يؤدي الى الوقوع في أخطاء تأريخية كبيرة، تشوّش علينا فهم الثورة الحسينية وغايتها ونتائجها.

والآن نتساءل عما كان يمكن أن يقصده الإمام من أهداف وغايات من وراء هذه التضحية المأساوية، التي أقدم عليها الإمام عن علم ووعي.

١ ـ تحرير إرادة الأمّة:

يستخدم الطغاة عادة سلاحين مؤثرين في وجه تحرك الأُمة وتمردها ورفضها للظلم.

وهما سلاح (الإرهاب) و (الإفساد)، ومن خصائص هذين السلاحين، أنهما يسلبان الأُمة الإرادة والقدرة على التحرك والوعي والإدراك.

ومن أولى مستلزمات كل حركة (الوعي) و(الإرادة)، وعندما يفقد الإنسان بصيرته وإرادته يفقد كل قدرة للتحرك، ويستسلم للواقع الفاسد، ويتكيّف معه، وعند ذلك يسيطر الطاغية وفئته على إرادة الأُمة ووعيها ومصيرها، وحتى على ذوقها وأخلاقها وأعرافها، ويتم مسخ شخصية الأُمة بصورة كاملة في كل أبعادها، ويتحكّم الطاغية في كل شيء في حياة

الأُمة، ولا تملك الأُمة تجاه الطاغية غير الطاعة والانقياد والاستسلام.

وإلى هذه الحقيقة يشير القرآن الكريم في علاقة فرعون بقومه وعلاقتهم بفرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾[1].

إنّ فرعون تمكّن من أنْ يستخفّ قومه، وأن يسلبهم وعيهم وإرادتهم وقيمهم بالإرهاب والإفساد؛ وبذلك تمكّن من أن يمسخ شخصيتهم مسخاً كاملاً، واستأصل من نفوسهم كل قدرة على الوعي والتفكير، فضلاً عن الإرادة والمقاومة والرفض. وبهذه الصورة استطاع فرعون أنْ يكسب طاعتهم، (فأطاعوه).

وهذه الطريقة هي الطريقة المفضّلة لأئمة الضلال في اكتساب طاعة الناس وولائهم، ويقوم هذا الولاء والطاعة عادة على حطام شخصية الأُمة.

عند ذلك يعيش الحكّام من أئمة الضلال في راحة تامة من ناحية الرعيّة، لا يقلقهم شيء من جانبهم، ويتحول الناس الى قطيع من المتملقين والمتزلفين والراضخين، وينقلب في نفوسهم الوعي والإرادة الى الاتجاه الذي يطلبه الحكّام، فيحبّون ما أحبّوا ويريدون ما أرادوا، وهكذا تتم عملية المسخ والانقلاب في شخصية الأمة. وبهذه الصورة تتكون في الأُمة طبقتان:

١ ـ طبقة المستكبرين: وهم الحكّام من أئمة الضلال ومن يرتبط بهم ومن ينتفع منهم من «الملأ»، الذين يستعلون على الناس، ويستكبرون في الأرض، ويتحكّمون في حياة الناس وإرادتهم ومصيرهم، وحتى

---

(١) الزخرف: ٥٤.

أذواقهم وأخلاقهم، ويضعون أنفسهم في مركز السيادة والحاكمية من حياة الإنسان من دون الله. ويستعلون على الناس ويفسدون في الأرض، وهؤلاء هم الطاغوت[1]، الذين يتجاوزون حدود العبودية والطاعة لله تعالى الى الاستكبار والسيادة والحاكمية من دون الله، والإفساد في حياة الناس.

٢ ـ طبقة المستضعفين: الذين يستخفهم الطاغوت (يسلبهم ثقلهم في موازين الإنسانية)، ويستضعفهم (يسلبهم القدرات والإمكانات والكفاءات التي منحهم الله تعالى لهم)، وتتحول هذه الطبقة الواسعة الى طبقة تابعة، ومنقادة، ومستسلمة للأمر الواقع، وتفقد خصائصها وقيمها الإنسانية كافة، وتتحول الى أداة طيّعة لتنفيذ كل ما يمليه عليها الطاغوت.

وأوّل ما تفقد هذه الطبقة وعيها وإرادتها، ومن ثم تفقد كل شيء في حياتها مما منحها الله تعالى من القيم والكفاءات.

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[2].

ولإنقاذ هؤلاء لابد من تحرير وعيهم وإرادتهم من أسر الطاغوت، إن الطاغوت يسلبهم (الوعي) و(الإرادة) عن طريق (الإرهاب) و(الإفساد)، ولإنقاذهم من قبضة الطاغوت وأسره لابدّ من إعادة (الوعي)

---

(١) يقول الراغب في المفردات: الطاغوت عبارة عن كل متعد وكل معبود من دون الله، ويستعمل في الواحد والجمع قال تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾﴿أولياؤهم الطاغوت﴾﴿يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت﴾ مفردات الراغب: ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

(٢) البقرة: ٧.

و(الإرادة) إليهم قبل كل شيء، حتى ينظروا الى الأُمور والأشخاص بوعيهم الذي أعطاهم الله، لا من خلال ما يحبه الطاغوت ويكرهه، وحتى يتمكّنوا من أن يأخذوا القرار لأنفسهم بأنفسهم، لا أن يتخذ الطاغوت القرار بالنيابة عنهم ولهم.

ولقد واجه الحسين عليه السلام واقعاً اجتماعياً وسياسياً سيئاً من مثل هذا الواقع، تمكن فيه بنو أُمية من مسخ شخصية الأُمة مسخاً كاملاً، ومصادرة قيمها وقدراتها ووعيها وإرادتها. وأسوأ ما كان في هذا المسخ والتحويل أن القدرة والقوّة التي منحهم الإسلام إيّاها تحوّلت في نفوس هؤلاء، وبفعل بني أُمية الى قوة للقضاء على الإسلام، والسيف الذي سلّحهم به رسول الله لقتال أعداء الإسلام، تحوّل في أيديهم إلى أداة لمحاربة أبناء رسول الله وأوليائهم دون أعدائهم.

وكان هذا هو جوهر المسخ الحضاري، الذي تمّ على يد بني أُمية في حياة هذه الأُمة.

والى هذا المعنى يشير الإمام الحسين عليه السلام في خطبته الثانية يوم عاشوراء أمام جمهور جيش ابن سعد:

«سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها[(١)] على عدوّنا وعدوّكم، فأصبحتم ألباً لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم»[(٢)].

(١) أي: أوقدتم علينا ناراً كنا قد اقتدحناها واستخرجناها نحن على عدوّنا وعدوّكم.
(٢) مقتل الحسين للسيد عبدالرزاق المقرّم: ٢٦٢ ط النجف ١٣٧٦.

فكيف جرت ـ يا ترى ـ هذه الانتكاسة الخطيرة في نفوس هؤلاء الناس، حتى عادت سيوفهم التي مكّنتهم الإسلام منها لمحاربة البغاة الظالمين في وجه ابن رسول الله ﷺ، الزكي الطاهر الأمين، ولصالح سلطان ابن معاوية الفاسق السكّير، الذي كان لا يشك في فجوره وفسقه وشربه وفحشه أحد من المسلمين؟

وكيف جرت ـ يا ترى ـ هذه الانتكاسة الخطيرة في حياة الناس، حتى تخالفت قلوب هؤلاء الناس وسيوفهم، كما قال الفرزدق الشاعر ﷺ للحسين ﷺ: (إن قلوبهم معك وسيوفهم عليك)؟ ثم توافقت قلوبهم وسيوفهم على ابن رسول الله، وأهل بيته وأصحابه المقيمين للصلاة، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

وكيف تحوّلت هذه القوة التي منحهم الإسلام إيّاها، والمركزية والسيادة، والموقع الممتاز الذي اكتسبوه بالإسلام، الى قوة ضاربة لصالح أعدائهم ضد أوليائهم؟

فقد جعل منهم الإسلام قوة كبرى بين الأمم، ومنحهم موقعاً ممتازاً على وجه الأرض، وأخرجهم من دائرة الخمول، وسلّط عليهم الضوء. ولكن لست أدري ماذا حلّ بهذه الأمة من سوء حتى تحوّلت هذه القوة والمركزية، كلها لصالح أعدائهم على أوليائهم؟ وعاد من جديد أولئك الذين كانوا يحاربون هذا الدين الى مراكزهم القيادية في المجتمع، مستفيدين من كل هذه القوة، والمركزية والنفوذ، والسلطان، الذي جاء به الإسلام، وأصبح دعاة هذا الدين وقادته، الذين حملوا هذا الدين في موضع الاتهام والمحاربة من قبل الأمة، تقاتلهم بالسيف الذي وضعه

الإسلام في أيديهم.

وما أروع تعبير الإمام وأصدقه بهذا الصدد «**سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم!**».

وذلك كلّه من غير أن ينقلب هؤلاء الذين كانوا يحاربون الإسلام في الأمس القريب، عن مواقعهم العدائية من الإسلام ومن هذه الأُمة. فلا زالوا يحملون بين جنبيهم روح الجاهلية، ويمارسون أخلاقها وعاداتها ويعملون على استئصال القيم الإسلامية، في هذه الأُمة الناشئة، ونشر الظلم والرعب والفساد في أوساطها «**بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم**» .

وكانت هذه الأمة في جاهليتها ضعيفة، خاملة الذكر، منسيّة، راكدة. لا تكاد تجد في حياتها حركة أو عزماً أو قوّة على المواجهة. فاستثار الإسلام كوامن الحركة، والقوة، والعزم، والانطلاق والبناء في نفوس هؤلاء الناس، واستخرج الإسلام كنوز القدرة والحركة والثورة في نفوسهم.

وتحوّلت هذه الأُمة الراكدة الى حركة حضارية على وجه الأرض في التاريخ، تحرق الجبابرة والطغاة. ولكن ما أسرع ما انتكست هذه الأُمة؛ فتحوّلت هذه الحركة، والقوة، والانطلاقة التي استثارها الإسلام باتّجاه عكسي تماماً، للقضاء على خيمة هذا الدين، ودعاته، وأوليائه. ولصالح الطبقة المترفة التي كانت تحارب هذا الدين بالأمس القريب. وتحمل حتى اليوم، معها الى الإسلام رواسب الجاهلية، وأفكارها، وعاداتها، وسلوكها!

«وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوّنا وعدوّكم»[١].

ولا نعرف فيما يصيب الأمم من المآسي، مأساة آلم وأفجع من أن ينقلب الإنسان على نفسه؛ فيؤثر ضرّه على نفعه، وفساده على صلاحه، ويحارب أولياءه ويتحبّب الى أعدائه.

ولقد أصاب المسلمين في هذه الفترة مأساة من مثل هذه المأساة.

والإمام يعبّر عن ألمه العميق بهذه الكلمة المشجية:

«وَيْحَكم! أهؤلاء تعضدون، وعنّا تتخاذلون؟»

إنّنا لا نشك في أن الأمة قد تعرّضت في هذه الفترة لردّة حضارية عجيبة، من قبيل ما يقول تعالى: ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ .

وآية هذه الردّة الحضارية التي تنتكس فيها الأمة هو أن يتحول الأولياء في حياة الأمة الى موضع الأعداء، ويتحول الأعداء الى موضع الأولياء.

وعندما يتبادل هذان القطبان: (الولاية والبراءة) في حياة الناس مواضعهما، ويأخذ كل منهما موضع الآخر، فإن هذه الأمة تواجه أمراً يختلف عن أي أمر آخر، وهذا الأمر هو الانقلاب الحضاري الشامل (أو الردّة الحضارية إذا كان هذا الانقلاب باتّجاه رجعي).

والأمة في هذه تتنكر لنفسها وتنقلب عمّا هي عليه الى شيء آخر؛ فإن هوية الأمة وشخصيتها بالولاء والبراءة، وعندما يتحول الولاء الى موضع البراءة والبراءة الى موضع الولاء؛ فإن هذه الأمة تواجه حالة

---

(١) حششتم: أوقدتم. اقتدح النار: حاول إخراج النار.

انتكاسة خطيرة.

وهذا هو ما يشير إليه الإمام في خطابه لجيش بني أمية يوم عاشوراء: «فأصبحتم ألباً لأعدائكم على أوليائكم» .

وهذه الحالة التي يصح أن نعبّر عنها بأنّ الإنسان يتنكّر فيها لنفسه، أو يعادي نفســه. فإن الإنسان عندما يتودّد الى عدوه، ويساعده ويعينه فإنما يعينه على نفسه ، ولا يمكن أن يقدم الإنسان على مثل ذلك؛ إلا إذا تنكّر لنفسه ونسي نفســه.

والتعبير القرآني بهذا الصدد دقيق ومعبّر:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[1].

إنّ الذي ينسى الله يُنسيه نفسه؛ والذي يتنكّر لله ينكر الله نفسه عليه.

والإنسان في هذه الحالة، من السقوط والتردّي، إنّما يخسر نفسه، وشر أنواع الخسارة أن يخسر الإنسان نفسه. فإذا خسر الإنسان نفسه يفقد كل رأس ماله، ولا يبقى له شيء بعد ذلك يرجو منه خيراً.

يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[2].

ويقول عزّ شأنه: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[3].

وخسارة النفس تختلف عن أيّة خسارة أخرى؛ فإن الربح والخسارة

---

(١) الحشر: ١٩.
(٢) الأعراف: ٩.
(٣) الزمر: ١٥ .

هما الزيادة والنقصان فيما يملك الإنسان مع بقاء المحور: (الأنا). فكلما يكتسب الإنسان من فائدة مادية أو معنوية يدخل في حساب (الربح)، وكلما يفقد الإنسان من المواهب المادية والمعنوية التي آتاه الله تعالى يدخل في حساب (الخسارة)، وتزيد الخسارة كلما تهبط درجة الخسارة أكثر تحت الصفر.

ولكن فيهذه الأحوال جميعاً يحتفظ الإنسان بـ(الأنا) الذي هو المحور الذي تدور حوله الأرباح والخسائر.

فإذا خسر الإنسان هذا المحور أي: خسر نفسه، لا ما يملك من مواهب مادية ومعنوية، وسقط هذا المحور كان هو الخسران الأكبر، الذي لا تشبهه خسارة أُخرى.

والى هذا المعنى من الخسارة يشير القرآن الكريم بكلمة ﴿وخسروا أنفسهم﴾ في أكثر من آية[1] ونلتقي في القرآن تعبيراً آخر عن هؤلاء الناس الذين يخسرون أنفسهم في الحياة الدنيا وهو (ظلم النفس).

وقد يستغرب الإنسان من هذه الكلمة، فهل يمكن أن يعادي الإنسان نفسه ويظلمها ويعتدي عليها؟ يجيب القرآن على هذا السؤال بالإيجاب: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

والذين يعاقبهم الله بظلمهم، لم يظلمهم الله، وإنّما كانوا هم الذين

---

(١) لاحظ سورة الأنعام: ١٢، والأعراف: ٩ و ٥٣، وهود: ٢١، والمؤمنون: ١٠٣، والزمر: ١٥ وآيات أُخرى من مثل هذه الآيات.

(٢) البقرة: ٥٧.

أقدموا على ظلم أنفسهم: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

وأخيراً إن مآل الخير والشر هو النفس، وإنّ الذي يهتدي فإنما يهتدي لنفسه، والذي يضلّ فإنّما يضلّ على نفسه.

﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾[2].

أي يستقرّ الضلال والغيّ على نفسه، هؤلاء يضلّون على أنفسهم، ويضلّ سعيهم وعملهم وتحركهم.

ذلك هو الخسارة والضياع الكبير: أن يضلّ الإنسان على نفسه، ويضلّ سعيه وعمله: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[3].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[4].

فإن الإنسان إذا تنكّر لنفسه وظلمها وعاداها خسرها، وعندما يخسر الإنسان نفسه يضلّ سعيه وعمله، ويذهب هباءً كل جهدٍ وعملٍ له.

والى هذه الخسارة يشير الإمام الحسين عليه السلام في خطابه الذي وجّهه الى أصحاب الحرّ في منزل البيضة:

«فأنا الحسين بن علي وأمي فاطمة بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، ولكم فيّ أسوة... وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم فحظّكم أخطأتم ونصيبكم ضيّعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه[5] وسيغني

(١) النحل: ١١٨.
(٢) يونس: ١٠٨، والاسراء: ١٥.
(٣) الكهف: ١٠٤.
(٤) سورة محمّد: ٨.
(٥) يشير الإمام الى سنّة الله تعالى في السحق.

الله عنكم»[١].

إنّ هذه الظاهرة من أغرب ما يلتقيه الإنسان من ظواهر غريبة في حياته على ظهر الأرض.

إنّ الإنسان بهذا التحوّل الذي يشرح خطواته ومراحله القرآن الكريم يظلم نفسه، ويتنكر لها، فيخسرها، ويعود شيئاً آخر يختلف اختلافاً كلياً عمّا كان عليه، يمشي ويتحرك بين الناس، ولكن من دون إرادة ووعي، بل بما يُملي عليه ويراد منه.

يتحرك لا بإرادته، وإنما بإرادة الطاغوت الذي يستعبده ويحركه، لا بالاتجاه الذي ينفعه ويخدمه، وإنما بالاتجاه الذي يخدم عدوّه.

هؤلاء هم الذين تنتكس قلوبهم ويختم الله عليها، وصدق الله تعالى:

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾[٢].

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[٣].

ولن تعود لهم إرادة، ووعي، وفهم، ونور يتحركون به في الناس.

وعندما يفقد الإنسان الوعي، والنور، والإرادة، والعزم في حياته ينقلب الى أداة طيعة وسهلة بيد الطاغوت، يستخدمه في تحقيق أطماعه بالشكل الذي يريد، ويوجهه الى ضرب أوليائه بأعدائه، وهذا التحول العجيب في حياة الناس هو الذي حدث في هذه الفترة من التاريخ على يد

---

(١) وفي هذه الفقرة يشير الى سنّة «الاستبدال» بعد «المحق» تاريخ الطبري: ٢٢٩/٦.

(٢) الأنعام: ١١٠.

(٣) البقرة: ٧.

حكّام بني أمية في هذه الأمة وواجهه الحسين عليه السلام بمرارة وألم.

لقد جرى ـ بالتأكيد ـ تحوّل خطير في نفوس هؤلاء الناس؛ حتى عاد أسفلهم أعلاهم، وأعلاهم أسفلهم، في انتكاسة رهيبة يقل نظيرها في التأريخ، حتى يخرج ثلاثون ألفاً منهم أو أكثر من الكوفة عاصمة أمير المؤمنين لمحاربة سيد شباب أهل الجنة، وابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتجل أمير المؤمنين عليه السلام .

والتفسير الوحيد الذي يستطيع أن يفسر لنا سر هذه الانتكاسة والمسخ الحضاري في شخصية الأُمة ـ أو طائفة كبيرة من الأُمة على أقل التقادير ـ ، يكمن في الجهد البليغ الذي بذله بنو أُمية في إرهاب الناس وإفسادهم لغرض سيطرتهم على المسلمين، ومسخ معالم شخصيتهم؛ حتى عادت ضمائرهم وإدراكاتهم وإراداتهم في قبضة بني أُمية، يتحكّمون فيها بالطريقة التي تعجبهم، وتخدم أهدافهم.

وكان لابدّ من هزة قوية عنيفة لضمير الأُمة تعيد إليها وعيها، وإرادتها، وقيمها، وتشعرها بعمق الكارثة التي حلّت بها، وتبعث الندم في نفوسهم، وحتى لو لم تكن هذه الهزة تنفع هذا الجيل، فقد كانت تعتبر ضرورة من ضرورات المرحلة لإنقاذ الجيل الذي يأتي من بعد هذا الجيل؛ لئلا يسري إليه هذا الانحطاط الحضاري الذي لزم هذا الجيل.

وكانت تضحية الإمام الحسين عليه السلام وتحرّكه المأساوي يكوّن في وجدان الأُمة هذه الهزة العميقة، كالتي كانت تتطلبها ضرورات الساحة والحالة الاجتماعية.

لقد نبّهت شهادة الحسين وأهل بيته وأصحابه بالطريقة المفجعة التي تمت بها ضمائر المسلمين، وأشعرتهم بالندم، ومكّنتهم من أن يستعيدوا وعيهم وإرادتهم من جديد، فيفكّروا ويقرّروا مصيرهم بأنفسهم.

لقد شعروا ـ بعد الانتباه ـ بالكابوس الرهيب الذي كان يلقي بثقله على صدورهم، وقلوبهم، وعقولهم، وعادت إليهم إرادتهم وحريتهم ووعيهم.

فقد هزّت تضحية الإمام الحسين عليه السلام ضمائر المسلمين، هزة عنيفة، وأشعرتهم بفداحة الإثم، وضخامة الجريمة، وعمق الردّة والانتكاسة في نفوسهم وحياتهم؛ فكانت هذه التضحية المأساوية مبدأً ومنطلقاً لحركات كثيرة في التأريخ الإسلامي، ومصدراً كبيراً للتحريك في التأريخ الإسلامي.

٢ ـ سلب الشرعية من النظام:

رغم فداحة الخسائر التي لحقت بالمسلمين والانحراف والانحطاط الذي لزمهم في هذه الفترة من حكم بني أمية، فقد كان هناك خطر أكبر بكثير من كل ذلك يلحق الإسلام مباشرة وليس المسلمين فقط، وهو أن ينسحب هذا الانحراف على الإسلام نفسه، ويتعرض الإسلام لما تعرض له المسلمون من تحريف.

وذلك أن هذا الانحراف كان ينحدر من موقع الخلافة الإسلامية، التي كانت تمتلك في نفوس المسلمين رصيداً كبيراً من الشرعية والقدسية،

وقد كان بنو أُمية يعتمدون كثيراً عنصر الشريعة في موقعهم السياسي والاجتماعي، وكانوا يوحون الى الناس بطريق أو آخر أن موقع الخلافة أقوى من موقع الرسالة، فيقول قائلهم: (إنّ خليفة أحدكم أفضل من رسول الله).

وكانوا يرون في هذا الموقع أداةً لتنفيذ طموحاتهم ورغباتهم، بأيسر الطرق، وأسهلها؛ فلذلك دأب معاوية على تحكيم هذا الموقع الشرعي لنفسه ولابنه يزيد من بعده.

وكان هذا الموقع الشرعي الذي حرص عليه حكّام بني أُمية يكوّن أكبر الأخطار التي تلحق الإسلام من جانب حكومة بني أُمية، فقد كان الانحراف ينحدر الى الناس من قصور الخلفاء في إطار من الشرعية.

وكان هناك في قصور الخلفاء من يبرّر ويوجّه هذا الانحراف، ويعطيه الصبغة الشرعية من علماء البلاط، وبالتالي كان هذا الانحراف ينعكس وينسحب على الإسلام، ويفقد الإسلام أصالته ونقاءه على أوسع صعيد وهو وسط الأُمة.

وقد حرص الإمام عليه السلام في حركته على كسر هذا الإطار الشرعي، الذي كان يحتمي به حكام بني أمية، وسلب صفة الشرعية من حكومة بني أُمية، وتجريدها عن القدسية والشرعية التي كان يحرص عليها بنو أُمية كل الحرص ، وبالتالي تفويت الفرصة على الحكم الأُموي في تحريف الإسلام.

وقد كان الإمام يجهر بهذه الحقيقة إجهاراً، ويعلن عن رأيه في يزيد،

وعدم أهليته للخلافة، وينال منه كلّما واتته فرصة.

وقد أعلن رأيه هذا في يزيد عندما دعاه الوليد بن عتبة للبيعة، ومروان حاضر، قال عليه السلام له بعد كلام طويل، وهو يريد أن يسمع مروان رأيه في يزيد وموقفه من البيعة:

«أيها الأمير إنّا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، ومهبط الرحمة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل نفس، معلن بالفسق، فمثلي لا يبايع مثله»[1].

وقد كان لخروج الإمام على يزيد، ومحاربته لجيش ابن زياد بعد رفض البيعة ليزيد، واستشهاده هو وأهل بيته وأصحابه بتلك الصورة المفجعة على يد جيش الخلافة؛ كان لذلك كله أثر كبير في اسقاط شرعية الخلافة، وتجريدها عن الشرعية والقدسية التي كانت الخلافة تتمتع بها.

لقد أثار استشهاد الإمام الحسين، بالصورة المفجعة التي حدثت في كربلاء مشاعر المسلمين جميعاً، (من الجيل الذي تعقّب جيل القتلة في كربلاء)، وفي جيل القتلة على صعيد واسع، واستشعروا جسامة الجريمة وبشاعتها في وجدانهم وضمائرهم، ونقموا على يزيد، ومن لحقه من خلفاء بني أمية الذين خلّفوا يزيد على السلطان والحكم. وسقطت القيمة الشرعية للخلافة، ولم تعد الخلافة تكوّن موقعاً شرعياً، يمتلك رصيداً من الشرعية والقدسية في نفوس المسلمين.

وكيف يمكن أن يتمتع هذا الموقع الرسمي بنفس القدسية

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ١/ ١٨٤.

والشرعية وقد تلوث أصحابه بهذه الجريمة النكراء التي يقل نظيرها في التأريخ؛ حيث أقدموا على قتل ابن رسول الله، وسيد شباب أهل الجنة، والكوكبة المؤمنة الصالحة من أهل بيته وأصحابه المقيمين للصلاة، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر؟

ولا يمكن أن يشك أحد في أن هذه الجريمة التي اقترفها جهاز الخلافة الأموية في عهد يزيد في العراق تركت أثراً عميقاً في ضمائر المسلمين جميعاً (إن لم يكن في نفس الجيل، ففي الجيل الذي تعقّب هذا الجيل مباشرة)، وأسقطت مكانة الخلافة الأُموية في نفوس المسلمين، وعادت الخلافة الأُموية موقعاً سطوياً يمتلكه الأقوى، كما في سائر المواقع التي يمتلكها أصحاب السطة في دنيا الناس.

وعلاقة الناس بهذا الموقع لم تعد كما كانت علاقة دينية خالصة نابعة من إيمان الناس بشرعية هذا الموقع.

ولذلك فلم يعد للانحرافات التي يرتكبها جهاز الخلافة الأُموية تأثير تحريفي على الإسلام.

وسلم الإسلام من تحريفات الحكّام بنسبة كبيرة، وأصبح المسلمون بعد هذا التاريخ يرجعون في أُمور دينهم الى طبقة أُخرى غير طبقة الحكّام، الذين يُرجع إليهم في أُمور دنياهم بحكم الضرورة والاضطرار.

ومن هذا التأريخ بدأ يتكوّن في المجتمع خط آخر غير خط الخلافة، وهو خط الفقهاء والعلماء الذين يضع المسلمون ثقتهم الدينية فيهم، وبقدر ما كان يبتعد هؤلاء الفقهاء والعلماء عن الحكّام والسلاطين كانت

تزداد ثقة المسلمين بهم.

والذي يواكب قراءة التاريخ الإسلامي يجد فارقاً نوعياً واضحاً في موقع الخلافة قبل موقعة الطف وبعدها، وجوهر هذا الفرق هو افتقاد الخلافة بعد معركة كربلاء للصيغة الشرعية والإطار الديني الذي كانت تمتلكه من قبل.

وبهذه الطريقة نستطيع أن نفهم كيف أن قيام الإمام الحسن عليه السلام بالحرب كان يؤدي الى نتائج معاكسة تماماً لما أدّى إليه قيام الإمام الحسين عليه السلام.

فقد ذكرنا أن مواصلة الإمام الحسن للحرب كان يؤدي الى انتصار عسكري ساحق في جيش بني أُمية، وإثارة نقمة بني أُمية على شيعة أهل البيت، ويحملهم على القيام بتصفية واسعة في صفوف الشيعة وإنهاء البقية الباقية من هذا الخط الإسلامي، الذي استعصى على عوامل الانحراف والخضوع لسلطان بني أُمية.

أمّا قيام الحسين عليه السلام فقد كان له أثر معكوس تماماً؛ فقد أثار سخط المسلمين ضد سلطان بني أُمية ودفع الناس للخروج على سلطان بني أُمية، ووسّع دائرة المعارضة.

وذلك لاختلاف طبيعة ظروف الإمام الحسن عن الإمام الحسين عليهما السلام، واختلاف نوع وطبيعة قتال الإمام الحسن عن قتال الإمام الحسين.

فقد كان الإمام الحسن في مواجهة عسكرية مع معاوية، وقد تخلّى عنه أكثر جيشه، ولم يبق معه إلّا شيعته الذين كانوا يعدون جزءاً ضئيلاً من

جيش العراق، وكانت نتيجة هذا القتال هزيمة عسكرية، تتيح الفرصة لمعاوية للقضاء على البقية الباقية من شيعة الإمام.

بينما كان قتال الحسين عليه السلام ليزيد (خروجاً) وليس (مواجهة عسكرية)، تستهدف إسقاط النظام، وكان كل شيء من أوضاع العراق والشام يؤكد هذا المعنى، ولم يكن يفكر الحسين أن بإمكان العراق أن يقاوم الشام، ولا أن يصفو له العراق، ولا أن يقاوم أهل العراق إرهاب بني أُمية وإغراءهم، فما كانوا ليصفو في أحسن الأحوال للإمام من العراق غير قلّة قليلة من شيعته يخرج بهم على يزيد.

إذن لم يكن الإمام يطلب فتحاً عسكرياً، وإنما كان يطلب في خروجه تحريك ضمائر المسلمين، وإثارة الضمائر والنفوس والعواطف والعقول بقوة بفعل المأساة المفجعة، التي واجهها الحسين عليه السلام على يد جيش بني أُمية في كربلاء. وكانت غاية الإمام الحسين في هذه المأساة الدامية والمفجعة هي تحريك المسلمين ضد سلطان بني أُمية، والنيل من شرعية جهاز الخلافة الأُموية، وعزلهم سياسياً واجتماعياً في أوساط العالم الإسلامي، سيما في الحجاز والعراق اللذين كانا يعتبران حينذاك قلب العالم الإسلامي، وتجريدهم من الشرعية التي كانوا يحرصون عليها كثيراً كل ذلك يتم نتيجة اختلاف موقع الإمامين، وظروفهما واختلاف ظرف معاوية من يزيد.

فلم يكن معاوية قد أسقط الأقنعة كلها عن وجهه كما أسقطها يزيد، ولم يكن معاوية قد كشف عن سرّه ونيّته، وأسفر عن وجهه كما

فعل يزيد.

وبالتالي فقد كان تحريك المسلمين ضد سلطان بني أُمية، ومحاولة النيل من شرعية الخلافة الأُموية في عهد يزيد أمراً ممكناً، وبالطريقة التي أقدم عليها الحسين ﷺ، بينما لم تكن هذه الظروف متوفرة للإمام الحسن ﷺ في الصورة التي توفّرت في عهد يزيد.

الثوابت الأربعة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ محمد مهدي الآصفي

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

عن زرارة، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«كتب الحسين بن علي عليه السلام من مكة إلى محمّد بن الحنفية:

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومَن قبله من بني هاشم:

أمّا بعد: فإنّ من لحق بي استشهد، ومَن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام»[1].

تتضمن هذه الرسالة الموجزة أربع قضايا أساسية وثابتة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

وهذه القضايا الأربع هي:

١ ـ حتمية الشهادة في هذه الثورة لمن يخرج مع الحسين عليه السلام «إنّ من لحق بي استشهد».

٢ ـ حتمية الفتح لمن حضر مع الحسين عليه السلام كربلاء.

نعرف هذه الحتمية من مفهوم هذه الكلمة «ومَن لم يلحق لم يدرك الفتح» فهي واضحة في أنّ مَن لحق الحسين عليه السلام في هذه الحركة يدرك الفتح.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥/٨٧ وبألفاظ قريبة: بصائر الدرجات: ٤٨١، اللهوف: ٢٨، المناقب لابن شهرآشوب: ٤/٧٦، مثير الأحزان: ٣٩.

٣ـ العلاقة بين الفتح والشهادة.

هذا الفتح يناله مَن يخرج مع الحسين عليه السلام بالشهادة.

٤ ـ لن يتكرر هذا الفتح مرة أخرى «ومَن لم يلحق بي لم يدرك الفتح» وفيما يلي سوف نتحدث إن شاء الله عن هذه القضايا الأربع.

١ـ حتميّة الشهادة:

من أبرز سمات ثورة الإمام الحسين عليه السلام الدعوة إلى الشهادة، والاستماتة في سبيل الله، ولم يزل الحسين عليه السلام منذ أن غادر مكة إلى العراق، إلى يوم عاشوراء، يؤكّد لمَن يلقاه، ولمَن يصحبه أنّ سبيله وسبيل مَن يصحبه الموت.

ومهما شكّ الإنسان في شأن من شؤون هذه الثورة الفريدة في التاريخ فلن يشك أنّ الحسين كان ينعى نفسه إلى الناس في خروجه إلى العراق، وكان يعلن إلى الناس أنّ سبيل مَن يخرج معه الشهادة لا محالة، وأنّ مَن يخرج معه لن تتخطّاه الشهادة.

روى أصحاب السير أنّ الحسين عليه السلام لما أراد الخروج إلى العراق قام خطيباً فقال:

«خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيّر لي مصرع أنا لاقيه».

والإمام عليه السلام في هذه الخطبة ينعى نفسه إلى الناس، ويفتتح خطابه للناس بالتعريف على الموت.

ثم يدعو الناس إلى الخروج معه، ويطلب منهم مهجهم وأن يوطّنوا أنفسهم في الخروج معه لقاء الله.

«.. من كان باذلاً فينا مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصبحاً إن شاء الله»[1].

روى السيد ابن طاووس في (اللهوف) بالإسناد عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، قال: سار محمد بن الحنفية إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة، فقال: يا أخي، إن أهل الكوفة مَن عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال مَن مضى، فإن رأيت أن تقيم، فإنك أعز مَن في الحرم وأمنعه.

فقال عليه السلام: **«يا أخي، قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يُستباح به حرمة هذا البيت»**.

فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن أو بعض نواحي البرّ، فإنك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد، قال: أنظر فيما قلت، ولمّا كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها، فقال له: يا أخي، ألم تعدني النظر فيما سألتك؟

قال: بلى.

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

قال عليه السلام: **«أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك في المنام فقال: يا حسين عليه السلام أُخرج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً»**.

---

(١) اللهوف: ٣٨، مثير الأحزان لابن نما الحلي: ٢٩.

فقال ابن الحنفية: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك، وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟

فقال له: «قد قال لي: إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا»، وسلّم عليه ومضى[1].

ونصح الحسين عليه السلام نفر ممّن كان الحسين عليه السلام لا يشكّ في صدقهم في النصيحة، وفهمهم للحالة السياسية في العراق أن لا يذهب إلى العراق، وأنّ مآله في العراق ومآل أصحابه وأهل بيته القتل.

وكان الحسين عليه السلام يجزيهم خيراً على صدق النصيحة، ثم لا ينثني عن عزمه، ونحن لا نشكّ في صدق هؤلاء النفر، وإنّ الحسين عليه السلام كان لا يتّهمهم في نصيحتهم، وإنّ الأمر في العراق كان كما يتوقعه هؤلاء.

ونعتقد أنّ ما كان يتوقّعه هؤلاء من تخاذل الناس في العراق عن نصرته، لم يكن يخفى على الحسين عليه السلام، ولكن الحسين عليه السلام كان يرى ما لا يرونه ويعرف ما لا يعرفونه.

لقد كان الحسين عليه السلام يرى أن لا سبيل له للقضاء على فتنة بني أُمية التي طالت هذا الدين وهذه الأُمة إلّا بقتله وقتل مَن معه من أهل بيته وأصحابه، وكان يعرف هذه الحقيقة بوضوح، ولم يكن يشكّ في ذلك. وهذا ما كان يخفى على أُولئك النفر الذين كانوا ينصحون الحسين عليه السلام ألّا يغترّ بكتب أهل العراق ودعوتهم له ـ ولم يكن بوسع الحسين عليه السلام أن يفصح لهم عمّا يراه ويعرفه.

---

(١) اللهوف: ٢٧، مكتبة الحيدرية النجف ١٣٨٥، بحار الأنوار: ٣٦١/٤٤، العوالم: ٢٠١/١٧.

وآخر مرّة أعلن الحسين عليه السلام لأهل بيته وأصحابه أن مآلهم الشهادة، ليلة العاشر من محرّم، جمع الحسين عليه السلام أصحابه وخطب فيهم، وأحلّهم من بيعته وقال لهم: «ذروني وهؤلاء القوم فإنّهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم»(١).

فلمّا توثّق من عزمهم على الشهادة معه قال لهم:

«إنّكم تقتلون غداً كذلك، لا يفلت منكم رجل قالوا: الحمدلله الذي شرّفنا بالقتل معك»(٢).

أجل، إنّ مَن يقرأ سيرة الحسين عليه السلام من المدينة إلى كربلاء من دون مسبقات ذهنية لا يشكّ في أنّ الحسين عليه السلام لم يكن يطمع في مسيرته هذه بالحكم والسلطان، ولم يكن يتوقع في هذه المسيرة غير القتل والسبي له ولمَن معه من أنصاره ولأهل بيته وحرمه ونسائه.

ولم يكن العبادلة الأربعة: (عبدالله بن مسعود، عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير) الذين نصحوا الحسين بالإعراض عن العراق أعرف من الحسين وأخبر منه بحال العراق وحال الناس في العراق في هذه الفترة.

وهذه السمة كما ذكرت هي أبرز معالم وسمات عاشوراء، وإلغاء هذه السمة هو تجريد عاشوراء من قيمتها التاريخية الكبيرة.

---

(١) الفتوح لابن الأعثم: ١٠٥/٥، الطبري: ٣١٥/٣، الكامل: ٥٥٩/٢، وغير ذلك من المصادر.

(٢) الخرائج والجرائح: ٨٤٧/٢، بحار الأنوار: ٢٩٨/٤٤.

٢ ـ حتميّة الفتح:

وهذه هي الحتمية الثانية من حتميات وثوابت الثورة التي يقودها الحسين عليه السلام، والإمام عليه السلام يقرّر هنا هذه الثابتة الثانية، بنفس الدرجة من الجزم الذي يقرّر به الثابتة الأولى، وهي مفهوم الجملة الثانية «ومَن لم يلحق بي لم يدرك الفتح».

ولهذه الجملة منطوق وهو واضح مفهوم، وهو إنّ من لحق به أدرك الفتح، ولا يقلّ المفهوم في الوضوح عن المنطوق.

والإمام عليه السلام يقرّر هذه الحقيقة قبل أن يغادر الحجاز إلى العراق، وقلّما يتفق أنّ قائداً يجزم بالنصر قبل دخول المعركة، إلّا مجازفة في القول، أو دعماً وتثبيتاً لنفوس المقاتلين.

والحسين عليه السلام ليس ممّن يطلق القول مجازفة بالتأكيد، وليس بصدد دعم وتثبيت قلوب الناس لما يؤول اليه آخر القتال؛ لأنّ الإمام عليه السلام يدعو الناس في حركته هذه إلى الموت علانية وصراحة، وهذه الدعوة الصريحة لا تنسجم مع التوجه الإعلامي والنفسي إلى دعم وتثبيت نفوس الناس إلى نتائج الحركة في المعركة.

ترى ما هو الضمان الأكيد الذي يملكه الإمام عليه السلام في هذا الشأن؟ وترى ما هو معنى الفتح في القاموس السياسي عند الإمام عليه السلام؟

إنّ الإمام عليه السلام لا يريد بالفتح هنا الفتح العسكري الميداني، ولا يمكن أن يريد به هذا المعنى الذي يطلبه القادة العسكريون في حروبهم. ولسنا

نشك في هذه الحقيقة، ولسنا نطلق هذا الكلام جزافاً واعتباطاً. فقد كان الإمام عليه السلام أخبر بالحالة السياسية في العراق من أن يتوقع فتحاً عسكرياً أو يغتر بالناس.

إذن الإمام عليه السلام يريد بالفتح معنى آخر، أقرب إلى المفاهيم الحضارية منه إلى المفاهيم العسكرية. إنّ الإمام عليه السلام يجد أن بني أُمية قد عملوا على استعادة الجاهلية إلى الإسلام بأفكارها وقيمها، وحتّى المواقع السياسية والاجتماعية التي حررها الإسلام من نفوذ الجاهلية، استعادها بنو أُمية إلى دائرة نفوذهم من جديد، واحتلوا مواقع السلطة والنفوذ والمال في المجتمع الإسلامي الجديد، كما كان يحتل سلفهم هذه المواقع في المجتمع الجاهلي الصغير في مكة من قبل، دون أن يكون قد حدث تغيير جوهري في مواقفهم وأفكارهم عما كانوا عليه في الجاهلية من قبل. إلاّ أنّ مواقعهم يومئذ في الجاهلية كانت محدودة وضعيفة وهزيلة ومعزولة في قلب الصحراء، واليوم أصبحت هذه المواقع بفضل الإسلام تحكم الساحة المعمورة من الأرض، وتخضع لها أقاليم واسعة من الأرض كانت تحكمها الامبراطوريتان الرومية والفارسية من قبل.

وقد تحولت هذه المواقع اليوم بكل نفوذها إلى أيدي بني أُمية دون أن يكون قد حصل تغيير جوهري في أفكار بني أُمية ومواقفهم.

وهذه هي النفثة التي يلقيها الحسين عليه السلام يوم عاشوراء على الناس قبل بدء القتال:

«سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوّنا

وعدوّكم، فأصبحتم إلبًا لأعدائكم على أوليائكم، من غير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم»[١].

لقد كانت الشام يومئذٍ المركز السياسي الأول في العالم المعمور، تبسط نفوذها على مساحات واسعة من المعمورة، وتهابها الدنيا، وهذه القوة والسيادة والنفوذ، استحدثها الإسلام للعرب، ولم يكن للعرب من قبل عهد بمثل هذا النفوذ والسلطان الواسع، وقد أقام الإسلام هذه القوة على وجه الأرض لإقامة التوحيد والعدل، وللقضاء على المستكبرين وأعداء البشرية، وللأسف أن تتحول هذه القوة والنفوذ اليوم إلى أقطاب الجاهلية العربية من جديد، بعد أن حزرها الإسلام منهم، ويستعيد بنو أُمية سلطانهم على هذه المواقع، دون أن يحدث تغيير جوهري في أفكارهم ومواقفهم وترفهم وسيطرتهم وعدوانهم وقهرهم واستكبارهم على الناس. والحسين عليه السلام يعبّر عن هذه القوة التي استحدثها الإسلام وحملها العرب بـ(السيف)، فيقول بكل أسف وحسرة: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي جعل هذه القوة في أيمانكم لتقاتلوا أعداءنا وأعداءكم (أئمة الشرك) فوضع بنو أُمية أيديهم على مواقع السلطة في المجتمع الجديد في انقلاب عكسي (ردّة)، فبايعهم الناس على ذلك، تراجع معهم في هذه الردّة العكسية، وشهروا سيوفهم في وجه آل محمد صلى الله عليه وآله «سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم»، من غير أن يتحول بنو أُمية في هذا الموقع الجديد عن مواقعهم

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ٢/ ٢٤، ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: ٣/ ٢٥٧، وبحار الأنوار: ٤٥/ ٨٣، وكشف الغمة لابن أبي الفتح الإربلي: ٢/ ٢٢٨.

الجاهلية الأخلاقية والسلوكية والحضارية؛ وأخطر من كل ذلك كلّه أنّهم وضعوا أيديهم على هذا المواقع الخطير من المجتمع الإسلامي الجديد من موقع الشرعية الإسلامية؛ خلافة عن رسول الله ﷺ .

لقد واجه الحسين ﷺ كارثة بالمعنى الدقيق، حلّت بهذا الدين، وبهذه الأُمة.

وكان همّ الحسين ﷺ في هذه المرحلة الحسّاسة من التاريخ إلغاء الشرعية وسلب الصفة الشرعيّة عن دولة بني أُمية، وهذا العمل كان أعظم ما قام به الحسين ﷺ في هذه الثورة. ونجح الحسين ﷺ في ذلك نجاحاً كاملاً، وقد دام حكم بني أُمية بعد الحسين ﷺ زمناً طويلاً، غير أنّ بني أُمية لم يعدلهم في نظر المسلمين بعد وقعة الطف موقع الشرعية الدينية في الحكم، بعنوان خلافة رسول الله ﷺ وإمرة المؤمنين، وإن كانوا يسمّون أنفسهم بهذا أو ذاك، وكانوا في نظر عامّة المسلمين حكّاماً زمنيين ملكوا الحكم عنوة، و«بالعنف»، ولم يكن لهم شأن مثل شأن الخلفاء من قبلهم إلى ولاية الإمام الحسن ﷺ بعد أبيه ﷺ . ولم يأخذ الناس عنهم دينهم كما كانوا يأخذون عن الخلفاء من قبلهم. ولم تعد لموقع الخلافة القدسيّة التي كانت لها قبل وقعة عاشوراء.

والرسالة الثانية لثورة الحسين ﷺ إعادة روح الجهاد والمسؤولية والمقاومة إلى الناس، لقد سلب بنو أُمية فيما سلبوا إرادة الناس، فأصبح الناس، تبعاً لآل أُمية، لا رأي لهم، ولا عزم لهم، ولست أدري ماذا فعل بنو أُمية، خلال السنوات التي حكم فيها معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد بن

معاوية؟ حتّى أحضر عبدالله بن زياد رأس الحسين ﷺ ابن بنت رسول الله في مجلس عام في قصره، قد أذن للناس فيه فينكت شفتي ابن رسول الله بخيزرانة كانت بيده، فلم ينكر عليه أحد غير زيد بن أرقم ﷺ الذي كان يحضر عندئذ هذا المجلس، وعبدالله بن عفيف الذي سمع من ابن زياد كلامه في عليّ ﷺ والحسين ﷺ وأهل بيته، فأغضبه ذلك، فسبّ ابن زياد وشتمه على رؤوس الناس وأسخطه وأغضبه، وأهانه ﷺ[١].

ولم يذكر المؤرّخون غيرهما مَن اعترض على ابن زياد.

إنّ الإرهاب الذي مارسه بنو أُمية أيام حكم معاوية وابنه يزيد سلب الناس العزم على اتخاذ الموقف، والقدرة على مواجهة الظالمين، وأُمة تبلغ هذا المبلغ من الضعف لا يرجى منها الخير.

وقد كانت رسالة الحسين ﷺ الثانية في ثورته أن يهزّ الضمير الإسلامي هزّة عنيفة، ويعطيها صدمة قويّة تعيدها إلى وعيها وإرادتها وعزمها وقوّتها، وما أراد الله تعالى لها من الإمامة والشهادة على وجه الأرض.

إنّ ما يطلبه الحسين ﷺ في هذه الثورة وهو هذا وذاك، ولن يتمّ أيّ منهما إلّا بدماء غزيرة وعزيزة، وتضحية مأساوية فريدة بنفسه وأهل بيته وأصحابه.

وليس ما كان يريده ﷺ الفتح بالمعنى العسكري الذي يقصده القادة

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلي: ٧٢، وبحار الأنوار: ١١٩/٤٥، والعوالم، الإمام الحسين، للشيخ عبدالله البحراني: ٣٨٦، ولواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ٢١١.

العسكريون... وكان أبعد ما يكون عن طمع مثل هذه الغاية، وأعرف وأخبر بعصره، والظروف المحيطة من الذين كانوا ينصحونه بعدم الخروج وينذرونه بانفراط الناس عنه. إنّ الذي يتابع مسيرة الحسين عليه السلام من المدينة الى كربلاء، ومن الحجاز الى العراق لا يشك أن الحسين عليه السلام لم يكن يطلب هذا النوع من الفتح.

والفتح الذي يشير إليه الإمام في كتابه إلى محمد بن الحنفية ومن قبله من بني هاشم هو من نوع آخر شرحناه آنفاً.

والإمام عليه السلام يجزم بالفتح في حركته هذه، ويرى أنّ من يخرج معه ينال الفتح لا محالة، ومن يتخلف عنه لا ينال الفتح البتة. ترى ما هو الضمان الذي يستند اليه الإمام عليه السلام في الجزم بالفتح؟ إنّ الضمان هو وعد الله تعالى لمن نصره بالنصر والفتح، والله تعالى لا يخلف وعده.

يقول تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[(١)].

﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[(٢)].

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[(٣)].

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[(٤)].

والحركة التي يقدم عليها الحسين عليه السلام تستجمع كل الشروط التي يطلبها الله تعالى من عباده ليهبهم النصر وهي: الإيمان، والإخلاص،

(١) سورة محمد: ٧.
(٢) آل عمران: ١٢٩.
(٣) غافر: ٥١.
(٤) الحج: ٤٠.

والتقوى، والجهاد في سبيل الله.

ولم يشكّ الحسين عليه السلام لحظة واحدة أنّ الله تعالى ينصره في هذه الحركة، وأنّ النصر لن يُخطئه وهذه هي الحتمية الثانية في هذه الحركة.

٣ ـ العلاقة بين الفتح والشهادة:

وهي القضية الثالثة في القضايا الأربع التي يتضمنها كتاب الحسين عليه السلام. وهذه الحتمية تستخرجها من ضمّ الحتميتين الأُولى والثانية.

ففي القضية الأُولى يخبر الإمام عن استشهاد كل مَن يخرج معه إلى العراق.

وفي القضية الثانية يعلن الإمام أنّ الذين يخرجون معه، فقط ينالون الفتح.

والنتيجة التي نستخرجها من ضمّ هاتين القضيتين:

إنّ الذين يخرجون مع الحسين عليه السلام ينالون الفتح بالشهادة. ولا يتيسّر لنا فهم هذه النقطة إلّا إذا فسّرنا (الفتح) على النهج الذي فسّرناه به في النقطة الثالثة عندئذٍ تستقيم لنا العلاقة بين الفتح والشهادة.

فإنّ هذا الفتح لن يكون إلّا بفتح الضمائر والقلوب والعقول، وتحرير عقول الناس ونفوسهم من سلطان التبعية لبني أُمية، وتحرير الإسلام من حركة التحريف والتشويه التي تجري في حضور السلاطين باسم الإسلام، ومن خلال موقع خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولن يتمّ هذا الفتح إلّا إذا تيسّر لهؤلاء النفر الذين يخرجون مع الحسين عليه السلام من فتح نفوسهم وعقولهم

وضمائرهم وتحريرها من سلطان بني أمية، ومن فتح الشرعية الإسلامية للخلافة وتحريرها عن نفوذ بني أمية .

ولن يتمّ لهم هذا وذاك إلّا بدم غزير و عزيز يهزّ ضمائر الناس هزّاً عنيفاً، ويعيدهم إلى أنفسهم ووعيهم ورشدهم.

وهذا هو الذي يقرّره الإمام ﷺ في هذا الكتاب الذي وجّهه إلى محمد بن الحنفية: «إنّ هذا الفتح لن يتمّ لمن يخرج معه إلّا بالقتل والشهادة».

٤ ـ إنّ هذا الفتح لن يتكرر في التاريخ:

وهذه هي الحتمية الرابعة في كتاب الحسين ﷺ إلى محمّد بن الحنفية وبني هاشم. يقول ﷺ: «ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح» وهذا الكلام صريح فيما ذكرناه.

إنّ هذا الفتح الذي أجراه الله على يد علي بن الحسين ﷺ وأنصاره لن يتكرر مرة أخرى في التاريخ.

إنّ في التاريخ نوعين من الأحداث: أحداث تتكرر كالحرب، والسلم، والمجاعات وفترات الرفاه، وفترات الضعف وفترات القوة، والهزيمة والنصر وما إلى ذلك وأحداث لن تتكرر، ولن تقع إلّا مرّة واحدة، فمَن أدركها فقد أدركها، ومَن لم يدركها فلن تعود بعد ذلك.

لقد مرّ الإسلام والمسلمين بانتكاسات مُرّة كثيرة، وبفترات صعبة، ومصائب كثيرة في التاريخ، ولكن المضيق الذي مرّ به الإسلام في بدر والأحزاب لن يتكرّر مرة أخرى. لقد اجتمع الإسلام كلّه في نقطة واحدة

وفي موقع واحد في بدر والأحزاب. ولو كان الكفر ينتصر على الإسلام في هذين الموقعين لم تبق للإسلام بعد ذلك بقية.

ولذلك أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله تلك القيمة الكبيرة لضربة علي عليه السلام يوم الأحزاب؛ فلولا ضربة علي عليه السلام يوم الأحزاب، ولولا هزيمة الأحزاب يومئذٍ لم ترتفع للإسلام قائمة على وجه الأرض. وقد وقف رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر يستغيث بالله تعالى أمام جحافل قريش:

«اللهمّ إنّ شئت أن لا تُعبد لا تعبد»[١]، وهي كلمة معبّرة دقيقة عن هذا المضيق الصعب الذي يمرّ به الإسلام كلّه في وادي بدر على مقربة من المدينة.

وقد مرّ الإسلام بعد ذلك على مصائب كثيرة وظروف صعبة وقاسية، مثل دخول المغول إلى بغداد وتخريبهم لعاصمة العباسيين، وإفسادهم الواسع في الأرض، ولكن حدث ذلك كلّه بعد أن خرج الإسلام من مضيق بدر والأحزاب والطف.

إنّ الأحداث التي لن تتكرّر في التاريخ على نحوين: فتوح لا سقوط بعدها، وسقوط لا فتوح بعده.

وفتح (عاشوراء) فتح ليس بعده سقوط.. وهذا هو الذي يقرّره الحسين عليه السلام في كتابه الذي نتحدث عنه .

فيا ترى ما هذا الفتح الذي ليس بعده فتح؟

وكيف يصحّ مثل هذا القول، وقد تكرّرت بعده هزائم وانتكاسات

---

(١) تفسير الميزان: ١٢/٢٣٨.

ومصائب على المسلمين، وتكررت بعدها فتوحات وانتصارات كبيرة للمسلمين؟

والجواب: إنّ هذه الهزائم والانتكاسات حصلت للإسلام وللمسلمين بعد أن خرج الإسلام من مضايق التاريخ وتجاوزها، وانتشر على وجه الأرض فلم تعد لهذه الأحداث خطر على كيان الإسلام، وإن كانت ستضمن له خسائر واسعة وفادحة وكبيرة كما حصل ذلك في هجوم المغول على بلاد المسلمين، أما بدر والأحزاب فكان لهما شأن آخر يختلف عن غيرهما من الأحداث التي مرّت بالمسلمين.

وفتنة بني أُمية كانت من هذا النوع، لقد استحوذ بنو أُمية على كل المساحة الإسلامية، وعلى كل مواقع القوة والنفوذ في المجتمع الإسلامي؛ وذلك من خلال موقع الشرعية السياسية، وهو موقع خلافة رسول الله ﷺ، وكان من هذا الموقع يأخذ الناس الحلال والحرام في هذا الدين، فعمل بنو أُمية على تحريف هذا الدين من هذا الموقع بالذات.

ولو كان الأمر يستقيم لهم لم يبق من الإسلام إلّا الإسم، وكان الأمر كما قال الحسين عليه السلام لوالي المدينة يوم دعاه إلى مبايعة يزيد بعد موت معاوية.

«وعلى الإسلام السلام إذا بُلي المسلمون بوال مثل يزيد»[1].

وفي عاشوراء استطاع الحسين عليه السلام أن يلغي شرعية الخلافة من آل

(١) مثير الأحزان: ١٥، وبحار الأنوار: ٤٤/٣٢٦، والعوالم: ١٧٥، ولواعج الأشجان: ٢٦.

أمية، وبني العباس فلم يعد بعد ذلك للهوهم وطربهم وإسرافهم وترفهم وظلمهم وعدوانهم خطر على الإسلام، مهما بلغ أثره التخريبي على المجتمع الإسلامي يومذاك، ولم يعد ينظر المسلمون إلى موقع الخلافة نظرة التقديس والتنزيه والشرعية، ولم يعودوا في نظر المسلمين غير حكّام من عامة السلاطين. والحكّام يظلمون ويسرفون كما يسرف غيرهم من السلاطين.

واستمر حكّام بني أمية، في موقع الولاية والحكم، واحتلّ هذا الموقع بعدهم حكّام بني العباس، إلّا أنّ الناس لم يأخذوا قط دينهم عنهم، ولم يأخذوا عنهم الحلال والحرام، كما كانوا يعملون في أيام الخلفاء الأوائل بعد رسول الله ﷺ .

إذن كانت عاشوراء فتحاً ليس بعده فتح، وقد خصّ الله تعالى بهذا الفتح الحسين عليه السلام ومن كان معه من أهل بيته من بني هاشم وأصحابه فنالوا هذا الفتح يوم عاشوراء بقتلهم جميعاً معه.

خُطب الحسين عليه السلام في كربلاء

الشيخ محمد مهدي الآصفي

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

خطب الحسين عليه السلام في كربلاء فقال:

«إنّ الدنيا قد تغيرت وتنكّرت، وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يعمل به، والباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله حقاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برما».

روى السيد ابن طاووس هذه الخطبة عن الحسين عليه السلام في اللهوف، وقال: إنّه عليه السلام ألقاها في كربلاء.

ورواها ابن عبد ربّه في (العقد الفريد: ٣١٢/٢)، وأبو نُعيم الاصبهاني في (حلية الأولياء: ٣٩/٣) و (ابن عساكر: ٣٣٣/٤) عن الحسين عليه السلام في كربلاء، كما رواها ـ السيد في اللهوف ـ ورواها الطبري في (التاريخ: ٢٢٩/٦) وقال إنّه عليه السلام ألقاها في الطريق إلى كربلاء في (ذي حسم).

ومهما يكن من أمر الموقع والمكان الذي ألقى الحسين عليه السلام فيه هذه الكلمات: فإنّ هذه الكلمات ترسم لنا صورة دقيقة عن العصر الذي عاشه الإمام الحسين عليه السلام، والمصائب والنكبات التي حلّت بالمسلمين فيه.

وتتضمّن هذه الكلمات ثلاث فقرات، حرية بالدراسة والتأمّل:

١ ـ حال الدنيا في عصره: (الحالة الاجتماعية والسياسية والروحيّة في عصر الإمام عليه السلام).

٢ ـ إعراض الناس عن الحق وإقبالهم على الباطل.

٣ ـ العزوف عن الدنيا والشوق إلى لقاء الله.

وفيما يلي ستتوقف وقفات قصيرة عند هذه الفقرات الثلاث من كلام الإمام عليه السلام.

١ ـ حالة الدنيا في عصر الإمام عليه السلام:

يقول الإمام عليه السلام: «إنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل».

إنّ هذه الدنيا قد تغيّرت كثيراً عمّا كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

والتغيير على نحوين، فقد يتغيّر الشيء، ولكنّ لا يفقد معالمه الأساسية، وقد يتغيّر شيء فيتنكّر للإنسان، فلا يعرفه الناس.

والتغيير الذي حدث للناس وللمجتمع في فتنة بني أُمية كان من النوع الثاني (إنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت»).

إنّ الذي حدث للمسلمين ـ في هذه الفتنة ـ ردّة إلى الأعراف والقيم الجاهلية، لم ينقلب الناس عن الإسلام في هذه الفتنة. ولكن الأعراف والقيم والأفكار الجاهلية، عادت كما كانت، واستعاد بنو أُمية مواقع النفوذ في المجتمع الجديد، كما كانوا يحتلّونها من قبل في الحياة الجاهلية، بنفس الأفكار والقيم والمفاهيم.

وهذا الانحراف المخيف تمّ خلال نصف قرن فقط بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

والذي يدخل اليوم قصور خلفاء بني أُمية وعمالهم في الولايات لا يجد شبهاً بينهم وبين ما جاء في كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله في حياتهم العامّة والخاصّة. إنّ الذي جاء في كتاب الله، وحدّث به رسول الله صلى الله عليه وآله وأرانا من سلوكه العام والخاص يختلف عمّا نعرف في قصور بني أُمية وترفهم وإسرافهم وعدوانهم اختلافاً كبيراً. والذي يعرف الكتاب والسنّة مقياسين للحياة يتنكّر لا محالة لما كان عليه بنو أُمية، ولا يجد سبيلاً إلى التوفيق بينهما. وهذا هو الذي يحدّثنا عنه السبط الشهيد عليه السلام: «**إنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت**».

ثم يقول عليه السلام: «**وأدبر معروفها**» وهو حالة السقوط الحضاري في التاريخ. فإنّ الأمم في حالة الصعود تقبل على المعروف، وينبع المعروف عنها، كما ينبع الماء من الأرض، وهي علامة سلامة الفطرة والعقل والضمير في الأمم، وهي حالة العروج الحضاري والعقلي والإنساني، وإذا نضبت الفطرة والضمير والقلوب عن المعروف، وشحّ معروفها كان ذلك إيذاناً بالسقوط الحضاري، وبين المعروف والعروج والسقوط الحضاريين علاقة ثابتة.

فكلّ عروج حضاري في حياة الإنسان ينشأ من تدفّق الفطرة بالمعروف، وكل سقوط حضاري ينشأ من نضوب الفطرة الإنسانية ولابدّ لهذا الإجمال من إيضاح.

إنّ الفطرة والإنسان في حالات السلامة تتدفّق بالخير والرحمة والإيمان والإخلاص والصلاح والإيثار والتقوى والنزاهة والوفاء

والشكر والعفاف والترفع عن السقوط والصدق والأمانة والمعرفة والعدل وأمثالها، وهذا هو المعروف في حياة الإنسان، كما يقول القرآن، ويسمّيه القرآن معروفاً؛ لأنّ الفطرة تعرفه.

كما أن الفطرة السليمة تنكر الإلحاد والجحود والكفران والإثرة والخيانة والكذب والظلم والإسراف والجبن واليأس وتقلّب الرأي والموقف والتخاذل وتتجنّبها، وهذه هي المنكرات كما يسمّيها القرآن، ويسمّيها القرآن بالمنكر؛ لأنّ الفطرة تنكره.

فإذا فقد الإنسان سلامة الفطرة لم يعد يجذبه المعروف، ولا يُنفّره المنكر.

كما إنّ الإنسان إذا كان يتمتع بسلامة الحس والذوق تجذبه الطيبات، وينفر من الخبائث، فإذا فقد الحس لم يعد تجذبه الطيبات ولا تُنفّره الخبائث.

والأمر في الفطرة أدهى من ذلك؛ فإنّ الإنسان إذا فقد سلامة الفطرة والضمير لا يفقد فقط القدرة على التمييز بين المعروف والمنكر كما كان الأمر في فقدان الحواس، وإنّما ينعكس الأمر عنده فتجذبه المنكرات ويميل إليها، وينفّره المعروف ويكرهه، وهذه هي حالة مسخ النفوس والفطرة.

وإذا فقد الإنسان سلامة الفطرة فقد بالضرورة سلامة الضمير، فإنّ الضمير رقيب على الفطرة، ويقوم بدور الحارس الأمين على سلامة الفطرة، حتّى ينفذ آخر ما أودع الله فيه من المقاومة.

ولابدّ أن نضيف هنا قبل أن نغادر الحديث عن هذه النقطة من كلام

الإمام عليه السلام أنّ فساد الفطرة والضمير في نفوس الناس لا يتمّان بصورة قهرية عن إرادة الإنسان واختياره، وإن كانت الآثار المترتبة على فساد الفطرة والضمير قهرية خارجة عن اختيار الإنسان، إلّا أن الله تعالى ملّك الإنسان أمر ضميره وفطرته، ولا يفسد هذا أو ذاك إلّا من خلال سوء اختيار الإنسان وإرادته.

ومهما يكن من أمر في هذه المقولة التي يوجزها الحسين عليه السلام عن حال الأُمّة؛ فما هي الفتنة التي ألمت بالمسلمين؟ نقول: إنّ نبوع المعروف من نفس الإنسان إمارة سلامة الإنسان، ونضوب منابع المعروف في نفس الإنسان أمارة ظهور الفساد في حياة الإنسان.

وبين نزول رحمة الله على الإنسان وتدفق المعروف من نفس الإنسان ونضوبها علاقة وصلة.

فإنّ رحمة الله تعالى هابطة باتصال، ولا تنقطع الرحمة عن الكون والإنسان لحظة واحدة. ولكنّ لهذه الرحمة منازل في حياة الإنسان تنزل عليها. ومن هذه المنازل سلامة نفس الإنسان. فالنفوس والقلوب السليمة أوعية ومنازل لرحمة الله. فإذا مرضت وفسدت النفوس والقلوب، وشحّ معروفها يقلّ حظّها من رحمة الله وبركاته أو ينقطع عنها. وليس في رحمة الله شحّ أو انقطاع، ولكنّ النفوس والقلوب ترفض هذه الرحمة وتعرض عنها إذا أدبر معروفها. يقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[1].

(١) الرعد: ١١.

ولم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء:

(صبابة الإناء) ما يبقى في الإناء من قطرات الماء بعدما يراق ما فيها من الإناء، هذه القطرات لا تغني عن الظمأ، ولا تروي إنساناً ولا حيواناً، وكذلك عندما تنضب فطرة الإنسان من المعروف -إلّا من صبابة كصُبابة الإناء- فلا يُرجى من هذا الإنسان خير.

إنّ الفطرة معين المعروف، والمعروف هو ما تعرفه الفطرة، والمنكر هو ما تنكره الفطرة؛ فإذا نضبت الفطرة من المعروف فسدت الفطرة، وبفساد الفطرة يفسد الإنسان والمجتمع.

وقد قلت من قبل: إنّ الفطرة عندما يصدر عنها الخير والمعروف تنزل عليها رحمة الله وبركاته، وعندما تنضب وتشحّ لا تلقى هذه الرحمة النازلة من لدن الله تعالى.

وخسيس عيش كالمرعى الوبيل:

إنّ (العيش) ليس فقط عيش الأجسام؛ فإنّ للقلوب والعقول والنفوس كذلك (عيشاً) كما للأجسام، وكما تموت الأجسام إذا فقدت ما تعيش به كذلك تموت القلوب والعقول والنفوس إذا فقدت ما تعيش به. وموت القلوب والعقول والضمائر أخطر من موت الأجسام.

والإمام عليه السلام يقول في هذه الكلمة: إنّ الذي يبقى للناس من عيش القلوب والنفوس والعقول في هذه الفتنة لا يغني عن جوع، ولا يروي من ظمأ ولا يحفظ الإنسان من الفساد والسقوط... كالمرعى الوبيل... أرأيت

المرعى الوبيل الذي اكتسحه الوباء، كيف يصفر ويجف فيبقى هنا وهناك عشب أخضر قليل بين أعشاب كثيرة قد جفّت واصفرّت، وماتت أو ذبلت.

كذلك المجتمع الذي داهمته هذه الفتنة يومئذ، كان كالمرعى الذي اكتسحه الوباء (المرعى الوبيل) فقد اكتسحت هذه الفتنة كل ما في نفوس الناس من المعروف، ولم يبق في نفوس الناس من معروف إلّا كما يبقى في الإناء من صبابة بعد ما أُريق ما فيها من الماء، لا يروي من ظمأ.

٢ـ إعراض الناس عن الحق وإقبالهم على الباطل:

يقول الإمام عليه السلام: «ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به والباطل لا يُتناهى عنه»؟

هذا هو المقطع الثاني من خطاب الإمام للناس وهو إمارة نضوب الفطرة وجفاف الضمير.

ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به؟ ولو كانت الفطرة متدفّقة في نفوس الناس لم يتوقف الناس عن العمل بالحق، وإذا فسدت الفطرة في نفس الإنسان لا يجد الإنسان في نفسه دافعاً يدفعه إلى العمل بالحق.

وكذلك (الباطل) إنّ الفطرة إذا كانت سليمة والضمير إذا كان سليماً يرفضان الباطل وينكرانه، كما ينكر الشيء الحسن الأشياء الرديئة والمكروهة.

فإذا بطل الإحساس عند الإنسان لم ينكر ما ينكره الناس الأسوياء! كذلك الضمير والفطرة في نفس الإنسان إذا استفاقا وسلما يحق الإنسان

الحق ويبطل الباطل، ويعمل بالحق ويتناهى عن الباطل، ويردع عنه، وإذا فسد ضميره وفطرته لا يجد في نفسه داعياً للعمل بالحق، ولا رادعاً عن الباطل.

هذه صورة دقيقة عن المصيبة التي حلّت بالناس في فتنة بني أمية، يصورها الإمام عليه السلام يوم عاشوراء أو في منزل (ذي حسم) لناس بهذه الصورة.

٣ــ العزوف عن الدنيا والشوق الى لقاء الله:

يقول الإمام عليه السلام: **«ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما».**

هذه الجملة الثالثة من خطاب الإمام عليه السلام للناس في عاشوراء وهذه الجملة ذات وجهين:

الوجه الأول: إنّ هذه الدنيا لم يعد فيها شيء يرغب فيه المؤمن؛ فليس في متاع هذه الدنيا ولذاتها ما يجذب المؤمن ويستميله إليها، وهذا هو الوجه الأول من هذه الجملة وهو وجه الزهد في الدنيا والعزوف عنها.

والوجه الثاني: الشوق إلى لقاء الله، الذي هو أحب شيء عند المؤمن وأرضاه إلى نفسه.

وهذا هو الذي يصرح به الحسين عليه السلام في خطابه للناس في عاشوراء، يعني ليرغب المؤمن في لقاء الله من الدنيا.

ثم يقول الإمام عليه السلام: **«فإني لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين**

إلّا برما».

إنّ الموت نافذة إلى لقاء الله، ترتفع به الحجب عن قلوب المؤمنين فيلقون من جلال الله وجماله ما لا يلقونه في الدنيا، وفي هذا اللقاء كل سعادة المؤمن ولذّته في الآخرة. وأين لذّة الجنة ونعيمها من لذّة لقاء الله في الآخرة؟

فليس الموت للمؤمن إلّا سعادة.

وليس في الحياة الدنيا ما يشدّ المؤمن إليها غير صحبة الصالحين والأخيار، وغير الأعمال الصالحة، والمعروف والصلاة والذكر والعبادة والإيثار والتضحية. ومواقف التضحية والشهادة والعدل والأمانة والصدق. هذه هي المشاهد التي تشدّ المؤمن إلى الدنيا؛ فإذا شحّت الدنيا من الصلاح والتقوى والأمانة والصدق والتضحية والإيمان والإخلاص وقلّ الصالحون فيها، ولم يلتق المؤمن فيها بغير المكروه والكيد، واللعب، والتكاثر، والحرص، والجشع، والظلم، والكذب، والخيانة، ضاقت نفوس المؤمنين بها، وكرهوها ونفروا منها، وكانت الدنيا سجناً لهم..

يقول الإمام عليه السلام: «فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما». تعزف نفسه عن هذه الدنيا، زُهداً، وتتوق إلى لقاء الله شوقاً.

تأمّلات في
الخطاب الحسيني

الشيخ محمد مهدي الآصفي

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً ـ تأمّلات في الخطاب الحسيني بمكّة عشيّة مغادرته إلى العراق:

خطب الحسين عليه السلام بمكة عشية خروجه منها الى العراق في ملأ من المسلمين، ونعى نفسه إليهم واستنصرهم ودعاهم الى الخروج معه على حكومة بني أمية. وقد نقلنا الخطبة برواية السيد ابن طاووس رحمه الله في الملهوف:

وفي هذه الخطبة يذكر الإمام الحسين عليه السلام الموت، وينعى فيها نفسه الى المسلمين فيقول:

«خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة من جيد الفتاة، وما أولهني الى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف، وخيّر لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطّعها عُسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فملأن مني أكراشاً جوفا وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفّينا أجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّبهم عينه، وينجز بهم وعده».

ثم يخاطب المسلمين فيقول:

«ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل

مصبحاً إن شاء الله».[١]

وسوف نقتصر نحن في هذه التأملات على شرح الخطاب الأخير للإمام عليه السلام.

يقول عليه السلام: **«ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله»**[٢].

وإليكم عشر نقاط في هذه الفقرة من خطاب الحسين عليه السلام:

١ ـ ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته:

الحسين عليه السلام لا يطلب من الناس مالاً، ولا زعامة، ولا سلطاناً، ولا شأناً من شؤون الدنيا، وإنما يطلب منهم مهجهم، وهو أغلى وأعز ما يطلب إمام من مأموميه، ولا يدعوهم الى الخروج معه لينالوا فتحاً أو سلطاناً أو يسقطوا سلطاناً، وإنما يدعوهم للخروج ليبذلوا مهجهم وأفئدتهم ودماءهم. وهذا نموذج فريد من القادة.

إن القادة لا يريدون من الناس مهجهم وأفئدتهم، وإنما يدعون الناس لتحقيق أهداف سياسية أو عسكرية، ويدفعون من مهج الناس وأفئدتهم ما تحتاجه هذه الغايات، ضريبة للمكاسب والإنجازات التي يطلبونها.

أمّا الحسين عليه السلام فيدعو الناس منذ أول يوم الى أن يبذلوا له مهجهم

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي: ٤٤/٣٦٦.

(٢) المصدر السابق.

وأفئدتهم ودماءهم.

وهي الميزة الفريدة التي تتميز بها ثورة الحسين ﷺ عن غيرها من الحركات والثورات ووعي هذه الخصلة مسألة مهمة في فهم ثورة الحسين ﷺ.

ـ مقارنة بين الحرّ الرياحي وعبيدالله بن الحر الجعفي:

وليس كلّ الناس كانوا يفهمون حقيقة دعوة الحسين ﷺ يومئذ، وقد أدرك ناس من الجبهة الأخرى المواجهة والمناوأة للحسين ﷺ جوهر هذه الدعوة، وجهلها آخرون من موقع المتخلّفين، وموقع التخلف أهون على كل حال من موقع المواجهة على خارطة الصراع.

ولنذكر على ذلك مثالاً عن هذا الموقع وذاك:

لقد أدرك الحر بن يزيد الرياحي ﷺ ـ وهو يشغل يومئذ رسمياً موقع المواجهة من معسكر الحسين ﷺ ـ حقيقة الدعوة الحسينية، وعلم أن الحسين لا يطلب من الناس مالاً ولا زعامة ولا سلطاناً وإنما يطلب منهم مهجهم وأفئدتهم، بينما لم يعرف عبيدالله بن الحر الجعفي هذه الحقيقة في دعوة الحسين، فلما دعاه الحسين ﷺ الى أن ينصره ويقف معه اعتذر عن الاستجابة، وقال: ما عسى أن أغني عنك ولم أخلّف لك بالكوفة ناصراً؟ فانشدك الله أن تحملني على هذه الخطة فإن نفسي لا تسمح بالموت، ولكن فرسي هذه (الملحقة) والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلاّ لحقته، ولا طلبني أحد وأنا عليها إلاّ سبقته، فخذها فهي لك.

فقال له الحسين عليه السلام: «**أما إذا رغبت بنفسك عنا فلا حاجة لنا في فرسك**»[1].

ولو كان يعي ابن الحر الجعفي ما يطلبه الحسين منه لم يكن يقدم للحسين فرسه عوضاً عن نفسه ودمه ومهجته.

وهذا فارق في الوعي بين الحر وابن الحر، علماً بأن عبيدالله بن الحر الجعفي لم يكن يومئذٍ في موقع المواجهة الرسمية والمعلنة مع الحسين عليه السلام، وإنما كان يحرص ألّا يلتقي بالحسين عليه السلام لئلا يُحرجه الإمام ويطلب منه النصرة، ثم لمّا طلب منه الإمام عليه السلام النصرة اعتذر وتخلف وكان في عداد (المتخلّفين) عن نصرة الإمام، وندم بعد ذلك على تخلفه عن الحسين عليه السلام، فلم ينفعه ندمه.

وموقع عبيدالله بن الحر الجعفي، مهما كان أهون من موقع الحر الرياحي، ولكن هذا قد أدرك من الحسين عليه السلام مالم يدركه ذاك، وهذا هو فارق الوعي.

والفارق الآخر بين الحرين، أن الحر الرياحي أعطى للحسين عليه السلام ما يريد، أما عبيدالله بن الحر الجعفي فقد اعتذر الى الإمام عن النصرة، وقال للإمام بصراحة: (إن نفسي لا تسمح بالموت).

وهذا فارق في (العطاء).

والانسان (وعي) و (عطاء).

وهذا هو الفارق بين الحر وابن الحر.

---

(١) كلمات الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ الشريفي: ٣٦٨.

٢ ـ باذلاً:

والكلمة الثانية (باذلاً) وهذه قضية ثانية، القضية الأولى أن الحسين يطلب من الناس التضحية بمهجهم، والقضية الثانية أن الحسين عليه السلام يريد من الناس أن يبذلوا له مهجهم ودماءهم، بذلاً عن وعي واختيار من غير قسر ولا إجبار، بل بطوع إرادتهم واختيارهم؛ فلا يريد أن يغتصب الناس مهجهم، ولا هو من الذين يخدعون الناس عن مهجهم ودمائهم.

وهذه قضية أصر عليها الحسين عليه السلام بشكل غريب، منذ أن خرج من الحجاز الى أن صرع مع أهل بيته وأصحابه في كربلاء.

أكثر من مرة أذن لأصحابه ولأهل بيته بالانصراف، وجعلهم في حلٍّ من بيعته.

وآخر مرة عرض عليهم الانصراف، والحل من بيعته ليلة العاشر من محرم إذ جمعهم عنده، وقال لهم بنفس الصراحة والوضوح الذي عهدوه منه من قبل **«ألا وإني قد أذنت لكم، فانطلقوا جميعاً في حلٍّ، ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرّج الله، فإن القوم إنما يطلبوني، ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري»**[1].

ولم يكن الحسين عليه السلام، يومئذ، وهو يعلن لأصحابه وأهل بيته أنهم في حل من بيعته، ويأذن لهم في الانصراف الى سوادهم ومدائنهم؛ ليلة

(١) تاريخ الطبري: ٤/٢٢١ ـ ٢٢٢، لواعج الأشجان، السيد محسن الأمين: ١١٨.

مصرعه، في كربلاء، لم يكن الحسين عليه السلام يزهد في نصرة أصحابه، وإنما كان في أمسّ الحاجة الى الأنصار، وكان لا يُفرّط في فرصة تمر عليه يستطيع أن يدعو فيها الناس على العموم، أو بالخصوص الى نصرته إلا ويعمل فيها الاستنصار والدعوة، فلماذا هذا التأكيد المكرر لأصحابه وللذين التحقوا به أن ينصرفوا الى بلادهم وأهلهم؟ ولماذا يصرّ الحسين عليه السلام الى جنب ذلك، على إعلان الاستنصار؟

وكيف يجتمع هذا الإصرار على الاستنصار مع هذا التأكيد على الإذن لأصحابه وأنصاره بالانصراف في نفس الوقت، والتحلل من بيعته؟

إن الأمر عند الحسين عليه السلام واضح، فهو يريد من الناس أن يبذلوا له مهجهم (بذلاً) عن وعي وبصيرة وبمحض إرادتهم، من دون قهر أو حرج أو حياء، ولماذا؟

لأن الطريق الذي يريد الحسين عليه السلام أن يقطعه لا يمكن أن يقطعه الناس إلّا إذا مضوا معه بوعي وبصيرة وإرادة وعزم، أما اذا قطعوا هذا الطريق عنوة أو من غير وعي وطواعية. فلا يبلغون ما يريده الحسين عليه السلام .

إنّ الحسين عليه السلام يريد أن يستصفي من هذه الأمّة أنقاها جوهراً، وأصفاها قصداً ونيّة وإخلاصاً ليصطحبهم معه الى لقاء الله في كربلاء، ولو كان يشوب نفوسهم شيء من الحرج أو الحياء في خروجهم مع الحسين عليه السلام الى مصارعهم في كربلاء ولو بنسبة قليلة؛ لفقدوا في نفوسهم وقصدهم هذا الصفاء والخلوص الذي يطلبه الحسين عليه السلام من أصحابه في خروجهم الى لقاء الله.

إن هذه الرحلة رحلة الى لقاء الله، وهي تختلف عن أية رحلة أخرى، ومثل هذه الرحلة تتطلب من الصفاء والنقاء في القصد والنية مالا تتطلبه رحلة أخرى، ولذلك كان الحسين ﷺ يحرص حرصاً بليغاً أن يكون خروج أصحابه معه عن (بصيرة) و (اختيار).

هذا من ناحية (ربّانية الحركة) التي كان الحسين ﷺ يحرص على تحقيقها في حركته.

وأمّا من الناحية (السياسية) ـ وهو الهدف الآخر للحسين ـ فإنه ﷺ يريد أن يهز ضمائر المسلمين وقلوبهم بمصرعه ومصرع من معه من المؤمنين وأن يعيدهم الى أنفسهم بعد أن سلخهم بنو أمية عن أنفسهم. ولن يتم للحسين ﷺ مثل هذا الانقلاب العميق في نفوس الناس، وهذه العودة الى الذات إلّا إذا كانت العناصر التي تشارك في صنع هذه الملحمة الخالدة تتصف بالبصيرة والعزم.

وبعكس ذلك لو كانت هذه العناصر من العناصر الضعيفة والرجراجة التي تقدّم خطوة وتؤخر أخرى فإن مردود عملها ومشاركتها يكون بالاتجاه السلبي.

ومن هنا كان الحسين ﷺ يريد بإصرار من الناس أن يبذلوا له أنفسهم ومهجهم بذلاً، عن إرادة واختيار وبصيرة.

٣ـ فينا:

وهذه قضية ثالثة في دعوة الحسين ﷺ فهو يريد أوّلاً من الناس أن

يضحّوا بمهجهم.

ويطلب منهم ثانياً أن تكون هذه التضحية عن اختيار وبصيرة وبذل.

ويطلب منهم ثالثاً أن يكون هذا الجهد وهذه التضحية (فيهم)(ع)، وهي مسألة الانتماء والولاء، لا في جهة أخرى ولغاية أخرى من الغايات التي يعمل لها الناس.

وهذه مسألة في غاية الأهمية فإن قيمة العمل ليس في حجمه ونوعه وشكله فقط وإنما في انتمائه أيضاً.

فقد خرج كثيرون على بني أمية ونقموا عليهم، ونشروا مثالبهم، وقاتلوهم، وتحملوا العذاب والمطاردة والخوف والرعب في سبيل ذلك، وضحوا بأنفسهم في ذلك، ولكن لغايات شخصية أو سياسية أو قبلية وعشائرية . وليس على خط الولاء السياسي والعقائدي الذي فرضه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[1].

لقد خرج عليهم عبدالله بن الزبير، وخرج عليهم الخوارج، وخرج عليهم أبو مسلم الخراساني وآخرون من الناس. وليس بإمكاننا أن نستهين بالجهد والتضحية التي بذلوها في هذا السبيل، ولكن كان ينقصهم الانتماء والولاء والذي يعبر عنه الإمام(ع) بهذه الكلمة: (فينا).

ولا قيمة للعمل اذا فقد حالة (الانتماء) والارتباط والولاء، على الخط الذي يحدده الله ورسوله.

(١) المائدة: ٥٥.

وهذه المقولة خاصة بهذا الدين، وليس في الأنظمة الفكرية والسياسية الأخرى قيمة لارتباط العمل وانتمائه؛ وانما يقيم العمل بنوعه وحجمه وصفته. وأما في الإسلام فالأمر يختلف اختلافاً كبيراً، ويكتسب العمل قيمته الحقيقية بنوعية العمل وارتباطه وانتمائه. ولمحاور الولاء حلقات يتصل بعضها ببعض، وينتهي الى الله تعالى وهو مبدأ الولاء وأساسه في الاسلام.

والحسينعليه السلام حلقة في هذه السلسلة؛ ولذلك فهو يشترط في هذه الدعوة أن تكون التضحية والبذل (فيه).

٤ ــ موطّناً على لقاء الله نفسه:

وهذه هي النقطة الرابعة والخامسة في الخطاب الحسيني، فالإمامعليه السلام في هذه الفقرة يشير الى قضيتين أُخريين في دعوته وهما (الإخلاص) و (التوطين).

ولابد منهما معاً في مثل هذا المشروع الثوري الضخم الذي ينهض به الحسينعليه السلام.

والإمامعليه السلام يشير الى (الإخلاص) بقوله: «موطّناً على لقاء الله نفسه»[1]، ويطلب ممّن يصحبه في هذه الرحلة أن يوطّنوا أنفسهم فقط للقاء الله، وليس لأية غاية أخرى. وأية غاية أخرى غير لقاء الله لا قيمة لها في هذه الرحلة.

---

(١) العوالم، الإمام الحسينعليه السلام، الشيخ عبدالله البحراني: ٢١٧.

وهذا النص هو أول رواية يذكرها البخاري في كتابه (الجامع الصحيح) عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو الى امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه)[١].

والارتباط به عليه السلام الذي عبّر عنه بكلمة (فينا)، والذي شرحناه من قبل انتماء وليس غاية، وإنما هو واسطة للارتباط بالله. وإبتغاء وجه الله ومرضاته هو الغاية، وفي نفس الوقت هو المبدأ في تسلسل حلقات الولاء، وإذا انقطعت أية حلقة من حلقات الولاء من الله تعالى سقطت، وفقدت كل قيمتها.

ومحاور الولاء، ومنها الحسين عليه السلام جسور، وسبيل الى الله، والى هذا المعنى تشير الفقرات الواردة في زيارة (الجامعة الكبيرة) المعروفة:

السلام على محالّ معرفة الله، ومساكن بركة الله ومعادن حكمة الله. السلام على الدعاة الى الله والأدلاء على مرضاة الله والمستقرين في أمر الله.

ولكيلا نتصور أن كلمة (فينا) الواردة في هذه الدعوة الحسينية غاية في حدّ ذاتها، يتدارك الإمام عليه السلام سريعاً ويقول: **«وموطّناً على لقاء الله نفسه»**[٢] وهذا هو معنى الإخلاص والتوحيد في (الولاء).

---

(١) صحيح البخاري الجزء الأول: باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وآله.
(٢) العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ عبدالله البحراني: ٢١٧.

ـ التوطين:

والقضية الخامسة التي يشير اليها الإمام عليه السلام في هذه الدعوة: (التوطين) ولابد منه في هذه الرحلة العسيرة والشاقة.

فهذا الذي يدعو اليه الحسين عليه السلام من بذل المهج والدماء، لله ليس بالأمر السهل اليسير، وقد عبّر عنه القرآن في سورة الأنفال بـ (ذات الشوكة). وقد يندفع الإنسان في هذا الطريق من دون إعداد وتوطين، ثم يتزلزل في أثناء الطريق، وتهتز قدمه، ويدخله الخوف والرعب ويتراجع.

ولنا في مسيرة الرسالات شواهد كثير على ذلك.

ولكيلا يتراجع الإنسان، ولا تفاجئه أهوال الطريق يجب عليه أن يعدّ نفسه للقاء الله إعداداً خالصاً، ويوطّن نفسه لهذه الرحلة العسيرة على طريق ذات الشوكة توطيناً.

و(التوطين) أعلى درجات الإعداد النفسي لمواجهة الابتلاء، وكأنما يعدّ الانسان نفسه ليكون منزلاً وموطناً للابتلاء، ويحضّر نفسه لتنزول البلاء ويهيئها لاستقبال الموت والابتلاء، فلا تفاجئه الابتلاءات عندما تنزل عليه.

والإعداد النفسي لاستقبال الابتلاء على أنحاء، وأعلاها وأفضلها وفي نفس الوقت أشقّها، هو هذه الحالة الى يشير اليها الإمام بكلمة (التوطين).

وهو يشبه الى حدّ كبير الحديث المعروف «موتوا قبل أن تموتوا»[١] فإن الموت الأول حالة إيحائية نفسية بتقطيع العلاقات التي تربط الإنسان بالدنيا، استعداداً لتلقي الموت، فإذا نزل به الموت لم يفاجئه. وبهذه الحالة من الإيحاء النفسي يمتص صدمة مفاجأة الابتلاء والموت الحقيقي كثيراً.

والإيحاء الثاني للتوطين توطين النفس للرضا بقضاء الله، وما قدّره تعالى لعبده على طريق ذات الشوكة.

والى هذا المعنى التربوي الدقيق تشير النصوص الإسلامية؛ ففي دعاء كميل: «واجعلني بقسمك راضياً قانعاً»[٢].

وفي زيارة (أمين الله):

«اللهم اجعل نفسي مطمئنة بقدرك، راضية بقضائك، صابرة على نزول بلائك»[٣].

وكلمة (التوطين) تحمل هنا هذا المعنى التربوي العميق، وتُعِدُّ الإنسان لاستقبال الابتلاء من جانب الله بحالة التسليم والرضا بقضاء الله.

وحالة (الرضا) في تلقي الابتلاء من جانب الله أعمق من حالة التسليم.

وكلمة (التوطين) تشير الى هذا المعنى النفسي العميق بالرضا بقضاء الله.

وهذا الإيحاء الثاني يقوم أيضاً بدور مؤثر في امتصاص صدمة مفاجأة الموت والابتلاء من نفس الإنسان في ساحة المواجهة والصراع.

---

(١) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي: ٦٣/٨.
(٢) إقبال الأعمال، ابن طاووس الحسيني: ٣٣٢/٣.
(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٨٥/٩٩.

ـ لقاء الله:

والنقطة السادسة في الخطاب الحسيني على (لقاء الله) نفسه. وهذه الكلمة هي التعبير الشفاف والرقيق الذي اختاره الإمام للموت وهو (لقاء الله).

وللموت وجهان: وجه سلبي ووجه إيجابي، والوجه السلبي هو حالة (الفصل) والوجه الإيجابي هو حالة (الوصل).

فإن الموت يقوم بتقطيع كل العلاقات التي كوّنها الإنسان لنفسه، وبناها في الحياة الدنيا بجهد وحرص وتعب خلال أيام عمره مرة واحدة، من العلاقة بالأموال والبنين والأزواج والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة، وما الى ذلك من العلاقات التي يكونها الانسان لنفسه في عمره بجهد وحرص، ويأنس بها أنساً شديداً منقطع النظير؛ فيقوم الموت بفصل الانسان عن كل هذه العلاقات مرة واحدة، وليس بصورة تدريجية.

وهذا هو الوجه السلبي المرعب والمخيف للموت وهو وجه (الفصل) من هذه الحتمية الإلهية التي تنزل بأي إنسان.

والوجه الآخر للموت، وهو الذي يشير اليه الإمام الحسين عليه السلام في هذه الكلمة، هو وجه (الوصل) وهو الجانب الإيجابي من الموت، فإن الموت هو النافذة التي فتحها الله تعالى على عباده للقائه، ومن خلال نافذة الموت يتم للصالحين من عباده لقاؤه؛ فان الدنيا تحجب الإنسان عن لقاء الله فإذا

حلّ به الموت انكشفت عنه الحجب ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾[1]، وأمكنه أن يرقى الى لقاء الله تعالى.

﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾[2].

﴿قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين﴾[3].

﴿يفصّل الآيات لعلّكم بلقاء ربّكم توقنون﴾[4].

﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً﴾[5].

﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت﴾[6].

﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾[7].

وهذا هو الوجه المشرق للموت.

ويختلف موقف الناس النفسي من الموت باختلاف الوجه الذي ينظرون من خلاله الى الموت، فالذين ينظرون الى الموت من خلال وجهه السلبي يرعبهم الموت ويصدمهم عند المفاجأة، والذين ينظرون الى الموت من الوجه الثاني يجدون في الموت نافذة الى لقاء الله فيحبون الموت ويقبلون عليه ويتمنونه، ويجدون في الموت فوزاً بلقاء الله؛ كما قال أمير المؤمنين (ع) لمّا ضربه اللعين ابن ملجم وسقط في محراب

(١) سورة ق: ٢٢.
(٢) الأنعام / ٣١.
(٣) يونس / ٤٥.
(٤) الرعد / ٢.
(٥) الكهف / ١١٠.
(٦) العنكبوت / ٥.
(٧) يونس: ٧.

صلاته: «فزت ورب الكعبة»، والى هذا المعنى يشير القرآن الكريم عندما يتحدّى اليهود في دعواهم ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبداً بما قدّمت أيديهم﴾[١].

وقبل أن نختم الحديث عن هذه الفقرة من كلام الإمام عليه السلام نتساءل: كيف يتمكن الإنسان أن يوطّن نفسه للموت ولنزول البلاء حتى لا تصدمه مفاجأة الابتلاء في ساحة البأساء والضراء، التي خلق الله تعالى الإنسان فيها، وحتى لا يهتز الانسان في زلزال الابتلاء؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول: إن هناك عاملين تربويين في حياة الانسان يساعدان الإنسان في توطين نفسه للابتلاء والموت، وهما الإكثار من ذكر الموت أولاً، وتركيز الشوق الى لقاء الله تعالى في النفس، والنظر الى الموت من خلال هذا الوجه الإيجابي والمشرق ثانياً.

ففي المحاولة التربوية الأولى، يأنس الإنسان الى الموت، ويألف التفكير فيه فلا يصدمه الموت والابتلاء عندما ينزل بالانسان، وفي المحاولة التربوية الثانية يجد الإنسان في الموت نافذة الى لقاء الله، وكأنما الحياة الدنيا كانت تعيقه عن ذلك فيحرّره الموت عن عوائق الدنيا ليلقى الله تعالى في الآخرة وتقر عينه بلقاء الله.

(١) الجمعة: ٦ ـ ٧.

٥ ـ فليرحل:

هذه الرحلة تختلف عن كثير من الرحلات الأخرى. فـهما ظـاهر وباطن.

ظاهر هذه الرحلة من الحجاز الى العراق لنصرة الحسين عليه السلام، وباطن هذه الرحلة، الرحلة من الأنا الى الله، ومن الدنيا الى الآخرة، ومن الاستئثار الى الإيثار، ومن الخمول وإيثار العافية الى التضحية والجهاد. والرحلة الأولى على وجه الارض في ساحة الصراع السياسي؛ والرحلة الثانية في داخل النفس. وما لم يجتمع هذان البعدان ـ معاً ـ في هذه الرحلة فلا تنفع هذه الرحلة ولا تبلغ غايتها.

والبعد الباطني لهذه الرحلة قبل البعد الظاهري؛ وهو الذي يقوم البعد الظاهري.

والذين لم يستجيبوا لدعوة الحسين عليه السلام في هذه الرحلة، والذين تراجعوا عنها عندما جدّ الجد كانوا من الذين لم يرحلوا الرحلة الثانية داخل نفوسهم.

لقد تجسدت هذه الرحلة بصورة واضحة فيمن تجسدت فيه من أصحاب الحسين عليه السلام، زهير بن القين رضي الله عنه. فقد كان أموي الهوى، فأصبح حسينياً. وكان يؤثر العافية في حياته؛ فآثر الخوض في صراع عنيف مع الجيش الأموي على العافية، وكان من أبناء هذه الدنيا، فانقلب الى الآخرة، وأمر بفسطاطه وثقله الى جهة الحسين، وطلّق زوجته الشجاعة الصالحة

التي علّمته كيف يأخذ القرار الصعب في الأزمات الصعبة، كلّ ذلك خلال دقائق معدودة. ولسنا نعلم الى اليوم ماالذي حدّثه الحسين عليه السلام عندما خلى به عليه السلام؟ وما الذي جرى بينه وبين الحسين عليه السلام؟ ولكنّا نعلم أن هذا اللقاء كان حداً فاصلاً بين مرحلتين من حياة زهير رضي الله عنه، وأن زهيراً رضي الله عنه تعرّض بعد هذا اللقاء مرة واحدة لانقلاب عميق في شخصيته وحالته؛ فأمر بفسطاطه وثقله الى جهة الحسين.

ولنقرأ القصة برواية الطبري عن أبي مخنف:

يروي أبو مخنف عن السدي عن رجل من بني فزارة: كان مختبئاً معه في دار الحرث بن أبي ربيعة في (التمارين) أيام الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان هذا الرجل الفزاري مع زهير بن القين رضي الله عنه.

فسألته عن خبرهم مع الحسين عليه السلام.

فقال الفزاري: (كنّا مع زهير بن القين البجلي، حين أقبلنا من مكة نساير الحسين عليه السلام. فلم يكن شيء أبغض الينا من أن نسايره في منزل؛ فإذا سار الحسين عليه السلام تخلّف زهير بن القين، واذا نزل الحسين تقدم زهير؛ حتى نزلنا يومئذٍ في منزل لم نجد بداً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين عليه السلام في جانب، ونزلنا في جانب، فبينا نحن جلوس نتغذى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتى سلّم، ثم دخل، فقال: يا زهير بن القين، إن أبا عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام بعثني اليك لتأتيه. قال: فطرح كل إنسان منا ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير)[1].

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٢٩٠.

قال ابو مخنف فحدثتني دلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين قالت: قلت: أيبعث اليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه؟ سبحان الله! لو أتيته فسمعت من كلامه ثم انصرفت. قال: فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه: قالت: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم وحمل الى الحسين.

ثم قال لامرأته: (أنت طالق، إلحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك سوء بسببي الأخير)[1]. وهذا هو البعد الظاهري من الرحلة.

وكان زهير رضي الله عنه ضمن أسرة سياسية واجتماعية وعائلية، مرتبطاً بمجموعة من العلائق المادية والسياسية والاجتماعية، ومحاطاً بسياج من العوائق المادية والسياسية والاجتماعية، فحل نفسه بحركة سريعة وقوية من هذه (العلائق) جميعاً، وتحرر منها، وأزاح هذه العوائق جميعاً من أمامه، والتحق بالحسين (ع)؛ فأصبحت علائقه حسينية، ولكل أسرة علائقها وعوائقها، وولاؤها وبراءتها. ولا تخلو أسرة حضارية من هاتين الخصلتين في الجاهلية والإسلام، والحق والباطل.

وقد كان هوى زهير للأسرة الأموية فتحول الى الأسرة العلوية، وانقلب ولاؤه وبراءته وعلائقه وعوائقه من الأموية الى العلوية.

وهذا هو البعد الباطني لهذه الرحلة، وهو جوهر هذه الرحلة، والذين تخلفوا عن الحسين (ع) في هذه الرحلة، كانوا متخلفين في الرحلة الأخرى داخل نفوسهم، وما لم تتم للإنسان هذه الرحلة الشاقة في داخل نفسه لا

---

(١) تاريخ الطبري ٧/٢٩٠.

يتوفق الى الرحلة المماثلة لها في ساحة الصراع.

وتلك الرحلة هي الهجرة الكبرى، أمّا الرحلة في ساحة الصراع، وعلى وجه الأرض فهي الهجرة الصغرى في حياة الإنسان.

والهجرة الكبرى هي الأساس للهجرة الصغرى. وإن الجهاد الأكبر هو أساس النجاح في الجهاد الأصغر.

ولا يزال الخطاب الحسيني (: فليرحل معنا) يدوّي في التاريخ، في آذان الخائفين والمستضعفين، يدعوهم الحسين عليه السلام أن يرحلوا من دنياهم الى دنياه، من دنيا الخنوع والتهافت على حطام الدنيا، وحب الدنيا الى دنيا العز والترفع عن حطام الدنيا والزهد في الدنيا.

ولا تزال قافلة الحسين عليه السلام تتحرك وتقطع أشواطاً في طريق ذات الشوكة. يلتحق بها ناس آثروا الآخرة على الدنيا ورضوان الله على حطام الدنيا، ويتخلف عنها ناس طال أملهم في الدنيا فتثاقلوا الى الأرض.

ـ الكلمة الثامنة: (معنا):

وليهنأ أصحاب الحسين عليه السلام بمعية الحسين في هذه الرحلة، وقد كان الناس يقولون عندما كانت الرحلات الطويلة شاقة وخطرة وعسيرة: (الرفيق قبل الطريق)[1].

وطريق كربلاء، طريق شاق وعسير وطويل، ليس في ذلك شك. وطريق صاعد، وعر، كثير المزالق.

(١) الكافي: ٨/ ٢٤.

يبدأ من نقطة الأنا وينتهي الى الله تعالى، ومن الدنيا الى الآخرة، ومن التعلق بالدنيا الى التجرد والترفع عن الدنيا، وتكثر المزالق والمخاطر على هذا الطريق. و يكثر المعرضون عنه ويقلّ روّاده، ولكن (معيّة) الحسين عليه السلام على هذا الطريق تخفّف من متاعب الطريق، وتؤمّن للإنسان سلامة الحركة والوصول الى الغاية.

وفي كل طريق صعب وشاق يحتاج الانسان الى (دليل) و (قدوة).

ومهمة (الدليل) هو التوجيه والدلالة ،كما تشير اللوحات الموضوعة على مفارق الطرق الى الجهات التي يقصدها الروّاد.

والطرق السهلة واليسيرة لا يحتاج فيها الإنسان الى أكثر من (دليل).

وأمّا الطرق الصعبة فيحتاج الإنسان فيها بالإضافة الى الدلالة الى (القدوة) التي تتقدمه وتتحرك معه وأمامه، وتبعث في نفسه القوة والثقة، لئلا يتعب، ولئلا ييأس، ولئلا يتمكن منه الرعب والخوف والتعب واليأس.

والحسين عليه السلام للسالكين على طريق ذات الشوكة دليل ومعلم أولاً، وقدوة وأسوة ثانياً، وكان يقول للناس عندما يستنصرهم: (ونفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم)[1].

ولست أدري ماذا في هذه الجملة: (فإني راحل مصبحاً إن شاء الله)[2] من عزم وإرادة على تغيير مسار التاريخ. والأعمال العظيمة تحتاج الى إرادة

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤٤/٣٨٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤٤/٣٦٦.

حاسمة وعزم؟ والعزم دليل القوة، كما أن التردد في العزم دليل العجز. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ما ضعف بدن عما قويت عليه النية»[1].

ولست أدري ماذا أودع الله في هذه الرحلة بهذه الكوكبة الصغيرة من المؤمنين من التأييد والتسديد والتوفيق والنصر؟ فقد غيرت هذه الرحلة على بساطتها مسار تاريخ الحضارة الإسلامية. ولولا هذه الرحلة لتمكن بنو أمية من تغيير معالم هذا الدين وتحريفه، وتقديم صورة أخرى للإسلام هي أقرب إلى بطر الملوك وإسرافهم منه إلى دين الله.

ولو تغير هذا الدين لتغير مسار الحضارة البشرية

إن شاء الله:

وهي النقطة العاشرة في هذا الخطاب الحسيني.

في هذه الجملة نلمس إرادتين تندك إحداهما في الأخرى، ولا يكتسب العمل قيمته الحقيقية إلا بحضور هاتين الإرادتين معاً، واندكاك احداهما في الأخرى.

الإرادة الأولى هي إرادة العبد، والإرادة الثانية هي إرادة الله تعالى، وتذوب الأولى في الثانية.

إن الإنسان (خليفة) الله، ينفذ مشيئة الله وإرادته على وجه الأرض في عمارة الأرض، وإصلاح الإنسان من خلال إرادته واختياره، من دون أن يفقده ذلك حرية الاختيار والقرار.

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١/ ٣٨.

وهذا هو الفارق بين (الآلة) و(الخليفة) كل منهما يحقق إرادة الطرف الآخر، ولكن الآلة تحقق إرادة الطرف الآخر دون اختيار وإرادة، و (الخليفة) يحقق إرادة الطرف الآخر من خلال إرادته واختياره.

والجماد والنبات والحيوان أدوات مسخرات لتحقيق إرادة الله تعالى ومشيئته، وفق قوانين إلهية ثابتة في الطبيعة، ولكن من دون إرادة واختيار.

وأمّا الإنسان فهو خليفة الله تعالى، خلقه الله تعالى وأكرمه بخلافته على وجه الأرض: ﴿وقال... إني جاعل في الأرض خليفة﴾[1] ليقوم بتنفيذ مشيئة الله وإرادته على وجه الأرض، ولكن من خلال إرادة الانسان نفسه ومشيئته، لا من دون إرادة واختيار.

وفي هذه الفقرة من خطاب الحسين عليه السلام نلمس نحن هذه الحقيقة بشكل واضح.

فهو يقول أولاً:

«فإنّي راحل مصبحاً».

في هذه الجملة تبرز (الأنا) و (الإرادة الإنسانية) بصورة واضحة. «إني ـ راحل».

ولكن الجملة الثانية:

ـ «إن شاء الله»

تأتي مباشرة بعد الجملة الأولى، لتكفكف من بروز (الأنا) في الجملة

(١) البقرة: ٣٠.

الأولى ونتوجه (الأنا) و (الإرادة) للاندكاك في إرادة الله تعالى، ولتوظّف الأنا وإرادته في تنفيذ إرادة الله ومشيئته.

إن الحسين عليه السلام هنا، يعبر في الجملة الأولى: (فإني راحل) عن عزم وإرادة لاحدّ لهما في التضحية والفداء. وهذه التضحية تنمّ وتنبع عن (إرادة قوية وصارمة).

وهذه الإرادة تُبرز بصورة قهرية (الأنا)، وتركّزه في رحلة الحسين عليه السلام الى الله تعالى، ولاشك أن (الأنا) تبرز هنا في ساحة طاعة الله تعالى، وليس في ساحة الشيطان، وليس تركيز الأنا وبروزه في ساحة طاعة الله، كتركيز الأنا وبروزه في ساحة الشيطان.

إلّا أن الحسين عليه السلام ماضٍ في هذه الرحلة الى الله تعالى، ويريد أن يتجرد عن (الأنا) حتى في ساحة طاعة الله، و لا يريد أن يأخذ معهُ (الأنا) الى الله تعالى، فإذا عزم على الرحيل الى الله يقول:

(إن شاء الله)، ويربط مشيئته بمشيئة الله، ويصهر إرادته و اختياره في إرادة الله، ويوظّفها لتنفيذ مشيئة الله تعالى وإرادته.

ونحن نمر بهذه الجملة من الخطاب الحسيني ونشعر بالرحيل، ونشعر بمشيئة الله، ولكن لا نجد بينهما (الأنا).

وما أشبه موقف الحسين عليه السلام في هذه الجملة بموقف أبيه إسماعيل (الذبيح الأول) عندما عرض عليه أبوه إبراهيم خليل الله أن يذبحه، كما أراه الله تعالى ذلك في المنام!

﴿فلما بلغ معه السعي قال: يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر

ماذاترى﴾[١].

﴿قال: يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدني ان شاء الله من الصابرين﴾[٢].

إنّ في جملة: (يا أبت افعل ما تؤمر) التي نطق بها إسماعيل عليه السلام في سن المراهقة من التضحية، والفداء، والعطاء، والبذل، واليقين، والشجاعة، والحزم، والقوة، والصبر، ومقاومة الهوى، والتنكر للذات، والترفع عن الدنيا، والإقبال على الله، والإعراض عن الدنيا، والإخلاص لله، والعزوف عن غير الله، وما لست أدري من القيم الانسانية، ما لا حدّ له.

ولكن في هذه التضحية والعطاء تبرز (الإرادة)، ومن خلال الارادة يبرز (الأنا).

وهو ما لا يريد ذبيح الله إسماعيل عليه السلام أن يأخذه معه في رحلته الى الله.

صحيح أنّ (الأنا) يبرز هنا في ساحة طاعة الله، وليس في ساحة الطغيان والهوى والشح والبخل والضعف والجبن وحب الدنيا.

ولكن هذه الساحة وما فيها يجب أن يكون كله لله تعالى، وليس لإسماعيل عليه السلام فيها شيء، وإسماعيل عليه السلام لا يريد أن يدخل هذه الساحة الربانية محمّلاً بـ(الأنا) ومثقلاً بـ(الأنا)، بل يريد أن يتخفف عن ثقل الأنا، ويندكّ وتندكّ إرادته وفعله وتضحيته في مشيئة الله تعالى وإرادته، وكأنه (وليس كأنه بل تحقيقاً) ليس له دور ولا أثر ولا فعل ولا فضل في هذه التضحية النادرة، وإنما كل ذلك لله تعالى وبمشيئة الله وإرادته،

(١) الصافات / ١٠٢.
(٢) الصافات / ١٠٢.

وبفضله ورحمته وهو كذلك، فيقول:

﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾[١].

فتشعر بالتضحية والعطاء العظيم، وتشعر بمشيئة الله تعالى وفضله ورحمته على إسماعيل بهذه التضحية، ويختفي إسماعيل ﷺ ويختفي ظلاله تحت كلمة (إن شاء الله) حتى لا تكاد تشعر به، رغم ضخامة التضحية وعظمة الفداء.

صلّى الله عليك يا ابن إبراهيم خليل الرحمن تضاءلت أمام عظمة الله، فعظّمك في محكم كتابه، وذبت في مشيئة الله فأبرزك الله تعالى في قرآن عظيم يتلوه الناس ليلاً ونهاراً عبر القرون: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنّه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً وكان يأمر أهله بالصلاة، والزكاة، وكان عند ربّه مرضياً﴾[٢].

ولقد كان مشهد هذه التضحية الفريدة في التاريخ صغيراً في الأرض عظيماً في السماء. ولقد اجتمع الملائكة يومئذ عند هذا المشهد العظيم، ليروا أن أبا الأنبياء إبراهيم ﷺ قد أضجع فلذة كبده إسماعيل على الأرض، وتلّه للجبين، وأهوى بالسكين على نحره ليذبحه. وإسماعيل مستسلم لأمر الله لا يضطرب ولا يتحرك، ولم يشهد يومئذ هذا المشهد العظيم على الأرض من الناس أحدٌ، فضجّت الملائكة الى الله تعالى يدعون الله الرحمن الرحيم أن يفدي إسماعيل بذبح عظيم.

---

(١) الصافات: ١٠٢.

(٢) مريم: ٥٤ ـ ٥٥.

ولقد كانت الدنيا يومئذٍ غارقة في ظلمات الكفر والجهل. ومن بين هذه الظلمات كان يرتفع عمود من النور من وادي منى الى السماء، يجتمع حوله ملائكة الله ليروا مشهد هذه التضحية العظيمة. تضحية الابن وتضحية الأب.

ولست أدري أيهما كان أعظم عند الملائكة يومئذٍ، وهم يشهدون هذا المشهد العظيم: تضحية الأب بابنه، أم تضحية الابن بنفسه على يد أبيه؟

ثم أيهما كان أعظم لدى الملائكة، هذه التضحية النادرة والعجيبة من ذلك الشاب اليافع المراهق إسماعيل عليه السلام، أم تعليق ذلك كله على مشيئة الله: ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾[1]؟

ولكن مهلاً يا ملائكة ربي لا تستجلوا المثل الأعلى لهذا الوالد وما ولد عليهما السلام وتريثوا حتى يأتي الله من ذرية هذا الأب وابنه في كربلاء، بأبي الشهداء يحمل رضيعه على يده وهو يتلظى عطشاً، ويطلب له الماء فيرميه الخبيث حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فيذبحه من الوريد الى الوريد على يده أبيه!

فيضع الحسين كفّه تحت نحر الطفل، ويرمي بدمه الى السماء لئلا ينزل غضب الله على الأرض.

ثم لا يستعظم شيئاً من فعله، ولا يكبر شيئاً من تضحيته وعطائه، ولا يدخله العجب بشيء من هذا البذل العظيم في سبيل الله، ويرى أن كل ذلك

---

(١) الصافات: ١٠٢.

من الله، وبمشيئة الله تعالى، وبفضله، ورحمته، وليس له في ذلك دور أو شأن، وإنما الشأن كل الشأن لله تعالى وحده، وهو منفّذ لأمر الله تعالى فقط فيقول: «إني راحل مصبحاً إن شاء الله». ويقول يوم عاشوراء، في ساحة التضحية والفداء: «اللهم إن كان هذا يرضيك، فخذ حتّى ترضى».

ثانياً: تأملات في الخطاب الحسيني يوم عاشوراء:

«سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم. فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه منكم، ولا أمل أصبح لكم فيها»(١).

هذا خطاب الحسين عليه السلام للناس يوم عاشوراء. وهو خطاب عجيب، خاطب به الناس في تلك الساعة الحرجة قبل أن يسلّوا عليه السيوف. يحمل هذا الخطاب ما لا حد له من الأسى والحسرة على اولئك الناس الذين سلّوا سيوفهم بوجه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. وسوف أتحدث عن جملة من النقاط في هذا الخطاب.

١ ـ سللتم علينا سيفاً في أيمانكم:

الناس على خارطة الصراع ثلاث طوائف:

الأولى والثانية طرفا الصراع والثالثة الفئة المتفرجة على ساحة الصراع، المتخلّفة عن الحق، وهي شريحة واسعة من المجتمع.

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس الحسيني: ٥٨.

أمّا الأولى والثانية فهما يدفعان ضريبة الصراع، وضريبة الصراع أن تتساقط الأيدي والرؤوس، وهي تعمّ طرفي الصراع على نحو سواء، ولا يختص بجانب (الحق) أو (الباطل)، وهذه سنّة الله تعالى في كل صراع؛ يقول تعالى: ﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾[2].

ويتميّز جانب الحق في هذا الصراع، بتأييد الله تعالى وإسناده تعالى ونصره لهم في الصراع، وقد وعد الله تعالى المؤمنين بذلك، يقول تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[3] ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾[4].

وهو ما يرجوه المؤمنون من الله في ساحة الصراع ﴿وترجون من الله ما لا يرجون﴾[5].

ولهذا الرجاء أثر في تطمين ودعم نفوس المؤمنين في ساحة المعركة. أمّا النصر الإلهي فهو الذي يقرّر نتيجة الصراع لصالح المؤمنين.

هذا عن الفئتين المتقاتلتين.

وأمّا الفئة الثالثة فهي فئة معقّدة، شديدة التعقيد، سهلة الانزلاق الى

---

(١) النساء: ١٠٤.
(٢) آل عمران: ١٤٠.
(٣) سورة محمد: ٧.
(٤) المجادلة: ٢١.
(٥) النساء: ١٠٤.

جانب الباطل مكشوفة لعدو.

وهذه الخصائص تجعل هذه الفئة معرضة للانزلاق الى جانب الباطل في كل حال.

وهؤلاء هم الذين يخاطبهم الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، فقد غمد هؤلاء سيوفهم في أيام علي عليه السلام والحسن عليه السلام، وتخاذلوا عن نصرة علي عليه السلام في صفين، وعن نصرة الحسن عليه السلام بعد ذلك، حتى التجأ الإمام الحسن عليه السلام، لأن يهادن معاوية للإبقاء على من تبقى من شيعة أبيه علي عليه السلام.

فلمّا غمدوا سيوفهم عن نصرة علي عليه السلام والحسن عليه السلام سلّها معاوية، وبعده يزيد في وجه الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

ولم يطل الغمد بهذه السيوف، فإن ساحة الصراع ترفض المتفرجين والمتخلّفين، ومن لم يقف مع الحق في ساحة الصراع، وآثر العافية على ضراء القتال لابد أن يقف الى جانب الباطل في وقت قريب، فإن مواقف أنصار الحق ثابتة وحصينة لا ينال منها العدو، ومواقف المتخلفين سهلة الانزلاق الى جانب العدو، ومكشوفة لهم، يسهل لهم، الوصول اليها، وإغراؤهم واستمالتهم اليهم، أو إرهابهم وإرعابهم على مثل هذا الانقلاب الى جهة الباطل.

ومن هنا نقول: إن مواقع الناس في ساحة الصراع تؤول الى موقعين في النتيجة النهائية: أما الوقوف الى جانب الحق، ولاءً، وبراءةً: وأما الوقوف الى جانب الباطل من الولاء والبراءة، كذلك.

هؤلاء هم الذين يخاطبهم الحسين عليه السلام في كربلاء:

غمدوا سيوفهم عن أخيه الحسن عليه السلام من قبل، وهاهم يسلّون سيوفهم عليه اليوم في كربلاء.

فيقول لهم:

سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم..

والسيف: القوة، وقد كان العرب قبل الإسلام أمة معزولة في الصحراء عن العالم، ضعيفة، لا قوة لها ولا سلطان ولا مال، فمكّنهم الإسلام من القوة والمال، وحمّلهم رسالة التوحيد، وفتح لهم مشارق الأرض ومغاربها، وجعلهم سادة وأئمة وحكّاماً على وجه الأرض.

والشام كانت يومئذٍ مركزاً لهذا السلطان الذي جاء به الإسلام الى العرب، وكانت الشام تبسط نفوذها السياسي والعسكري على أجزاء واسعة من آسيا وأفريقيا.

فيقول لهم الحسين عليه السلام في كربلا، يوم عاشوراء:

إن الله هداكم بجدّي رسول الله ورزقكم به صلى الله عليه وآله هذا السلطان الراسخ على وجه الأرض. وجعلكم به أئمة وسادة في الأرض.. فهذا السلطان (السيف) لنا في أيمانكم، ولكنكم تخاذلتم من نصرة أبي وأخي من قبل وغمدتم سيوفكم عن نصرتهم، وها أنتم اليوم تسلّون السيف الذي جعله رسول الله صلى الله عليه وآله في أيمانكم، بوجه ابن بنت رسول الله وتقاتلونه به.

وقد كان أحرى بكم أن تقاتلوا بهذا السيف معاوية بن أبي سفيان من قبل الى جانب أبي وأخي، ويزيد بن معاوية اليوم الى جانبي.

٢ ـ وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوّنا وعدوّكم:

ما هي هذه النار التي يتحدث الحسين عليه السلام عنها يوم عاشوراء؟

ومن اقتدحها؟

وأين اقتدحها؟

هذه النار هي انفجار النور الهائل في جزيرة العرب، وكانت تحمل الى البشرية وهجاً ساطعاً، أثار قلوب الناس وعقولهم في الشرق والغرب، ودخل كل بيت، وبهذا النور أذهب الله عن الناس ظلمات الجاهلية؛ فتحول هذا النور الى إيمان وإخلاص وعطاء ويقين، وقيم، وتضحية وصلاة، ودعاء، والى مدارس للعلم ومساجد للعبادة، انتشرت على وجه الأرض، والى ثورات وحركات للمظلومين على الظالمين، كما أُحرقت هذه النار عروش الطغاة والجبابرة في فارس والروم ومصر، وكسرت الأغلال والقيود من معاصم الناس وأقدامهم، وأطلقتهم من أسر الظالمين.

واقتدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه النار في جزيرة العرب، ثم عمّت الدنيا كلّها، فلم يمضِ على هذه القدحة خمسون سنة؛ حتى كانت هذه النار تنير مشارق الأرض ومغاربها.

اقتدحها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الوسط الجاهلي من جزيرة العرب، ولم ينتق لهذه الدعوة طبقة معينة، وانما فجّر كوامن الفطرة والعقل في نفوس من استجاب منهم لهذه الدعوة، وجعل منهم قوة هائلة هزمت جيوش الفرس والروم، وأطاحت بعروش كسرى و قيصر.

تماماً كما يستخرج المهندس من صخرة معتمة باردة النور والحرارة، وكما تعطينا الخشبة المعتمة الباردة النور والحرارة.

كذلك فجّر رسول الله ﷺ كوامن الفطرة والعقل والضمير في نفوس هؤلاء الناس الخاملين في الجزيرة فجعل منهم قمماً في الصلاح والتقوى والقوّة والصمود والإيمان والخشوع، استطاعوا فيما بعد أن ينشروا هذه الدعوة على وجه الأرض، ويكونوا سادة وأئمة وقادة للبشرية، بعد أن كانوا منزوين عن الحضارات في رقعة صحراوية غير ذات زرع.

أجل، ثم لم يمض خمسون سنة على وفاة رسول الله ﷺ الذي اقتدح هذه النار فيهم ليحرق بها عروش الظالمين، حتى حرق الناس بهذه النار أبيات آل رسول الله ﷺ، وحرقوا بها باب علي وفاطمة، وحرقوا بها خيام أهل بيت رسول الله ﷺ في كربلاء.

فأيّ حق أضاعه هؤلاء الناس؟

وكيف ردّوا لرسول الله ﷺ الجميل؟

يا حسرة على العباد!!

وقد قال الله تعالى لهم: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى﴾[1].

٣ ـ فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم:

وهذه هي الردّة الثانية، وهي أعظم من الأولى. وتحدّث الإمام عليه السلام عن الردّة الأولى في قوله عليه السلام: «سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم...» في الردّة الأولى

(١) الشورى: ٢٣.

تحولت السيوف من جانب أهل بيت رسول الله الى جانب أعداء أهل البيت وخصومهم، وقد حدّدها الفرزدق عندما التقى بالحسين عليه السلام في الطريق الى العراق بشكل دقيق حيث قال للإمام عليه السلام: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك»[١]. وهو تشخيص دقيق لحالة النفسية والسياسية للناس يومئذ؛ فقد كانت قلوبهم مع الحسين عليه السلام حتى ذلك الوقت، ولكن مواقفهم السياسية كانت لبني أمية.. وهذه هي البداية، وهي الردّة الأولى.

والحالة السوية أن تتوافق القلوب والسيوف في جانب الحق فإذا تخالفت السيوف والقلوب فتلك هي المحطة الأولى للردّة.

والمحطة الثانية للردّة، هي أن تتوافق القلوب والسيوف على عداء وقتال أهل البيت عليهم السلام.

وهذا هو الذي يحدّثنا عنه الإمام عليه السلام في هذه الفقرة:

«فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم».

والإلب: القوم يجمعهم عداء واحد.

ولابد من توضيح وشرح لهذه الكلمة:

إن (الأُمة) مجموعة من الناس، يجمعهم ولاء واحد وبراءة واحدة، وهذا هو أسلم وأدقّ تعبير للأمة.

وهذه الأمة يجمعها الولاء لله ولرسوله ولأئمة المؤمنين ﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[٢] فمن

---

(١) كلمات الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ الشريفي: ٣٧٠.
(٢) المائدة: ٥٥.

يقبل بهذا الولاء، فهو من هذه الأُمة، ومن يرفض هذا الولاء أو بعضه، فليس من هذه الأُمة.

وتجمع هذه الأُمة براءة من الطاغوت الذي أمرنا الله تعالى أن نكفر به: وبراءة من المشركين؛ فمن تبرأ منهما دخل في هذه الأمة، ومن لم يتبرأ منهما لم يدخل في هذه الأُمة: ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[1].

فيقول لهم الإمام (ع) يوم عاشوراء: لقد كانت تجمعنا بكم براءة واحدة من أعداء الله، وعداء واحد لهم، وولاء واحد لأولياء الله، وقد أصبحتم اليوم: (إلباً لأعدائكم على أوليائكم).

يجمعكم بأعدائكم العداء لأوليائكم، بعكس ما يجب أن يكون تماماً. والحالة السوية أن يجمعكم بأوليائكم العداء لأعدائكم، وهذه ردّة كاملة بعد الردّة الأولى، وهي المحطة الثانية من الردّة، وهو تعبير دقيق جداً لحال الناس الذين خاطبهم الحسين (ع) في عاشوراء.

وهذا هو الانقلاب في بؤرتي (الحب والبغض) أو (الولاء والبراءة). وهو أقصى درجات الردّة في شخصية الانسان.

٤ ـ بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم:

يقول لهم الإمام (ع): إنّ الذي تغيّر هو القلوب، تحولت من الهدى الى الضلال، ومن أولياء الله الى أعداء الله، وانقلبت من الولاء الى البراءة، ومن البراءة الى الولاء دون أن يتغير بنو أمية عمّا كانوا عليه.

---

(١) النحل / ٣٦.

«بغير عدل أفشوه فيكم»:

هاهم بنو أمية يمارسون الظلم، كما كانوا يمارسونه من قبل، وأمعنوا في الظلم والضلال، وأسرفوا على أنفسهم في ذلك أيّما إسراف.

فلم يحدث انقلاب في واقع بني أمية، إنما الذي حدث ردّة في القلوب، من محور الولاء الى البراءة، ومن محور البراءة الى الولاء. فإن هؤلاء الناس انقلبوا من ولاء أهل البيت الى ولاء بني أمية، دون أن يتغير أهل بيت الرسالة عليهم السلام عمّا كانوا عليه من الهدى والصلاح، أو يتغير بنو أمية عمّا كانوا عليه من الضلال والظلم.

ولكن الناس انقلبوا من البراءة من بني أمية الى البراءة من أهل البيت عليهم السلام وقتالهم، ومن الولاء لأهل البيت عليهم السلام الى الولاء لبني أمية.

«ولا أمل أصبح لكم فيهم»:

وكما لم يكن هذا الانقلاب بسبب حصول انقلاب في بني أمية من الظلم الى العدل، كذلك لم يكن بسبب أنّ الناس أصبح لهم أمل في عدل بني أمية بعد ذلك.

اذن، لم ينخدع الناس ببني أُمية حينما والوهم، وقاتلوا أعداءهم وخصومهم.

فإن لم يكن الناس مخدوعين، فماذا جرى في نفوسهم حتى انقلبوا من آل رسول الله الى آل أُمية؟ إنّ الذي حدث هو أن بني أُمية أذلّوهم بالإرهاب والطمع.

وفرق بين الخداع والإذلال؛ فإنّ الذي ينخدع بعدوّه؛ يُحِبُّ عدوه

ويواليه ويحارب أعداءه خطأً، وهذا عجز في الوعي والمعرفة؛ وليس ذُلاً وعجزاً في الكرامة. وأما الذي يوالي عدوّه ويعطيه سيفه وماله ثم يعطيه قلبه وحبه وهو يعلم أنه له عدوّ فهذا هو الذلّ بعينه وانعدام الكرامة.

وهذا لن يكون في أمة إلا بالإذلال، والإذلال قد يكون بالإرهاب والقوة، وقد يكون بالمال والذهب.

وقد استعمل بنو أمية كلا الأمرين: الإذلال بالقوّة والإرهاب والإذلال بالمال والسلطان فأذلوا الناس، نعم استعملوا التغرير والاعلام والخداع، إلاّ أن إسرافهم في الظلم والترف والمعصية كان أظهر من أن يخفى على أحد.

٥ـ ويحكم، أهؤلاء تعضدون وعنّا تتخاذلون؟:

وهذه أعجب ردّة في حياة الإنسان؛ ينقلب فيها الإنسان على نفسه، فيحب عدوّه ويعادي وليّه، وهو بمعنى آن ينسى الإنسان نفسه.

لأنّ نفس الإنسان حب وبغض، يحب أولياءه يبغض أعداءه، فإذا نسي الإنسان نفسه، نسي من يجب أن يحب ومن يجب أن يبغض، وأعظم من ذلك أن ينقلب عنده الحب والبغض؛ فيحب عدوّه ويبغض وليه.

وهذه الحالة هي التي يعاقب الله بها الذين ينسونه، فينسيهم أنفسهم ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾[١].

والذين خاطبهم الحسين عليه السلام يوم عاشوراء؛ كانوا من الذين نسوا الله

---

(١) الحشر: ١٩.

فأنساهم أنفسهم، ونسوا حبهم وبغضهم، فأحبوا بني أُمية، وكان عليهم أن يعادوهم، لما جنت أيديهم من الظلم والعصيان، وقاتلوا أولياءهم الذين أمر الله تعالى المسلمين بمودتهم واتباعهم في آيات محكمات من كتابه[1].

ولست أدري ماذا في هذا الخطاب من ألم يعتصر قلب الإمام؟ ألم نابع من الإشفاق عليهم لهذه الحالة التي وصلوا اليها من البؤس، وليس لأنّ الإمام فقد نصرتهم له في محنته.

٦ـ يا عبيد الأُمة وشذّاذ الآفاق (الأحزاب):

هذه أخلاقية العبيد، إن العبيد ولاؤهم لمن يشتريهم، ليس لولائهم أصل ثابت، فمن يشتريهم من سوق النخاسة يستحق ولاءهم، كانوا يحبونهم أم يحقدون عليهم، فيتحول ولاؤهم من مولى الى مولى في سوق النخاسة في لحظة واحدة، عندما يدفع المولى الجديد الثمن الى المولى القديم، وعندما يدفع المولى القديم السوط الى المولى الجديد.

إنهم في ساعة واحدة ينسون ولاءهم وحبهم القديم، ليقدّموا الى المولى الجديد ولاءهم الجديد.

(وشذّاذ الأحزاب) إنّ الناس ولاؤهم لأحزابهم، في السرّاء والضرّاء، وفي الهزيمة والانتصار، ولكن شذّاذ الأحزاب، ولاؤهم للمنتصر دائماً

(١) ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى﴾. الشورى: ٢٣.
﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ الأنعام: ٥٥.

حقاً كان أم باطلاً.

وهذه حالة ولاء سياسية عائمة، لها مدلولات نفسية خطيرة، تكشف عن فقدان الأصالة والقيم في النفس، والتبعية المطلقة للمنتصر والقاهر، والانسلاخ الكامل من الذات والقيم.

٧ـ فَسُحقاً لكم يا عبيد الأُمة، وشذاذ الأحزاب:

وهنا يدعو عليهم الإمام(ع) بالبعد من رحمة الله، والسحق هو البعد، والإمام(ع) ينطق هنا في هذا الدعاء عن سنن الله؛ ذلك أن لرحمة الله تعالى منازل في حياة الإنسان، تنزل عليه منها الرحمة، فاذا ابتعد الانسان عن هذه المنازل ابتعد عن رحمة الله، وهذه سنة الله في عباده، ولنتأمل في هذه السنة: إن بين رحمة الله الهابطة على الناس ومنازل هذه الرحمة علاقة متبادلة.

فالرحمة النازلة تُفَعِّل مواضع نزولها، فإذا نزل المطر على أرض اخضرت وأثمرت وأينعت وازدهرت وآتت أُكلها. وهذا هو فعل (الرحمة النازلة) بـ(مواضع نزولها).

ومواضع الرحمة تستنزل الرحمة، ولا تنزل الرحمة على مواضعها إلّا إذا كانت مؤهلة لنزول الرحمة، وهذا التأهيل هو (الطلب التكويني) لرحمة الله بلسان الاستعداد، ولابد من هذا التأهل والاستعداد لقبول الرحمة حتى تنزل الرحمة، وبعكسه الإعراض عن رحمة الله، فإنه يدفع الرحمة ويُبعِدها. والرحمة الإلهية نازلة لا تنقطع، ولكن هناك عوامل

لاستقبال رحمة الله، تستنزل الرحمة، وعوامل لرفض رحمة الله.

تأملوا في دعاء العبد الصالح نوح عليه السلام على قومه: ﴿وقال نوح ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً، إنّك إن تذرهم يُضلّوا عبادك ولا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً﴾[1].

وهو دعاء عجيب، ينطق فيه نوح عليه السلام بسنن الله في نزول الرحمة وانقطاعها: لقد نضب فيهم كل استعداد لقبول الخير، وكل استعداد بطلب الرحمة: ﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً﴾ فعلى ماذا تنزل رحمة الله؟

إنّ لرحمة الله تعالى في حياة الانسان منازل تتنزّل عليها، فإذا انعدمت هذه المنازل ونضب معينها في نفس الإنسان؛ فلا يبقى لرحمة الله تعالى موضع في حياة الإنسان، فيستحقون عندئذٍ البعد من رحمة الله.

والحسين عليه السلام يدعو الله تعالى على أولئك الناس يوم عاشوراء؛ لأنّ هذه القلوب فقدت كلّ القيم التي هي منازل الرحمة في نفوسهم؛ فلم يبقَ لنزول رحمة الله موضع في نفوس هؤلاء وحياتهم، فيقول لهم: (فسحقاً يا عبيد الأُمة).

٨ ـ غدر قديم وشجت عليه أصولكم:

في هذه الحالة يتحول الشر من حالة طارئة عارضة الى حالة أصيلة عريقة داخل النفس. وكما أنّ للخير عراقة وأصالة كذلك للشر عراقة وأصالة، وجذور الخير تمتد الى الفطرة والعقل والضمير والقلب، وجذور

(١) نوح: ٢٦ ـ ٢٧.

الشر تمتد الى الهوى، وعندما يتأصّل الشر والهوى في النفس يفقد صاحبه كل منابع الخير في نفسه، وتنضب في قلبه وضميره وعقله وفطرته كل جذور الخير وأصول الخير.

ويدخل عامل الوراثة في تأصيل حالة الخير وحالة الشر معاً. ولست أقول: إن الوراثة عامل قهري في تأصيل الخير والشر، ولكن أقول: إن عامل الوراثة له دور هام في تأصيل الخير والشر.

إن الوراثة تنقح الخير وتنقح الشر، ولكن من دون إجبار وقهر.

ومن هنا فإن البشرية تنشطر الى شطرين: الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة: كل منهما شجرة، وللشجرة جذور وثمار، وتتشابه الجذور والثمار في الشجرة، إن الجذور أصل الشجرة والثمار فرعها، والشجرة واسطة في نقل الخصائص من الجذور الى الثمار.

وكذلك الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة، كل منهما ينقلان الطيب والخبيث من الأسلاف الى الأبناء فيتعرق في كل منهما الخير والشر.

وبالتالي فهاتان الشجرتان تشكلان خطين في تاريخ البشر: خطاً صاعداً، مستمراً في الصعود، وخطاً هابطاً مستمراً في السقوط. الأسرة النمرودية في سقوط، والأسرة الإبراهيمية في صعود. والأسرة الموسوية في صعود، والأسرة الفرعونية في سقوط.

وقانون الوراثة ينقّح هذا الصعود، وذلك الهبوط، لا ينقل فقط خصائص الخير والشر من الأسلاف الى الأبناء، وإنما ينقّحه ويصفّيه، ويفرز الشرّ عن الخير، ويفرز الخير عن الشر، وكلما يمر الزمن على هاتين الأسرتين تتسع الفاصلة بينهما، حتى إذا تمحضت نفوسهم عن الخير، ونضب معين الخير في نفوسه، نزل عليهم العذاب؛ لأنهم لا

يستحقون الرحمة عندئذٍ كما حدث في عهد نوح ﷺ. والذي حدث في عهد نوح ﷺ يحدث في أي وقت آخر؛ فتنتهي الأسرة الخبيثة وتسقط، فتبدأ دورة جديدة من التاريخ.

إن قانون الوراثة ينقل خصائص الطيّب والخبيث من جيل الى جيل، وينقّح الطيّب والخبيث معاً.

والى هذا القانون، (قانون الوراثة) يشير الإمام الحسين ﷺ: «**أجل والله غدر فيكم قديم، وشجت عليه أصولكم، وتأزّرت عليه فروعكم، فكنتم أخبث ثمر، شجي للناظر وأكلة للغاصب**».

(وشجت: اشتبكت[1]، تأزرت: هاجت).

يقول لهم الإمام ﷺ: إن هذا الغدر والخبث فيكم أصيل وعريق، ورثه الأبناء من الآباء، اشتبكت عليه أصولكم وتأزّرت وهاجت وتفتحت عليه فروعكم، فأنتم أخبث ثمر للشجرة الخبيثة.

ويبقى أن نضيف الى هذا: أن الوراثة هنا، في القيم والسلوك لا ينطبق مع الوراثة الحياتية (البايولوجية)، وقانون الوراثة الحياتية لا ينطبق بالضرورة على قانون الوراثة في القيم والسلوك والأفكار.

وقد يتخالفان تماماً كما حدث ذلك في ابن نوح ﷺ. إن وراثة العمل، وهي غير الوراثة البايولوجية، وتعبير القرآن عن ابن نوح ﷺ تعبير دقيق، ﴿**إنّه عمل غير صالح**﴾[2]، وإن كان من ذرية نوح ﷺ، وهو إمام الصالحين.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور: ٣٩٨.

(٢) هود: ٤٦.

الاستماتة والجزع من الموت
في ساحة عاشوراء

الشيخ محمد مهدي الآصفي

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مسألة الموت في المسيرة الحسينية:

مسألة (الموت) وطريقة التعامل معه من أبرز العناصر التي تدخل في تكوين ملحمة الطف في يوم عاشوراء.

وعاشوراء حدث متميز من بين الأحداث الكبيرة في التاريخ من هذه الزاوية.

فقد أعلن الحسين عليه السلام عند مغادرته الحجاز إلى العراق: أنه سوف يلقى مصرعه في هذه الرحلة: **«وخيّر لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلاة بين النواويس وكربلاء»**[1].

ونعى نفسه إلى الناس، وطلب منهم أن يبذلوا مهجهم في هذا السبيل، ويوطّنوا معه أنفسهم للقاء الله: **«من كان باذلاً فينا مهجته موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا»**[2].

وبدأ خطابه العجيب هذا بتقديم صورة زاهية جميلة للموت، تمهيداً لدعوتهم إلى أن يبذلوا له مهجهم، فقال عليه السلام: **«خطّ الموت على ولد آدم مخطّ**

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ١٩٣.

(٢) المصدر السابق: ١٩٤.

القلادة على جيد الفتاة»[١].

وعلى امتداد الطريق إلى كربلاء كان الحسين عليه السلام يصارح الناس ويصارح أصحابه أنهم سائرون إلى الموت الذي لابدّ منه، ولم يكن يشك في ذلك أصحاب الحسين عليه السلام أنهم كانوا على يقين من هذا الأمر ما بعده يقين.

وكان عذر مَن يتخلّف عن نصرة الحسين عليه السلام إلى الحسين: أنّ نفسه لا تطيب بالموت؛ والشواهد على ذلك كثيرة في مسيرة الحسين عليه السلام إلى كربلاء، وهذه هي الصفة المميّزة لحادثة الطف.

فلسنا نجد أو قلّما نجد في قادة الحركات والثورات مَن يدعو الناس إلى الموت؛ إنهم يدعون الناس إلى الحركة والثورة، ويطلبون منهم أن يكونوا على استعداد لتقديم دمائهم للثورة كلما اقتضى الأمر.

أمّا الحسين عليه السلام فله شأن آخر. إنّه لا يطلب في رحلته هذه فتحاً عسكرياً بالمعنى الذي يتصوّره الناس، وإنّما يريد أن يقدم على تضحية مأساوية فريدة في التاريخ يهزّ بها ضمير الأُمّة.

لقد وجد الحسين عليه السلام أن بني أُمية تمكّنوا من ترويض إرادة الناس وتطويعهم بعامل الإرهاب والترغيب وسلب إرادتهم، وفي هذا الجوّ حاول بنو أُمية أن يستعيدوا قيم ومواقع الجاهلية في المجتمع الإسلامي الجديد؛ دون أن يجدوا مقاومة تذكر من ناحية الأُمة؛ فكان لابدّ من هزّة

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ١٩٣.

قوية لنفوس الناس، تعيد إليهم إرادتهم السلبية، ولا تتم هذه الهزة القوية إلّا بتضحية مأساوية فريدة في التاريخ؛ فأعدّ الحسين ﷺ أهل بيته وأصحابه لمثل هذا المشهد المأساوي، وانطلاقاً من هذا الفهم قلت: إنّ هذه الصفة هي الصفة المميّزة لحادث الطف من الأحداث الأُخرى في التاريخ.

ومن أعظم الخيانة للتاريخ أن نجرّد (عاشوراء) من هذه الصفة المميّزة لها، فلا يبقى من عاشوراء إذا جرّدناها عن (الاستماتة) وطلب الشهادة إلّا ثورة على النظام الأُموي غير متكافئة مع قوّة الظلم؛ فلم تنجح في تحقيق أهدافها كما كان يتوقّع ذلك الذين كانوا ينصحون الحسين ﷺ ألّا يخرج إلى العراق، ولم يكن الحسين ﷺ يتّهم أُولئك في صدقهم في النصح.

لكن الإمام ﷺ كان يرى ما لا يرون، ويريد مالا يعرفون.

كيف يواجه الناس الموت؟

للموت شأن كبير في تنظيم حياة الناس، والناس أمام هذه الظاهرة الطبيعية من سنن الله مثال القهرية في الحياة طائفتان: طائفة وهي الأكثرية الساحقة من الناس يجزعون عن مواجهة الموت ويهربون منه. وطائفة وهي الأقليّة من الناس يتحدّون الموت ويشتاقون إليه ويستقبلون الموت.

ولهذه الحالات: (الجزع من الموت، وتحدّي الموت) شأن كبير في

تنظيم حياة الناس وتقرير مصيرهم، فالأُمّة التي تجزع من الموت لا تحوج الطغاة والجبابرة إلى جهد كبير لتطويقها وترويضها وتذليلها وتعبيدها لإرادتهم وسلطانهم، فتتحول حياتها إلى نوع من التبعية والانقياد للطاغية والجبابرة والطغاة، وبالتدريج يفقدون الوعي والفطرة ومقومات الحياة الكريمة، وهذه صورة من الحياة.

والأُمّة التي تملك القدرة على تحدّي الموت ولا تجزع منه، وتملك القدرة على تجاوز الموت لا يمكن ترويضها وتذليلها لإرادة الطغاة والجبابرة، ولا يمكن مصادرة إرادتها ومقاومتها.

وهذه صورة ثانية من الحياة: وفيما يلي نحاول أن نتوقف بعض الوقت عند هاتين الحالتين:

الجزع من الموت:

الجزع من الموت ظاهرة واسعة في حياة الناس، ولهذه الظاهرة آثار واسعة في المجتمع من حيث الحركة والمقاومة، وهذه الظاهرة تستحق أن نتوقف عندها وننظر فيها، وفيما يلي نستعرض إن شاء الله تعالى:

أسباب هذه الظاهرة أولاً.

وآثارها وأعراضها السلبية في المجتمع ثانياً.

والوسائل التربوية المفيدة لعلاج هذه الحالة في نفوس الناس ثالثاً.

أسباب الجزع من الموت:

(التعلّق بالدنيا) من أهمّ أسباب الجزع من الموت، ولو أنّ إنساناً يعيش في الدنيا كما يعيش الناس، ويتمتع بطيباتها كما يتمتع الناس، ولكن قلبه لا يتعلق بالدنيا ولا يخيفه الموت ولا يخرج منه إذا حلّ به. وسوف نتحدث عن هذه النقطة فيما يأتي إن شاء الله.

ومن أسباب الجزع من الموت أيضاً سوء الإعداد للآخرة، فيجزع الإنسان من أن يقدم على مرحلة جديدة من حياة خالدة لا تفنى، وهو لم يعدّ لها في حياته الدنيا إعداداً كافياً، وإلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة مخاطبة اليهود الذين كانوا يعتقدون أنّ الله يؤثرهم على غيرهم من الأمم، وأنّهم أولياء الله من دون سائر الناس: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾[1].

وقد روي في هذا المعنى عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أحبّ الحياة ذلّ»[2].

وتحليل هذه الرواية وتفسيرها: أنّ حب الدنيا والتعلّق بها من أسباب الجزع من الموت، وهما وجهان لقضية واحدة، فمن أحبّ الدنيا جزع من الموت، وبينهما نسبة طردية دائماً، وهذه هي المعادلة الأولى.

والمعادلة الثانية: أنّ مَن يجزع من الموت يذلّ؛ لأنّه لا يملك القدرة

(١) سورة الجمعة: ٦ ـ ٧.

(٢) بحار الأنوار: ٦/١٢٨، الحديث ١٤.

على اتخاذ الموقف والقرار الصعب، وإذا عجز الإنسان عن اتخاذ الموقف والقرار الصعب كان آلة طيّعة للمستكبرين، وتبعاً لهم في الموقف والقرار، وهذا هو الذلّ الذي يحدّثنا عنه الإمام الصادق عليه السلام في هذه الرواية.

وهو اختبار دقيق لدرجة إعداد الإنسان للآخرة في الدنيا، فكلّما كان هذا الإعداد أكثر وأفضل كان جزع الإنسان من الموت أقلّ.

قال رجل لأبي ذرّ رضي الله عنه: مالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمّرتم الدنيا وخرّبتم الآخرة، فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب.

قيل له: فكيف ترى قدومنا على الله؟ قال: أمّا المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه.

قيل: فكيف ترى حالنا عند الله؟

قال: أعرضوا أعمالكم على كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[1].

قال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال: إنّ رحمة الله قريب من المحسنين[2].

وروي في هذا المعنى أنّ أحدهم سأل الإمام الحسن عليه السلام: ما بالنا نكره الموت ولا نحبه؟ فقال عليه السلام: «إنكم أخربتم آخرتكم، وعمّرتم دنياكم، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب»[3].

(١) سورة الانفطار: ١٣ ـ ١٤.
(٢) بحار الأنوار: ١٣٧/٦، الحديث ٤٢.
(٣) بحار الأنوار: ١٢٩/٦، الحديث ١٨.

الموقف:

ومن المؤكد أن القوّة والشجاعة والإقدام أحد العنصرين اللذين يتكون منهما الموقف، فإنّ مقوّمات الموقف أمران: الوعي السياسي، والقوة والشجاعة، فإذا كان الجزع من الموت يضعف الإنسان فهو لا محالة يفقده القدرة على اتخاذ الموقف العملي في القضايا الصعبة، وقيمة الإنسان في ساحة المواجهة والصراع ليس في النيّة وعقد القلب وإنما في الموقف، وقد كان كثير من المسلمين في عصر الحسين عليه السلام لا يرتضون يزيد وأعماله، ويكرهونه أشدّ الكره، ولكن الحسين عليه السلام حوّل هذه الكراهية وهذا الرفض إلى موقف عملي، وهذه هي قيمة عمل الإمام الحسين عليه السلام .

الموقف هو تجسيد الرأي في فعل يبرز انتماء صاحبه إلى هذا الرأي، ويحقّق دفاع صاحبه عن رأيه.

إنّ الناس جميعاً لا يرضون الظلم؛ ولكن هناك مَن يبرز هذا الرفض في فعل ويعبّر به عن رفضه؛ وهذا الفعل قد يكون الخروج عن الطاعة، وقد يكون الثورة، وقد يكون التظاهر والاعتصام.

ومن الطبيعي أنّ الرفض وحده لا يكلّف الإنسان شيئاً، وإنما الموقف هو الذي يكلّف الإنسان ويثقل كاهله، فالموقف هو الذي يتطلب الضريبة، وصاحب الموقف هو الذي يدفع الضريبة، ولكن لابدّ أن نقول: إنّ صاحب الرأي السلبي والرفض لا يغيّر مجرى التاريخ؛ وإنما يغيّر

مجرى تاريخ صاحب الموقف، والرفض والكراهية النفسية لا يحرك الناس وإنما الموقف هو الذي يحرك الناس.

وأخيراً فإنّ المواجهة والصراع يعني الموقف.

انقلاب اللاموقف إلى الموقف المضاد:

إنّ مسألة الصراع لا تتحمّل (اللاموقف)، فإذا لم يتحمّل الإنسان الموقف الصعب وضعف عن اتخاذ موقف الحق فلا يمكن أن يبقى من دون موقف إلى الأخير، وإنّما ينقلب اللاموقف في حياته إلى موقف مضاد.

والسبب في انقلاب اللاموقف إلى الموقف المضاد هو السبب في انقلاب الموقف إلى اللاموقف وهو الجزع من الموت.

فإنّ الجزع من الموقف إذا كان يدعو الإنسان إلى التخاذل من الحق إيثاراً للعافية؛ فإنّ الطاغية لا يتركه إلى الأخير عنصراً غير ذي لون، وإنما يصبغه بصبغته ويسوقه إلى جانبه، ونفس السبب الذي أعجزه عن اتخاذ الموقف الحق يعجزه عن الامتناع من الانحدار إلى الباطل، وبذلك يتم تصنيفه في جهة الباطل، فإنّ ساحة الصراع ـ كما ذكرنا ـ لا تترك الإنسان من دون تصنيف، فإن لم يبادر الإنسان ليصنّف نفسه ضمن جبهة الحق الذي يؤمن به؛ فإنّ الساحة تُصنّفه ضمن الخط الحاكم، فيكون عندئذٍ من جند الطاغية وإن كان قلبه ورأيه في اتجاه معاكس.

وهنا ينشطر الإنسان شطرين متعاكسين: رأيه (عقله)، وعاطفته

(قلبه) في اتجاه الحق، وموقفه وموضعه الرسمي (إرادته) المعلن في اتجاه الباطل.

وهذه هي ظاهرة انفلاق الشخصية؛ حيث تنشطر شخصية الإنسان إلى شطرين متخالفين: فيفقد الإنسان الانسجام في شخصيته، ويتضارب ظاهره مع باطنه.

سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم:

وهذا المفهوم يطرحه الإمام الحسين عليه السلام على جند ابن زياد في كربلاء يوم عاشوراء: «**سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم**»(١). وهذا السيف الذي يذكره الإمام هو القوّة والقدرة والسلطان. والإسلام هو الذي أعطاهم هذا السلطان. لقد كانوا أمّة ضعيفة معزولة في الصحراء، فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وآله هذه القوّة وهذا السلطان بأيمانهم، فهذا السلطان لرسول الله ولمَن آمن برسول الله، وأخلص وسار على خط رسول الله؛ ولمَن مع رسول الله وأهل بيته، كما صرّح به صلى الله عليه وآله في أكثر من موقف، وهذا هو المعنى الأوّل لكلمة (سيفاً لنا في أيمانكم). والمعنى الذي يستتبع المعنى الأول: أن هذا السيف الذي جعلناه في أيمانكم لابدّ أن تقاتلوا به أعداءنا وأعداءكم، ولكنّكم وضعتم هذا السيف فينا نحن أبناء رسول الله وخلفاؤه، ووظّفتم هذا السيف في خدمة أعدائنا.

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ٢٨٦.

وهذا هو التشخيص الدقيق الذي قدّمه الفرزدق عن أهل الكوفة عندما سأله الإمام الحسين عليه السلام عمّا وراءه فقال: قلوبهم معك وسيوفهم عليك[1]، فإنّ أهل الكوفة كانوا في الأغلب علويين، وقلوب العلويين كانت مع الحسين، ولكن سيوفهم انقلبت عليه عليه السلام، وكثير من الذين خرجوا في جيش ابن زياد لقتال الإمام الحسين عليه السلام، كانوا يحبّون الحسين، وكانوا من الذين كتبوا إليه يطلبون منه أن يأتيهم.

والإنسان رأي (عقل) وعاطفة (قلب) حب وبغض وموقف (إرادة) وهذه الثلاثة عندما تكون منسجمة ومتكاملة يكون الإنسان قوياً، فإذا تخالفت وتضاربت ضعف الإنسان، وأصبح بذلك أداة طيّعة بيد الطغاة.

آخر مراحل الردّة:

لقد فات الفرزدق أن يقول ـ وكان حرياً به أن لا يفوته ذلك ـ : إنّ انسحاب الإنسان يبتدئ أولاً وثانياً من الموقف إلى اللاموقف، ومن اللاموقف إلى الموقف المضاد المعاكس، هذه هي المرحلة الأولى والثانية من الردّة، والمرحلة الثالثة أنّ الموقف المضاد يصادر الرأي والفكر، ويوجّه الإنسان إلى الرأي الآخر ويمنّقه له، ويوجهه حتى يصادر الرأي الأول تماماً، فينقلب الرأي إلى رأي معاكس، وينقلب (الحب) إلى (بغض)، وينقلب البغض إلى الحب، وهذه هي المرحلة الأخيرة من الردّة

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ٢٠٣

التي نسيها الفرزدق، وإذا غابت عن الفرزدق هذه المرحلة الأخيرة من الردّة فإن القرآن يسجّلها بوضوح: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1].

ومن إساءة السوء أن يحمل الإنسان المؤمن السيف على الله ورسوله وأولياء الله، ويقاتلهم في الدفاع عن الطاغوت؛ فإذا فعل ذلك فإنّ الله تعالى يسلب عنه التصديق والإيمان والوعي والرأي، فيكذّب بآيات الله، وإذا كذّب بآيات الله ورسوله وأوليائه عاداهم وأبغضهم وهذه الردّة الكاملة.

عودة الانسجام في الطرف المعاكس والانقلاب على الأعقاب:

وهكذا يعود الانسجام بين البؤر الثلاث لشخصية الإنسان: (العقل، القلب، الإرادة)، أو (الرأي، العاطفة، الموقف) بعد أن انفلقت الشخصية واختلّت وظهر عليها الارتباك والقلق، يعود الانسجام مرة أخرى إلى شخصية الإنسان، ولكن هذه المرة في خط معاكس تماماً، وفي اتجاه سلبي باتجاه عداء الله ورسوله وأوليائه.

---

(١) سورة الروم: ١٠.

الأطوار الثلاثة في حياة الإنسان:

ومن صور ذلك نجد أنَّ هناك ثلاثة أطوار للإنسان:

الطور الأوَّل: الانسجام بين القلوب والسيوف في اتجاه الحق.

الطور الثاني: التخالف بين القلوب والسيوف بين الحق والباطل.

الطور الثالث: الانسجام بين القلوب والسيوف في اتجاه الباطل.

ـ الحالة الأُولى:

حالة الانسجام بين القلوب والسيوف هي حالة فطرية وسليمة وصحيحة، وفيها تجتمع البؤر الثلاث: (العقل، القلب، الإرادة) فتُترجم العمل بالإرادة.

هذه الحالة هي حالة الانسجام والاستقامة والقوة؛ لأنَّ اجتماع هذه البؤر الثلاث يمنح الإنسان القوة، وهي حالة طبيعية وفطرية، وهذه البؤر الثلاث تتبادل التأثير فيما بينها، وبعضها يؤثر في البعض الآخر.

ومن آثار هذه الحالة: أنَّ الإنسان يعيش مطمئناً لا يعاني من القلق؛ لأنَّ الراحة النفسية ليست في الأمن والرفاه، وإنما في الانسجام بين البؤر الداخلية لشخصية الإنسان باتجاه الفطرة، ويتكامل الإنسان في هذه الحالة وينمو بصورة سويّة.

ـ الحالة الثانية:

هي حالة تخالف القلوب والسيوف عندما تخضع إرادة الإنسان لعامل الترغيب والترهيب من ناحية الطاغوت، والطاغوت يعمل لاحتلال البؤر الثلاث جميعاً، وأول قلعة تسقط هي قلعة الإرادة تحت ضغط الإرهاب، وهذه هي بداية السقوط والمرحلة الأُولى من الردّة، ويبقى العقل والقلب مستقرين، وإنّ أول انهيار يصيب الإنسان في مواقفه العملية والرسمية والبارزة هو استسلامه لضغط الطاغوت.

والحالات التي ذكرناها سابقاً تنعكس، فيفقد الإنسان الراحة وحالة الاطمئنان والانسجام النفسي، ويعاني من القلق وعدم الانسجام، ويضعف ويفقد صبغة الله في شخصيته ويفقد النمو، وهذه المرحلة هي مرحلة (الضعف) في شخصية الإنسان، ويعمل الضمير في استعادة التوازن والتعادل والانسجام، فإذا نجح فلابدّ أن تعود الشخصية إلى توازنها في انسجامها، وإلّا فإنّ الإنسان يسقط إلى المرحلة الثالثة، ويدخل الضمير في صراع عنيف في المرحلة الثانية، وينقسم الناس فيها إلى شطرين: شطر من نموذج شخصية (الحرّ) يملك ضميراً سليماً قوياً يعيده إلى الله مرة أُخرى، وشطر من نموذج (عمر بن سعد) لا يملك الضمير القوي فيسقط إلى المرحلة الثالثة (المرحلة الثانية من السقوط).

ـ الحالة الثالثة:

في هذه الحالة يعود الانسجام مرة أُخرى بين البؤر الثلاث، ولكن في

اتجاه السقوط والباطل، وكان الإنسان في داخله يطلب الانسجام، فإذا لم يتمكن في اتجاه الحق وضعف الضمير من استعادة الانسجام في طرف الحق، فإن الانسجام يعود في طرف الباطل، فيكون قلب الإنسان وعقله باتجاه إرادته وعمله، وهذه هي مرحلة الصفر من سقوط الإنسان يستفرغ فيها (الطاغوت) و(الهوى) الضمير، ويحتلان (العقل) و(القلب)، وعندئذٍ يحتل الطاغوت المعاقل الثلاثة جميعاً لشخصية الإنسان، إضافة إلى استفراغ الضمير من كل ما أودع الله تعالى فيه من المقاومة، وهي حالة الصفر في شخصية الإنسان، وعندئذٍ تنقطع الرحمة الإلهية عن الإنسان؛ لأنّ الرحمة تنزل على الضمير والقلب والعقل والإرادة، فإذا تغذت واستهلكت جميعاً وصودرت فلا يبقى موقع لنزول رحمة الله، وهذه حالة (الكفر)، وهناك حالة أُخرى تحت الكفر (تحت الصفر)، وهي حالة (النفاق)، وفي هذه الحالة تعود السيوف إلى جانب الحق، ولكن للمكر بالحق وليس استجابة له، تبقى القلوب متعلّقة بالباطل، وهذه الحالة تحت الكفر؛ لأنّ القلوب لا تزال فاقدة في هذه المرحلة للإيمان والوعي والنور؛ ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ... ﴾[1].

---

(١) سورة النساء: ١٤٥.

آثار ونتائج الجزع من الموت في المجتمع:

لظاهرة الجزع من الموت آثار سلبية واسعة على حياة الإنسان فهي تسلب الناس القدرة على المقاومة، وتمكّن منهم الطاغية، وتستنفذ ما أودع الله تعالى في ضمائرهم من مقاومة وفي إرادتهم من قوة وفي نفوسهم من وعي، ومن ثمّ تستفرغ كل ما أودع الله تعالى في نفوس الناس من قيم وأخلاق وإرادة ومقاومة.

وهذه الحالة من الاستفراغ والاستنفاذ هي حالة الاستخفاف التي يذكرها الله تعالى في منهج تعامل الطغاة مع الناس: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ...﴾[1]، إنّ فرعون لم يكن يقدر على تطويع الناس لإرادته وسلطانه، لولا إنه استنفذ ما أودع الله تعالى في نفوسهم من قيم وأخلاق ومقاومة وإرادة وضمير، وعندئذٍ يكون وزن الإنسان خفيفاً، وينقلب إلى حالة عائمة من التبعية الكاملة للطاغية، وأساس هذه الحالة الإرهاب وهي الأداة المفضّلة لدى المستكبرين، و(الجزع من الموت) و(الخوف) هو التربة الصالحة لزرع الإرهاب في المجتمع.

---

(١) سورة الزخرف: ٥٤.

المناهج التربوية لمكافحة هذه الحالة:

وأهمّ هذه المناهج منهجان:

١ ـ تقصير الأمل في الحياة الدنيا.

٢ ـ تركيز الشوق إلى لقاء الله تعالى.

وهما من أفضل المناهج التربوية لمكافحة حالة الجزع والرهبة من الموت، وهناك مناهج حركية لايسعنا المجال استعراضها والحديث عنها.

والمنهج الأوّل هو تقصير الأمل في الدنيا، وترقيق العلاقة بالدنيا. فإنّ شدّة التعلّق بالدنيا وطول الأمل فيها من أكبر الأُصر والأغلال التي تعيق حركة الإنسان إلى الله، فإذا تحرّر الإنسان منها خفّ للقاء الله تعالى، ولم يرهبه الموت ولم يعبأ به، وقع الموت عليه أم وقع هو على الموت كما قال علي الأكبر عليه السلام لأبيه عندما قارب كربلاء: «روى أبو مخنف عن عقبة ابن سمعان قال: لما كان السحر من الليلة التي بات الحسين عليه السلام عند قصر بني مقاتل أمرنا الحسين بالاستسقاء من الماء، ثمّ أمرنا بالرحيل ففعلنا، فلما ارتحلنا عن قصر بني مقاتل خفق برأسه خفقة ثمّ انتبه وهو يقول: **إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين**، ثمّ كررها مرتين أو ثلاثاً. فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين عليه السلام وكان على فرس له فقال: **إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين، يا أبت، جُعلت فداك مِمّ استرجعت وحمدت الله؟** فقال الحسين عليه السلام: **يا بني، إني خفقت رأسي خفقة فعنّ لي فارس على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم؛ فعلمت أنّها أنفسنا نُعيت إلينا**. فقال له: **يا أبت،**

لا أراك الله سوءاً ألسنا على الحق؟ قال: بلى والذي إليه مرجع العباد. قال: يا أبت، إذنْ لا نبالي نموت محقّين. فقال له: جزاك الله خير ما جزى ولداً عن والده»[١].

والمنهج الآخر تركيز الشوق إلى لقاء الله من خلال الموت: فإنّ الموت للمؤمن نافذة إلى لقاء الله، ولقاء الله للمؤمنين لذّة لا تفوقها لذّة، والحياة الدنيا تحجبه عن لقاء الله، فإذا حلّ به الموت زال من بصره هذا الحجاب ﴿... فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٢]، وعندئذٍ ينظر المؤمن إلى أسماء الله وصفاته الحسنى وجلاله وجماله وجبروته وكبريائه تعالى من غير حجاب، وهو أعظم اللّذات عند المؤمنين، أين منها الجنة ونعيمها وحورها وما خلق الله فيها من نعيم؟

وفي مكارم الأخلاق عن رسول الله ﷺ: «يابن مسعود، قصّر أملك فإذا أصبحت فقل: إني لا أُمسي وإذا أمسيت فقل إني لا أُصبح، واعزم على مفارقة الدنيا، وأحب لقاء الله ولا تكره لقاءه؛ فإنّ الله يحبّ لقاء مَن يحبّ لقاءه ويكره لقاء من يكره لقاءه»[٣]

وعن رسول الله ﷺ: «أنّ النور إذا دخل الصدر انفسح، قيل: هل لذلك من علم يعرف به؟ قال: نعم التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله»[٤].

---

(١) إبصار العين في أنصار الحسين للشيخ السماوي: ٢١ ـ ٢٢.

(٢) سورة ق: ٢٢.

(٣) مكارم الأخلاق: ٤٥٢، الباب ١٢، الفصل ٤.

(٤) كنز العمال: ١/٧٦، الحديث ٣٠٢.

وعن علي عليه السلام: «شوّقوا أنفسكم إلى نعيم الجنة تحبّوا الموت وتمقتوا الحياة»[1].

مشهد من مشاهد الاستماتة في الطف:

وفيما يلي أستعرض مشهداً واحداً من مشاهد الاستماتة والاستهانة بالموت والتشوق إلى لقاء الله في الطف، وهو من أروع ما يعرفه التاريخ برواية السيد المقرّم في (المقتل).

جمع الإمام أصحابه وأهل بيته ليلة العاشر من المحرّم، وطلب منهم أن ينطلقوا في رحاب الأرض ويتركوه وحده، وقد أراد أن يكونوا على هدى وبيّنة من أمرهم، فقال لهم:

«أثني على الله أحسن الثناء، وأحمده على السرّاء والضرّاء، اللّهم إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة وعلّمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدّين فاجعلنا لك من الشاكرين. أمّا بعد فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً عنّي خيراً، ألا وإنّي لأظنّ يوماً من هؤلاء الأعداء غداً، وإنّي قد أذنت لكم جميعاً فانطلقوا في حلٍّ ليس عليكم منّي ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعاً، ثم تفرّقوا في البلاد في سوادكم ومدائنكم حتّى يفرّج الله فإن القوم إنّما يطلبونني، ولو أصابوني لهوا عن طلب غيري»[2].

---

(١) غرر الحكم: ٤١٣، الفصل ٤٢، الرقم ٢٥.

(٢) ابن الأثير: ٤/٥٧، طبعة بيروت ١٩٦٥م، المنتظم لابن الجوزي، وروي كلامه ←

ـ جواب أهل بيته:

ولم يكد يفرغ الإمام من كلماته حتى هبّت الصفوة الطيبة من أهل بيته، وهم يعلنون اختيار الطريق الذي يسلكه، ويتّبعونه في مسيرته ولا يختارون غير منهجه، فانبروا جميعاً وعيونهم تفيض دموعاً قائلين:

«لِمَ نفعل هذا؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً».

بدأهم بهذا القول أخوه أبو الفضل العبّاس، وتابعته الفتية الطيبة من أبناء الأُسرة النبوية، والتفت الإمام إلى أبناء عمه من بني عقيل فقال لهم:

«حسبكم من القتل بمسلم اذهبوا فقد أذنت لكم».

وهبّت فتية آل عقيل تتعالى أصواتهم قائلين بلسان واحد:

«وما نقول للناس؟ نقول: تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير

ـ بصورة أُخرى. فقد جاء في مقتل الحسين لعبدالله أنه عليه السلام قال: أنتم في حلّ من بيعتي فالحقوا بعشائركم ومواليكم. وقال لأهل بيته: قد جعلتكم في حلّ من مفارقتي؛ فإنّكم لا تطيقونهم لتضاعف أعدادهم وقواهم، وما المقصود غيري فدعوني والقوم، فإن الله عزّ وجل يعينني ولا يخليني من حسن نظره كعادته مع أسلافنا الطيبين، ففارقه جماعة من معسكره فقال له أهله: لا نفارقك ويحزننا ما يحزنك، ويصيبنا ما يصيبك، وإنا أقرب ما نكون إلى الله إذا كنا معك، فقال لهم: إن كنتم وطّنتم أنفسكم على ما وطّنت نفسي عليه، فاعلموا أن الله إنّما يهب المنازل الشريفة لعباده لاحتمال المكاره، وأن الله كان خصّني مع من مضى من أهلي الذين أنا آخرهم بقاءً في الدنيا من الكرامات بما يسهل علي معها احتمال المكروهات، فإن لكم شطراً من كرامات الله، واعلموا أن الدنيا حلوها ومرّها حلم، والانتباه في الآخرة، والفائز من فاز فيها والشقي من شقي فيها.

الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب بسيف، ولا ندري ما صنعوا؟ لا والله لا نفعل، ولكننا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك»(١).

ـ جواب أصحابه:

انبرى مسلم بن عوسجة ودموعه تتبلور على وجهه فخاطب الإمام قائلاً:

«أنحن نخلّي عنك؟ وبماذا نعتذر إلى الله في أداء حقك؟ أما والله لا أفارقك حتى أطعن في صدورهم برمحي، وأضرب بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم لقذفتهم بالحجارة حتى أموت معك».

وتكلّم سعد بن عبدالله الحنفي قائلاً: «والله لا نخلّيك حتى يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبة رسوله فيك، أما والله لو علمت أني أُقتل ثم أحيا ثم أُحرق ثم أُذرى يفعل بي ذلك سبعين مرّة لما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً»؟

وقال زهير رضي الله عنه: «والله لوددت أني قُتلت ثم نُشرت، ثم قتلت حتى أُقتل كذا ألف مرّة، وأنّ الله عزّ وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن

(١) تاريخ ابن الأثير: ٥٨/٤.

أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك...».

وانبرى بقية أصحاب الإمام فأعلنوا الترحيب بالموت في سبيله والتفاني في الفداء من أجله فجزاهم الإمام خيراً[١]، وأكّد لهم جميعاً أنهم سيلاقون حتفهم فهتفوا جميعاً:

«الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك، وشرّفنا بالقتل معك، أو لا نرضى أن نكون معك في درجتك يابن رسول الله؟»[٢].

لقد اختبرهم الإمام فوجدهم من خيرة الرجال صدقاً ووفاءً، قد أشرقت نفوسهم بنور الإيمان، وتحرّروا من جميع شواغل الحياة، وكانوا ـ فيما يقول المؤرخون ـ في ظمأ إلى الشهادة ليفوزوا بنعيم الآخرة.

وقال محمد بن بشير الحضرمي ـ وكان قد بلغه أنّ ابنه قد أُسر بثغر الري ـ فقال: ما أُحب أن يؤسر ابني وأنا أبقى بعده حيّاً، فاستشعر الإمام من هذه الكلمات رغبته في إنقاذ ابنه من الأسر فأذن له في التخلي عنه قائلاً: أنت في حلّ فاعمل في فكاك ولدك. فقال: «أكلتني السباع حيّاً إن فارقتك...»[٣].

فلمّا أن استوثق الحسين من إقبالهم على الموت وعزمهم على الشهادة في سبيل الله قال لهم: «يا قوم، إنّي غداً أُقتل، وتقتلون كلكم معي، ولا

(١) المنتظم: ٥/١٧٩، وتاريخ الطبري: ٦/٢٣٩.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤/٢٩٨، والعوالم للبحراني: ٢٥٠.

(٣) تاريخ ابن عساكر: ١٣/٥٤، وتهذيب التهذيب: ١/١٥٠، ومقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ١٦٥ ـ ١٧٠.

يبقى منكم واحد» فقالوا: الحمدلله الذي أكرمنا بنصرك، وشرفنا بالقتل معك،أولا ترضى أن نكون معك في درجتك يابن رسول الله؟ فقال: جزاكم الله خيراً، ودعا لهم بخير.

فقال له القاسم بن الحسن عليه السلام: «وأنا فيمن يُقتل؟ فأشفق عليه، فقال: يابنيّ كيف الموت عندك؟ قال: يا عم أحلى من العسل».

فقال: أي والله فداك عمك، إنك لأحد من يُقتل من الرجال معي بعد أن تبلو ببلاء عظيم، وابني عبدالله (الرضيع)»[1].

(١) نفس المهموم للمحدّث القمي: ٢٣٠.

سنّة التعميم في القرآن وتطبيقاتها في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ محمّد مهدي الآصفي

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۞ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۞ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

شأن نزول الآيات:

روى سعيد بن جبير في شأن نزول هذه الآية أنه، لما نزل قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً...﴾[2]

قالت اليهود: يا محمد، افتقر ربك، فسأل عباده القرض، فأنزل الله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ...﴾[3].

---

(١) آل عمران: ١٨١ ـ ١٨٣.

(٢) البقرة: ٢٤٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ١/٤٣٤.

دلالة الآيات على سنّة التعميم:

تُدين هذه الآيات اليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ بأمرين قولهم:
﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ .
﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾

وقد سمع الله قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

وأوعدهم أن يكتب عنهم ما قالوا من الإفك ويدينهم بما قالوا وبقتلهم الأنبياء بغير حق.

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

ويذيقهم عذاب الحريق بما نطقوا من الإفك وبما صنعوا من قتل الأنبياء بغير حق.

﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

وتؤكد الآية الكريمة لليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ أنهم إنما استحقوا عقوبة عذاب الحريق بما قدّمت أيديهم من الإفك والإثم وليس الله بظلام للعبيد.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ .

ثم تحكي عنهم الآية الكريمة أنهم طلبوا من رسول الله ﷺ: أن يأتيهم بقربان تأكله النار، حتى يؤمنوا برسالته وقال إنّ الله عهد إليهم بذلك.

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ .

فتُحاججهم الآية الكريمة بمن قد جاءهم من قبل، من الرسل بالبينات، وبالذي طلبوا من القربان الذي تأكله النار...

ومع ذلك فلم يؤمنوا، وأصروا على اللجاج والعناد، وقتلوهم بغير حق.

﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وليس من شك أنّ المخاطبين في هذه الآيات من سورة آل عمران هم اليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ، والضمائر كلّها تعود إليهم.

فهم الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ .

وهم الذين قالوا: ﴿إنّ الله عهد الينا إلّا نؤمن...﴾ .

والخطاب موجّه إليهم في هذا السياق وليس في ذلك شك، وقراءة سريعة للآيات الكريمة من آل عمران تكفي لتأكيد هذه الحقيقة.

ومع ذلك، فإنّ الله تعالى يدينهم ويوعدهم بعذاب الحريق بجرائم آبائهم في قتل الأنبياء من بني إسرائيل بغير حق، ولم يكن لهم أيّ دور في ذلك بالنظرة السطحية التي ينظر الناس من خلالها التأريخ والمجتمع.

والآيات الكريمة صريحة في الإدانة وفي العقوبة معاً.

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ .

فيدينهم الله تعالى ويعاقبهم بـ(ما فعلوا) وما (لم يفعلوا)، ثمّ تُحاججهم الآية الكريمة بما يلزم آباءهم من قتل الأنبياء بغير حق.. وهذه حجّة تُلزم آباءهم الذين قتلوا الأنبياء. أما الأبناء الذين طلبوا من

رسول الله ﷺ أن يأتيهم بقربان تأكله النار فلم يقتلوا نبياً. ولم يعاصروهم فكيف تُحجهم الآية الكريمة بما لم يفعلوا، ولم يكن لهم فيه دور وشأن؟

وجواب هذه الأسئلة جميعاً في (سنّة التعميم).

فقد عمّم الله تعالى مسؤولية الآباء في قتل الأنبياء على الأبناء، كما عمّم الله تعالى عقوبة الآباء في هذه الجريمة على الأبناء، ثم عمّم الله الحجة التي تُلزم الآباء على الأبناء وهذه التعميمات جميعاً تتبع سنّة إلهية عامّة هي سنّة «التعميم».

وهذه السنّة الإلهية هي دليل هذه الإدانة والعقوبة والاحتجاج .

ومعنى «التعميم» في هذه الآية الكريمة إنّ الله تعالى يشرك الأبناء في مسؤوليات الآباء وجرائمهم وعقوباتهم وما يُلزمهم ويُحجهم.

عامل التعميم:

-الرضاء والسخط:

والرضا والسخط من الحب والبغض.

فإذا رضي الإنسان بعمل قوم أُشرك في عملهم، من خير أو شر، عوقب عليه إن كان شراً، وأُثيب عليه، إن كان خيراً.

وإذا سخط الإنسان على قوم تبرأ منهم.

فالحب والرضا يلحقان الإنسان بالآخرين الذين يحبّهم ويرضى عنهم،

والبغض والسخط يفصلان الإنسان عن الآخرين الذين يبغضهم

ويسخط عليهم.

فهو عامل للوصل والفصل.

وحيث كان اليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ راضين بفعل آبائهم في قتل الأنبياء.. فإنّ الله تعالى يُحمّلهم مسؤولية جرائم آبائهم ويدينهم بها ويعاقبهم عليها، ويُلزمهم الحجة بذلك، مع أنّهم لم يعاصروا أولئك الأنبياء ولم يدركوهم فضلاً من أن يكون لهم دور في قتلهم.

روى عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام :

«إنّ الله حكى عن قوم في كتابه ﴿لن نؤمن لرسولٍ حتّى يأتينا بقربانٍ تأكله النار قل قد جاءكم رسلٌ من قبلي بالبيّنات وبالذي قلتم: فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾ .

قال: بين القاتلين والقائلين خمسمائة عام، فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا»[1].

وعن محمّد بن الأرقط عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام :

قال: تنزل الكوفة؟

قلت: نعم.

قال: فترون قتلة الحسين بين أظهركم؟

قال: قلت: جعلت فداك ما رأيت منهم أحداً.

قال: فإذن أنت لا ترى القاتل إلّا من قتل أو مَن وَلِي القتل؟

ألم تسمع إلى قول الله ﴿قد جاءكم رسلٌ من قبلي بالبينات وبالذي قلتم: فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾ .

فأيّ رسول قتل الذين كان محمّد ﷺ بين أظهرهم؟

(١) تفسير البرهان: ١/٣٢٨، اسماعيليان.

ولم يكن بينه وبين عيسى عليه السلام رسول.
إنّما رضوا قتل أولئك، فسمّوا قاتلين[١].

ـ الإشراك بـ(الرضا):

فالرضا يشرك الراضي في فعل مَن يرضى عنه: من خير أو شرّ، مارس الفعل أم لم يمارسه، وفي كلّ الآثار: في المثوبة والعقوبة، والمسؤولية والإدانة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام، برواية الشريف الرضي (في نهج البلاغة):

«أيّها الناس، إنّما يجمع الناس الرضا والسخط، وإنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد، فعمّهم الله بالعذاب، لمّا عمّوه بالرضا».

قال سبحانه: ﴿فعقروها، فأصبحوا نادمين﴾.

فما كان إلّا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكّة المحماة في الأرض الخوارة[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كلّ داخل في باطل إثمان: إثم العمل به، والرضا به»[٣].

والإمام عليه السلام يحلّل: في هذه الكلمة العناصر التي تتركب منها الجريمة التي إثمين: «إثم العمل وإثم الرضا به».

ولا يختصّ أمر هذا التعميم على الباطل والإثم، بل يعمّ الحقّ والثواب أيضاً.

---

(١) تفسير البرهان: ٣٢٨/١، اسماعيليان.
(٢) نهج البلاغة: ٢٠٧/٢.
(٣) نهج البلاغة: ١٩١/٣.

ـ المشاركة في التاريخ بالرضا والسخط:

ورد في بعض النصوص الجامعة في زيارة الأئمة عليهم السلام: الشهادة بأنّا قد شاركنا أولياءهم وأنصارهم والمقاتلين بين أيديهم في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين وهي شهادة غريبة لا يفقهها إلّا مَن يفقه سنّة الله في التعميم وإليك هذا النص من بعض النصوص الجامعة لزيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام:

فنحن نشهد أنا قد شاركنا أولياءكم وأنصاركم المتقدّمين في إراقة دماء الناكثين والقاسطين والمارقين وقتلة أبي عبدالله عليه السلام سيّد شباب أهل الجنة بالنيّات والقلوب والتأسّف على فوت تلك المواقع.

فهذا باب واسع من الفقه في هذا الدين هو فقه «الرضا» و«السخط»، وإنطلاقاً من هذا الفقه فنحن قد شاركنا إبراهيم عليه السلام رائد التوحيد في دعوة التوحيد، وفي تحطيمهم الأصنام ومقاومة طاغية عصره نمرود، وشاركنا موسى عليه السلام وعيسى بن مريم عليه السلام في دعوة التوحيد ورفض طغاة عصرهم، وشاركنا رسول الله صلى الله عليه وآله في حربه وغزواته ونشارك الصلحاء والأولياء وأئمة التوحيد والدعاة الهداة والذاكرين المسبّحين لله تعالى عبر التأريخ في الدعوة إلى الله والنصيحة لعباد الله والذكر والتسبيح والآلام والهموم وما أرقوا من دماء الظالمين وما أُريق لهم من الدماء وماهدموا من أركان الظلم والشرك وما أشادوا ومن أركان التوحيد والعدل...

وهذا باب واسع من الفقه والمعرفة لا يسعه هذا المقال.

وقد روى بطرق كثيرة: «المرء مع مَن أحبّ»[1].

---

(١) ميزان الحكمة: ٢ / ٢١٤ ـ ٢١٥.

ـ كسب الأُمة وكسب الفرد:

نلتقي في القرآن، ربّما لأوّل مرّة في تاريخ الثقافة بفهم جديد للأُمة.

وانطلاقاً من هذا الفهم الجديد للأُمة، ليست الأُمة بمعنى تجمع كمي من الناس، وانّما هي حالة بشرية كيفية فلا تساوي الأُمة مجموعة الأفراد ولا يساوي فعل الأُمة وأثرها وقوّتها مجموع أفعال الأفراد وآثارهم وقوّتهم. وليست الأُمة من حيث الأساس من مقولة الكم، وإنّما هي من مقولة الكيف.

فلا تكون قوّة الجماعة مجموعة قوّة الأُفراد.. بل «يد الله على الجماعة» و «مع الجماعة» و «يد الله» أمر آخر غير المجموعة الكمية لقوّة الأفراد. ولا يختلف في ذلك الأُمة المؤمنة عن غيرها، فإنّ للأُمة في القرآن أحكاماً وآثاراً غير ما لمجموع الأفراد من الأحكام والآثار.

والأُمة الواحدة لا يحصرها الزمان والمكان ولا يضرّ بوحدتها تعدد المكان والزمان، والقرآن يعبّر عن هذه الأُمة المباركة بأنّها ملّة إبراهيم ﴿ومَن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله، وهو محسن، واتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً﴾[1].

وعن إبراهيم عليه السلام بأنّ الأب الأوّل لهذه الأُمة ﴿ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين﴾[2].

وعن هذه الوحدة التي تطوي الزمان والمكان يقول تعالى: ﴿وإنّ

---

(١) النساء: ١٢٥.

(٢) الحج: ٧٨.

هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾[١].

ويقول تعالى: ﴿إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾[٢].

وانطلاقاً من هذا كلّه فإنّ القرآن يقرر أنّ للأمة فعلّ و «كسب» غير فعل الفرد وكسبه ونتائج كسب الأمة تعم الأمة كلّها في الخير والشر، حتى مَن لم يشارك ولم يكن له دور في هذا الكسب...

إذا كان يشاركهم في الرضا والسخط، وأمّا نتائج كسب الأفراد فتخصّهم وحدهم ولا تعمّ غيرهم.

الطائفة الأولى من الكسب ما يتعلّق بالأمة مثل الشعائر والأعراف والأعمال الجمعيّة. وما يرضى عنه الناس ويقرّوه ويدعموه بالتأييد، وتعمّ آثار هذه الأعمال الناس جميعاً من شارك فيها ومَن لم يشارك في الخير والشر معاً.

والطائفة الثانية من الكسب وما يخصّ الأفراد: ولا يكون له مردود على الهيئة الاجتماعية بشكل واضح في الدنيا والآخرة، وعن هذه الطائفة يقول تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

ويقول تعالى: ﴿وإنّ ليس للإنسان إلّا ما سعى، وإنّ سعيهُ سوف يُرى، ثمّ يُجزاه الجزاء الأوفى﴾[٣].

وعن «كسب الأمة» الذي يعمّ الأمة كلّها يقول تعالى: ﴿ تلك أمة قد

(١) المؤمنون: ٥٢.
(٢) الأنبياء: ٩٢.
(٣) النجم: ٣٩ ـ ٤١.

خلت لها ما كسبت، ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عمّا كانوا يفعلون﴾[(١)].

لكل أُمة ما كسبت من خير أو شر ولا تسأل أُمة عمّا كسبت أُمة أُخرى، ولا يختصّ كسب الأُمة الذين شاركوا في هذا الكسب. وإنّما يعمّهم جميعاً إذا عمّوه بالرضا[(٢)].

إنّ الخير والشر الذي تكسبه الأُمة يعم الأُمة جميعاً العاملين وغير العاملين إذا عمّوه بالرضا، وهذه السنّة سنّة عامّة في الدنيا والآخرة.

هذه السنّة تجمع وتفرق، وتُوصل وتفصل تجمع الناس من بقاع شتى من الأرض، وفي فترات متباعدة من التاريخ فتجعل منهم أُمة واحدة عند ما يجمعهم الرضا والسخط والولاء والبراء.

ويفرق الأُسرة الواحدة والبيت الواحد إلى أُمتين وجبهتين لا تلتئمان ولا تجتمعان إذا افترقا في الرضا والسخط وفي الولاء والبراء.

---

(١) البقرة: ١٤٠.

(٢) تختلف هذه السنّة عن السنّة التاريخية والإجتماعية الأُخرى التي تقررها آية الأنفال المباركة ﴿واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة﴾.
فإنّ هذه الأخيرة تخصّ الدنيا فقط دون الآخرة وتعمّ الراضين وغير الراضين وهي تجري في الخير والشر جميعاً. فإذا استسقى قوم من المؤمنين المطر فأنزل الله عليهم الغيث عمّ الخير جميعهم في الدنيا حتّى من كان على غير منهم ولا على هواهم، ولا يشاركهم في الرضا والسخط. وإذا أُشعل قوم فتنة في المجتمع عمّ شرها الجميع، حتّى لو لم يشاركوهم في الرضا والسخط، وتختصّ آثار هذه السنّة بالدنيا فقط دون الآخرة، بينما تعمّ سنّة التعميم التي نحن بصدد الحديث عنها الناس في الدنيا والآخرة، وتعمّ الراضين فقط دون غيرهم ممن لا شاركهم في الرضا والسخط. وهذا هو الذي نقصده نحن من سنّة التعميم. ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت، ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عمّا كانوا يفعلون﴾.

وهذه السنّة تصل فرداً بآخر، لا تجمعهم لغة ولا إقليم ولا زمان ولا تعارف، وتفصل الأخ عن أخيه الشقيق معه في بيت واحد أسرة واحدة.

فيكسب الإنسان في الحالة الأولى ممن لا يعرفه ولا يجمعه به بيت أو مكان أو زمان أو لسان، ولا يشاركه في أصل أو رحم.. يكسب الإنسان منه صالح أعماله جميعاً، أو سيئات أعماله جميعاً، إذا كان يجمعه به الرضا والسخط.

وينتظر في الحالة الثانية الأُسرة الواحدة والبيت الواحد، في السعادة والشقاء فيعد أحدهم بالجنة ويشقى الآخر في النار، خالدين فيها، إذا كان يفترقان في الرضا والسخط.

موارد التعميم:

سنّة التعميم سنّة عامّة شاملة، تشمل الدنيا والآخرة وتعمّ الخير والشرّ ومواردها ومصاديقها وأنحاؤها في حياة الناس كثيرة.

ونحن نذكر إنّ شاء الله فيما يلي بعض أنحاء وموارد هذه السنّة الإلهية في حياة الناس في ضوء النصوص الإسلامية من الكتاب والسنّة:

١ـ التعميم في الإدانة والمسؤولية والعقوبة:

إذا ارتكب قوم جريمة وعمّهم الآخرون بالرضا عمّتهم المسؤولية والإدانة.

وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك بداية هذا الحديث في تفسير الآيات

الكريمة (١٨٢ ـ ١٨٤) من آل عمران.

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ .

ووجدنا أنّ الله تعالى يُدين الأبناء بجرائم الآباء، ويعاقبهم بها، ويقول ذوقوا عذاب الحريق.

وقرأنا كلمة أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «وإنّما قتلَ ناقة ثمود رجل واحد، فعمّهم الله بالعذاب لمّا عمّوه بالرضا، فقال سبحانه ﴿فعقروها فأصبحوا نادمين﴾ .

ولا تُغيّر في السنّة الإلهية في تعميم الإدانة والمسؤولية والعقوبة كثرةُ الراضين بها، فإنّ الإدانة والمسؤولية واستحقاق العقوبة يشملهم جميعاً مهما كثروا، إذا كانوا راضين بالجريمة.

عن أبي سعيد الخدري: «وُجد قتيل على عهد محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج صلى الله عليه وآله مغضباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال يقتل رجل من المسلمين، لا يُدرى من قتله، والذي نفسي بيده لو أنّ أهل السموات والأرض اجتمعوا على قتل مؤمن أو رضوا به لأدخلهم الله النار»[1].

وعن سليمان بن خالد عن أبي عبدالله عليه السلام:

«لو أنّ أهل السموات والأرض لم يحبّوا أن يكونوا شهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله لكانوا من أهل النار»[2].

ولا يُغيّر هذه السنّة الإلهية تباعد المكان، فلو أنّ رجلاً قتل آخر ظلماً بالمشرق فرضي به آخر في المغرب لاستحق بذلك النار.

---

(١) بحار الأنوار: ١٠٤ / ٣٨٤.

(٢) بحار الأنوار: ٧١ / ٢٦٢ ح٦.

روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لو أنّ رجلاً قُتل بالمشرق وآخر رضي به في المغرب كان كمن قتله وشرك في دمه»[1].

ودائرة الرضا دائرة واسعة تطوى الزمان والمكان، وتعمّ الناس في أوسع مساحة يتصوّرها الإنسان.

وقد روي: «إنّ الراضين بقتل الحسين شركاء قتله ألا وإنّ قتلته وأعوانهم وأشياعهم والمقتدين بهم براء من دين الله»[2].

وروي: «إنّ القائم (عج) يقتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام لرضاهم بذلك»[3].

٢ــ التعميم في الحجّة:

قرأنا بداية هذا البحث أنّ الله تعالى ألزم اليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وآله بفعل آبائهم، واتّخذه حجة عليهم عندما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يأتيهم بقربان تأكله النار ليؤمنوا به، فحاججهم القرآن بمن جاءهم قبل رسول الله صلى الله عليه وآله من الأنبياء بالبيّنات وبالقربان فقتلوهم ولم يؤمنوا بهم. ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ قل: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ .

وفي سورة البقرة (٢٩١ ـ ٢٩٢) يحاجج القرآن اليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وآله بأنّهم إذا دعوا إلى الإيمان بما أنزل الله تعالى على رسوله

(١) بحار الأنوار: ١٠٤/٣٨٤، وروضة الوعظين: ٤٦١.
(٢) بحار الأنوار: ٨/٣١٦ ج ٧٩.
(٣) بحار الأنوار: ٥٢/٣١٣.

قالوا نؤمن بما أُنزل علينا، ويكفرون بما وراء ذلك مما أنزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وآله بعد ذلك.

فيأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله أن يحاججهم في ذلك ﴿قَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

وكيف يصح دعواهم بأنّه يؤمنون بما أنزل عليهم فقط دون غيرهم، إذ كانوا يقتلون الأنبياء الذين أُرسل اليهم؟

فيلزم القرآن الأبناء بالحجة التي تلزم الآباء.

تأملوا في هذه الآيات من سورة البقرة.

﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله﴾.

قالوا: ﴿نؤمن بما أُنزل علينا﴾

﴿ويكفرون بما وراءه، وهو الحق، مصدقاً لما معهم﴾.

﴿قل: فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾[2].

٣ ـ التعميم في الثواب:

وكما تعمّ المسؤولية والعقاب، يعمّ الثواب وحسن الجزاء، العاملين والراضين وهو من أبواب رحمة الله تعالى على عباده، فتحها على عباده يشركهم معه خلالها، في ثواب أعمال الصالحين وجهادهم ودعوتهم إلى توحيد الله وقيامهم وركوعهم بين يدي الله وذكرهم وتسبيحهم ومواقفهم... وهو من يقينيات الثقافة الإسلامية.

---

(١) البقرة: ٢٩٢.

(٢) البقرة: ٩١.

روى المحدث القمّي في كتابه القيّم (نَفَس المهموم) بسند صحيح عن الريّان بن شبيب رضي الله عنه خال المعتصم.

قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام في أوّل يوم من محرم، فقال: يابن شبيب أصائمٌ أنت؟ فقلت: لا، فقال: إنّ هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا ربّه عزّ وجلّ فقال: ﴿ربِّ هَبْ لي من لدنك ذرّيّة طيبةً إنّك سميع الدعاء﴾ فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلّي في المحراب: ﴿إنّ الله يُبشّرك بيحيى﴾ فمن صام هذا اليوم، ثم دعا الله عزّ وجل، استجاب الله له كما استجاب لزكريا.

ثم قال: يابن شبيب، إنّ المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يُحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته. فما عرفت هذه الأُمة حرمة شهرها، ولا حرمة نبيّها صلى الله عليه وآله. لقد قتلوا في هذا الشهر ذرّيته وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً.

يابن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابكِ للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. فإنّه ذُبح كما يُذبح الكبش، وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم شبيهون في الأرض...

يابن شبيب إن سرّك أن تلقى الله عزّ وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام يابن شبيب إن سرّك أن تسكن الغرف المبنيّة في الجنّة مع النبيّ صلى الله عليه وآله فالعن قتلة الحسين عليه السلام.

يابن شبيب إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

يابن شبيب إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى في الجنان فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولى حجراً لحشره الله تعالى يوم القيامة»[1].

وروي في «بشارة المصطفى» عن عطية العوفي:

قال: خرجت مع جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه زائرين إلى قبر الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فلمّا وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم أتزر بإزار وارتدى بآخر، ثم فتح صرّة فيها سعد فنثرها على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلاّ ذكر الله حتى إذا دنا من القبر، قال المسنيه، فألمسْتهُ فخرّ على القبر مغشياً عليه فرششت عليه شيئاً من الماء فأفاق.

ثم قال: يا حسين ثلاثاً، ثم قال حبيب لا يجيب حبيبه، ثم قال: وأنى لك بالجواب وقد شُحطت أوداجك على أثباجك، وفرّق بين بدنك ورأسك، فأشهد أنك ابن النبيين وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى وسليل الهدى و خامس أصحاب الكساء وابن سيد النقباء، وابن فاطمة الزهراء سيد النساء، ومالك لا تكون هكذا، وقد غذّتك كف سيد المرسلين وربيت في حجر المتقين، ورضعت من ثدي الإيمان، وفُطمت بالإسلام، فطبت حياً وميتاً، غير أن قلوب المؤمنين غير طيّبة بفراقك ولا شاكّة في الخيرة لك. فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد إنّك مضيت على ما مضى عليه إخوانك يحيى بن زكريا.

ثم جال ببصره حول القبر وقال: السلام عليكم أيتها الأرواح التي

---

(١) نفس المهموم: ٣٦، تحقيق الأستادي، وأمالي الصدوق: ٧٩ المجلس ٢٧.

حلّت بفناء الحسين وأناخت برحله أشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين.

والذي بعث محمداً بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية: وكيف؟ ولم نهبط وادياً ولم نعل جبلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فُرّق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأوتمت أولادهم، وأرملت الأزواج.

فقال: يا عطية سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «مَن أحبّ قوماً حُشر معهم، ومَن أحبّ عمل قوم أُشرك في عملهم»، والذي بعث محمداً بالحق نبيّاً أنّ نيّتي ونيّة أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه، خذوا بي نحو أبيات كوفان، فلمّا مررنا في بعض الطرق فقال لي: يا عطية هل أوصيك؟

وما أظن إنّني بعد هذه السفرة ملاقيك! أحبّ محبّ آل محمّد ما أحبّهم، وبغض مبغض آل محمّد ما أبغضهم، وإن كان صوّاماً قوّاماً، وأرفق بمحبّ محمّد وآل محمّد فإنّه: إن تزل لهم قدم بكثرة ذنوبهم تثبت لهم أخرى بمحبّتهم. فإنّ محبّهم يعود إلى الجنّة ومبغضهم يعود إلى النار»[1].

٤ ـ التعميم في نسبته في العمل:

والله تعالى ينسب جرائم الآباء في قتلهم للأنبياء إلى الأبناء في اليهود

(١) بحار الأنوار: ٦٨/١٣١ ـ ١٣٠ ح ٦٢ و ١٠١/١٩٥ ح ٣١، وبشارة المصطفى: ٧٤ ط ١٣٨٣ هـ.

المعاصرين لرسول الله ﷺ وليس فقط، يُحمل الأبناء مسؤولية جرائم الآباء ويُدينهم بها ويعاقبهم عليها، وإنّما ينسب فعل الآباء إلى الأبناء مباشرة وبالصراحة.

قال: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ بالتأكيد: قل: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

وأفصح وأصرح من ذلك كلّه قوله تعالى في خطابه لليهود المعاصرين لرسول الله ﴿ذلك بما قدمت أيديكم وإنّ الله ليس بظلام للعبيد﴾ والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ (الأبناء) من غير شك.

٥ـ التعميم في الشهود والحضور:

وتتجاوز هذه السنّة الإلهية في التعميم حدود المسؤولية والإدانة والثواب والنسبة، وتشمل الشهود والحضور فتنسب إلى الغائبين الحضور والشهود للموقع الذي غابوا عنه وتفصله عنهم مئات السنين والمسافات الممتدة الطويلة.

والشهود والحضور أعمق مراتب التعميم.

يقول الشريف الرضي في (نهج البلاغة): لمّا أظفر الله تعالى أمير المؤمنين عليه السلام بأصحاب الجمل قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلاناً

---

(١) آل عمران: ١٨٤.

(٢) البقرة: ٩١.

كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك.

فقال عليه السلام: أهوى أخيك معنا؟

قال: نعم.

فقال: **فقد شهدنا، ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، سيرعف الزمان بهم، ويقوى بهم الإيمان»**[1].

وفي النهروان بعد أن استتبت المعركة، وانتهت فتنة الخوارج تمنّى أحد أصحابه أن يكون قد حضر أخ له المعركة.

فقال عليه السلام: **لقد شهد في هذا الموقف أُناس لم يخلق الله آباءهم**[2].

رحم الله السيّد الحميري يعكس هذا الوعي العميق للتاريخ وإرتباط الخلف بالسلف وتعميم الحضور في تاريخ الآباء للأبناء.. في أبيات من الشعر كلّها وعي ومعرفة، يقول رحمه الله:

إنّي أدين بما دان الوصي[3] به
يوم الربيضة[4] من قتل المحلّينا
وبالذي دان يوم النهر[5] دنت به
وصافحت كفّه كفي بـ (صفينا)

---

(1) نهج البلاغة.
(2) بحار الأنوار: ٢٦٢/٧٦ ح ٥ و ٦.
(3) الوصي: أمير المؤمنين.
(4) يوم الربيضة: معركة الجمل.
(5) يوم النهر: النهروان.

تـلك الدمـاء جـميعاً ربّ فـي عـنقي
ومـثلها مـعها آمـين آمـينا[١]

«مـن شـهد أمـراً فكـرهه
كـان كـمن غـارب عـنه
ومـن غـاب عـن أمـرٍ فـرضيه
كـان كـمن شـهده»[٢]

أنّ (الرضا) يُحضر الغائب البعيد عبر القرون و(السخط) يغيب الحاضر الشاهد.

وعن الرضا عليه السلام: «مَن غاب عن أمرٍ فرضي به كان كمن شهده وأتاه»[٣].

٦ ـ التعميم في النتائج والسنن الإلهية في المجتمع والتاريخ:

للطاعة والعصيان آثار ونتائج في حياة الناس الاجتماعية.

يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٤].

ويقول: ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ

(١) أعيان الشيعة للسيد الأمين: ٣/٤١٦.
(٢) تحف العقول: ١٠٠، وبحار الأنوار: ١٠٠/٨١ ح ٣٨.
(٣) بحار الأنوار: ١١/٣٢٠ و ٥/٢٨٣.
(٤) الأعراف: ٩٦.

﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

وهذه النتائج والآثار تجري في حياة الناس بموجب سنن الله تعالى وهي سنن حتمية تجري بأمر الله.

إلا أن هذه السنن لا تخص العاملين والحاضرين فقط، وإنّما تشمل الحاضرين والغائبين، إذا كان يجمعهم الرضا والسخط.

تأملوا في الآيات المباركات من سورة البقرة (٦١) وآل عمران (١١٢) حيث يذكر الله تعالى العقوبات التي عاقب بها اليهود على جرائمهم الكثيرة وقتلهم للنبيين.

وهذه العقوبة هي الذلّ والمسكنة والبدء بغضب الله. وهذه الذلّة والمسكنة تجري في حياتهم السياسية والاقتصادية والإجتماعية بموجب سنن الله تعالى، في إذلال العصاة والمتمردين.

ولكن الله تعالى عاقب أجيال الأبناء من اليهود، بهذه السنّة بجرائم الآباء، فعمّتهم العقوبة الإلهية في الدنيا.

تأملوا في هاتين الآيتين من «سورة البقرة» و «آل عمران»:

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[3].

---

(١) الأنفال: ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) آل عمران: ١٣٧.

(٣) البقرة: ٦١.

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[1].

وليس من شك أنّ هذه العقوبة التي سنّها الله تعالى لهم لم تخص أجيال اليهود الذين كانوا يقترفون جرائم قتل النبيين بل تعمّ أجيال اليهود «أينما ثقفوا» وهي من مصاديق سنّة التعميم.

٧ ـ التعميم في النتائج والسنن الإلهية في نفس الإنسان:

تتحقق السنن الإلهية في حياة الناس في مساحتين:

مساحة المجتمع والتاريخ.

وفي مساحة النفس.

وقد تحدثنا عن سنّة التعميم في السنن الإلهية في مساحة المجتمع والتاريخ ونقول الآن أنّ سنّة التعميم، تشمل السنن الإلهية في مساحة النفس البشرية كذلك.

ففي سورة البقرة يحدثنا القرآن عن مسلسل طويل من تعنّت بني إسرائيل وكفرهم بأنعم الله وعنادهم ولجاجتهم وتشكيكهم في آيات الله وقتلهم لنبيّين وعصيانهم وتمرّدهم.

ثم يقول القرآن الكريم بعد ذلك في بيان سنّة الله تعالى في عقوبة بني إسرائيل بعد كلّ هذا الجحود والكفران والعصيان:

---

(١) آل عمران: ١١٢.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[1].

ولاشك أنّ هذه القسوة في قلوبهم والتي يصفها الله تعالى بتحجّر القلوب أو أشد من ذلك كانت نتيجة لتلك الجرائم والجحود والمعاصي وتعبير القرآن دقيق ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من جرّاء هذه المعاصي.

ولاشك أنّ المخاطبين بهذه الآية اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وآله بدليل سياق آيات سورة البقرة وبدليل ضمير الخطاب في الآية الكريمة ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ .

٨ ـ تعميم اللعن والبراءة:

من مصاديق التعميم.. تعميم اللعن والبراءة للقتلة والمجرمين والراضين بجرائمهم.

وفي النصوص المأثورة عن أهل البيت في زيارة الحسين عليه السلام نتلقى هذا التعميم بوضوح وصراحة.

ففي النص المعروف بزيارة وارث نقرأ:

«لعن الله أمّةً قتلتك..

ولعن الله أمّةً ظلمتك..

ولعن الله أمّة سمعت بذلك فرضيت به».

وهو نص عجيب، يستوقف الإنسان للتأمّل والتفكّر.

---

(١) البقرة: ٧٤.

فهذه طوائف ثلاثة تعمّهم اللعن والبراءة من القتلة، والذين أيّدوا القتلة بالدعم والإسنادة، والذين رضوا عنهم.

اللعن والبراءة:

واللعن والبراءة هو إعلان الفصل والبينونة الكاملة ولا يصح ولا يجوز اللعن إلّا عند ما ينقطع آخر الخيوط من وشائج الولاء في هذه الأمّة.

فإذا انقطعت هذه الخيوط خيطاً بعد خيط ووشيجة بعد وشيجة، عند ذلك يكون كلّ من الفريقين أمّة منفصلة عن الفريق الآخر، فإذا كانت إحدى الأمّتين موضع رحمة الله «مرحومة» فلا محالة تكون الأمّة الأخرى موضع غضب الله «ملعونة». وهذا هو الحد الفاصل والحاسم بينهما.

فإنّ الله تعالى قد وصل بين المسلمين بوشيجة الولاء، فقال تعالى: ﴿والمؤمنون بعضهم أولياء بعض﴾ .

وهي أقوى الوشائج الحضارية في تاريخ البشرية، ومن يدخل في مساحة الولاء من المؤمنين يستحق من أعضاء هذه الأسرة الكبيرة، النصر والسلام والعصمة: وأقصد بالعصمة أن يحفظوا دمه وعرضه «كرامته» وماله، وقد أعلن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حقّ المسلم على المسلمين في «العصمة» في خطاب عام ألقاه على المسلمين في مسجد الخيف بمنى، في آخر حجّة حجّها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالمسلمين فقال: «**يا أيّها الناس اسمعوا ما أقول لكم واعقلوه فإنّي لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامنا هذا**». ثم قال: أيّ يوم

أعظم حرمة؟ قالوا: هذا اليوم. قال: فأيّ شهر أعظم حرمة؟ قالوا: هـذا الشـهر. قال: فأيّ بلد أعظم حرمة؟ قالوا: هذا البلد. قال: فان دماءكم وأموالكـم عـليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يـوم تـلقونه. فـسألكم أعمالكم، ألا هل بلّغت قالوا: نعم. قال: اللهمّ اشهد ألا مَن كانت عنده أمانة فليؤدها فإنّه لا يحلّ دم امرئٍ مسلم ولا ماله إلّا بطيبة نفسه ولا ترجعوا بعدي كفار» .

ويحقّ عليه تجاه المسلمين العزة والسلام والعصمة ونقصد بالسلام أن يسلم المسلمون من يده ولسانه.

فقد روي عن رسول الله ﷺ في ذلك: **«المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه».**

ولا نعرف فيما نعرف من العلاقات الحضارية علاقة أقوى وأمتن، وفي نفس الوقت أرق من علاقة الولاء.

ويدخل في دائرة الولاء، هذه كل مَن يشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، فإذا أشهدها دخل في عصمة الولاء وعصم من المسلمين دمه وماله وعرضه.

وإذا انقطع ما بينهما من العصمة كان كل فريقٍ منهما أُمة ورحم الله زهير بن القين كان واعياً لهذه الحقيقة لمّا خاطب جيش بني أُمية يوم عاشوراء فقال لهم: «يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار. أنّ حقاً على المسلم لنصيحة أخيه المسلم؛ ونحن حتى الآن أُخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف فاذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أُمة

وأنتم أمة»[١].

وهذا وعي دقيق لحقيقة كبرى من حقائق هذا الدين، فإنّ العصمة إذا ارتفعت بين فريقين من المسلمين ووقع بينهما القتل، وبغى أحدهما على الآخر، كان كل فريق منهما أُمّة فإذا كانت إحداهما مرحومة كانت الأُخرى ملعونة لا محالة».

الطوائف الملعونة في زيارة (وارث):

نعود إلى الطوائف الثلاثة التي ورد اللعن عليهم في زيارة وارث وهم: القتلة، والمؤيدين لهم، والراضين من فعلهم والنص كما يلي:

«لعن الله أُمّةً قتلتكم..

ولعن الله أُمّةً ظلمتكم..

ولعن الله أُمّة سمعت بذلك فرضيت به».

والطائفة الأُولى محدودة بمن حضر كربلاء، في محرم سنة ٦١ هجرية.

والطائفة الثانية أوسع من الطائفة الأُولى لأنّها تشمل كلّ الذين دعموا وأيّدوا القتلة وظلموا الحسين عليه السلام، حضروا كربلاء يوم عاشوراء سنة ٦١ هجرية أم لم يحضروا كربلاء في هذا التاريخ.

والطائفة الثالثة أوسع هذه الطوائف جميعاً وتمتدّ على إمتداد التاريخ وتتصل حلقاتها إلى يومنا الذي نعيش فيه.

---

(١) تاريخ الطبرسي: ٦/ ٢٤٣.

ومن العجيب أنّ هذه الطائفة تستحق من اللعن والعذاب والبراءة ما تستحقه الطائفة الأولى والثانية.

وكان الحسين عليه السلام إذا طلب النصرة من أحد فلم يستجب له ينصحه أن يبتعد عن الموقع لئلا يسمع استغاثته، فلا يغيثه، وكان يقول لهم مَن سمع واعيتنا فلم يجبنا، كان حقاً على الله أن يكبه على منخره في النار.

وينعكس هذا الوعي للتاريخ وربط الحاضر بالماضي والأجيال بعضها ببعض في «زيارة عاشوراء» بصورة واضحة وبنصوص مؤثّرة. وفيما يلي: ننقل بعض هذه النصوص:

«لعن الله أمّةً أسّست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أمّةً دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتّبكم الله فيها، ولعن الله الممهّدين لهم بالتمكين من قتالكم، برئت إلى الله وإليكم منهم ومن أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم: إنّي سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم إلى يوم القيامة».

عاشوراء في خارطة الولاء والبراءة:

الحياة ساحة صراع، والصراع هو العمود الفقري للتاريخ.

ولا نستطيع أن نعرّف التاريخ بأفضل من هذا التعريف. فإنّ التاريخ هو الصراع وما عدا ذلك فهو على هامش التاريخ وليس من صلب التاريخ.

ولا أقصد بالصراع، الصراع الطبقي كما يقول ماركس، ولا نظرية التحدي والإستجابة في التنافس العسكري والإقتصادي والسياسي وإنّما

أقصد بالصراع الصراع بين التوحيد والشرك، وهو صراع الحقّ والباطل، وهذا هو بالذات جوهر التاريخ والعمود الفقري للتاريخ، وكل صراع آخر عدا هذا الصراع، فهو على هامش التاريخ، وليس من صلب التاريخ.

وهذا هو الصراع الذي به نهض بإمامته إبراهيم عليه السلام في التاريخ وتبعه في ذلك أنبياء الله ورسله والصالحون من عباده وساحة الحياة يتقاسمها هذا الصراع.

والناس، كلّ الناس، بين جبهتي هذا الصراع بدرجات ومواقع مختلفة، وتتداخل أطراف هذا الصراع وتتشابك الخطوط في الساحة حتى يصعب التمييز من الحق والباطل في ساحة الصراع.

ولابدّ للإنسان الذي يريد أن يلتزم جانب الحقّ في هذا الصراع من معرفة دقيقة لهذه الساحة ووعي وبصيرة نافذة لفرز الحقّ عن الباطل ولا يستطيع الإنسان أن يأخذ موقعه الصحيح في هذه الساحة المتشابكة من غير هذا الوعي والمعرفة.

والعامل الأهم في هذا الوعي هو التقوى.

﴿واتّقوا الله ويعلّمكم الله﴾[١].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجاً﴾[٢].

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾[٣].

(١) البقرة: ٢٨٢.
(٢) الطلاق: ٢.
(٣) الحديد: ٢٨.

و«عاشوراء» عامل دقيق للفرز بين الحق والباطل في هذه الساحة التي طالما اختلط فيها الحقّ والباطل.

ولست أدري أي سرّ أودع الله تعالى في هذا اليوم العجيب من أيام التاريخ، فقد كان عاشوراء منذ سنة ٦١ هجرية عاملاً أساسياً يشطر الناس إلى شطرين متميّزين شطر مع الحسين عليه السلام، وشطر ضد الحسين عليه السلام.

والشطر الأول هو الشطر الذي وقف على إمتداد التاريخ مع الأنبياء والمرسلين وهو شطر الصالحين من الناس.

والشطر الثاني هو الشطر الذي تصدّى لدعوة الأنبياء في التاريخ وهو شطر المجرمين والمفسدين من الناس.

ذلك إنّ الحسين وارث الأنبياء والمرسلين، ودعوة الحسين عليه السلام إمتداد لدعوة الأنبياء، ويزيد كان على نهج الطغاة في التاريخ، يرث عنهم بطغيانهم وطيشهم وصدّهم عن سبيل الله، وكبريائهم وخُيلاءهم.

وهذا الشطران من الناس منتشران على كل مساحة التاريخ، ولذلك فهما يصبغان كل التاريخ بصبغتهما الخاصة، فكل مَن ورث التوحيد وقيمه وكان مع الحق كان راضياً بموقف الحسين عليه السلام، وساخطاً على موقف بني أُمية في عاشوراء. كان مع الحسين، وعلى خط الأنبياء والمرسلين.

وكل مَن ورث بطر بني أُمية وثرائهم وإستكبارهم وخروجهم على حدود الله وأحكامه وصدّهم عن سبيل الله، وسخطهم على الحسين عليه السلام في عاشوراء فهو ضد الحسين عليه السلام وعلى خط الطغاة والمستكبرين في

التاريخ.

وعاشوراء، علامة فارقة بين هذين الشطرين من التاريخ والمجتمع، يشطر التاريخ والمجتمع إلى شطرين متميزين.

وكل أحداث الصراع بين الحق والباطل يمكن أن تكون علاقة فارقة بين الحقّ والباطل في التاريخ والمجتمع، ولكنّ الله تعالى خصّ عاشوراء، من بين أحداث كثيرة بهذه الميزة العظيمة الواضحة.

«الموقف» من هذين الشطرين «الولاء» و «البراء»، الولاء للشـرط الأول والبراءة للشطر الثاني والحسين عليه السلام هو العلامة الفارقة والفاصلة بين هذا الشطرين.

«إنـي سـلم لمـن سـالمكم وحـرب لمـن حـاربكم وولي لم والاكـم وعـدوّ لمن عاداكم».

وتمتد مساحة كل من هذين الشطرين على إمتداد التاريخ والمجتمع، وهي أوسع المساحات جمعاً في حياة الناس.

ذلك أنّ عامل «الرضا» و«السخط» يدخل في تلوين هـذه السـاحة بلون الولاء والبراءة والأولياء والأعداء.

الولاء والبراءة بالموقف والعمل وليس بالنيّة:

و«الولاء» و «البـراءة» ليس بـمعنى أن يـضمر الإنسـان الحبّ والبغض والإقبال والإدبار، وإنّـما هـما مـوقفان بكـلّ مـا فـي المـوقف من معنى.

ولربما يكون أصدق كلمة في التعبير عن هذين الموقفين هذه الجملة القوية والمؤثرة في زيارة عاشوراء: «إنّي سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم وولي لم والاكم وعدوّ لمن عاداكم».

ومساحة هذا «السلم» و«الحرب» من أولياء الحسين عليه السلام وأعداء الحسين عليه السلام ليست عاشوراء أو كربلاء فقط، وإنّما مساحة التاريخ والمجتمع.. وعامل هذا البسط والسعة هو «الرضا» و«السخط»، فنفهم من زيارة عاشوراء، هذا الوعي الدقيق للموقف من التاريخ والمجتمع.

«لعن الله أُمّةً قتلتكم ولعن الله الممهدين لهم بالتمكين».

وهاتان طائفتان تمتدان على مساحة واسعة من المجتمع. وتضيف زيارة وارث طائفة ثالثة إلى دائرة اللعن والبراءة.

«ولعن الله أُمّة سمعت بذلك فرضيت به».

فلا يبقى بعد هذه التوسعة مساحة من التأريخ أو المجتمع لا يشملها موقف «السلم» و«الحرب» و«الولاء» و«البراءة» الذي تحدثنا عنه.

«عاشوراء» إذن بطاقة إنتهاء إلى كلّ من هاتين الجبهتين المتصارعين على إمتداد التاريخ، جبهة الحقّ وجبهة الباطل، وجبهة التوحيد وجبهة الشرك.

والإنتهاء إلى كل من هاتين الجهتين يتمّ من خلال عاملين، هما «العمل» و«الرضا».

الرضا الضحل والرضا العميق:

هذا كلّ إذا كان «الرضا» صادقاً، فإن الأُمنية الكاذبة، والرغبة الكاذبة، والحبّ الضحل لا يُدخل الإنسان في دائرة الولاء ولا يخرجه عن دائرة البراءة.

ولا يكون الرضا السخط صادقين إلّا إذا اقترنا بالعزم والعمل.

أما عند ما يكون «الرضا» و «السخط» مجردين عن الموقف والعزم والعمل فلا قيمة لمثل هذا الرضا والسخط.

وكان الشاعر الفرزدق ﷺ دقيقاً في وعي هذه الحقيقة عندما سأله الحسين ﷺ عما وراءه في العراق بعد أن غادر الحسين ﷺ الحجاز إلى العراق في ذي الحجة سنة ستين هجرية، فأجابه على الخبير وقعت «قلوبهم معك، وسيوفهم عليك».

فإن القلوب إذا افترقت عن السيوف. فكانت القلوب في جانب الحسين ﷺ والسيوف في جانب بني أُمية وخاضعة لإرادتهم وسلطانهم.. فسوف لن يكون بوسع هذه القلوب.

أنْ تُخرج أصحابها من دائرة «أعداء الله» وتُدخلهم في دائرة «أولياء الله».

وقد وجدنا أنّ هذا الحبّ الضحل والضعيف الذي كان يضمره الناس في العراق يومئذٍ للحسين ﷺ لم يخرجهم من جبهة بني أُمية ولم يُدخلهم يومئذٍ في جبهة الحسين ﷺ .

وليس بوسعنا نحن أن نضع (ولاءنا) في التاريخ والمجتمع في مثل هذا الموضع الضحل من الرضا والسخط والحبّ والبغض، وإنّما نوالي الذين صدقوا في رضاهم وحبّهم لأولياء الله وصدقوا في سخطهم وبغضهم لأعداء الله.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا حبّ أوليائه والرضا بمواقفهم وبغض أعدائه، والسخط عليهم؛ وأن يرزقنا الصدق في هذا الرضا والسخط والحبّ والبغض جميعاً.

وارث الأنبياء

الشيخ محمد مهدي الآصفي

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله

السلام عليك يا وارث نوح نبي الله

السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله

السلام عليك يا وارث موسى كليم الله

السلام عليك يا وارث عيسى روح الله

السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله

السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين ولي الله[1]

الوراثة:

مفهوم (الوارث) من أبرز المفاهيم الواردة في هذه الزيارة، وقد عرّفت به الزيارة، ونقف هنا قليلاً عند كلمة (الوراثة).

الوراثة البايولوجية:

وهي انتقال الخصائص الشخصية والاجتماعية من جيل إلى جيل أو من فئة إلى فئة أو من شخص إلى شخص.

---

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ٧٢٠، وكامل الزيارات لابن قولويه: ٣٧٥.

الوراثة الحضارية:

وكما تنتقل بالوراثة الخصائص الحياتية والعضوية من جيل إلى جيل كذلك تنتقل الخصائص الحضارية والثقافية من جيل إلى آخر، ومن فئة اجتماعية إلى فئة اجتماعية أُخرى.

والوراثة والتكامل الحضاريان هما سُلَّم الكمال في تأريخ الإنسان، والإنسان يتكون بالتدريج، وتتكون فيه خصائصه ومكوناته خلال تأريخ طويل.

إنّنا عندما نلاحظ سلوكاً اجتماعياً معيناً أو نموذجاً معيناً من الناس فإنّنا نلاحظ فيه اختزالاً شديداً لتأريخ طويل من حياة الإنسان وحضارته وفكره وجهده ومعيشته، وكلّ منا يرث من حيث يشعر أو لا يشعر أجيالاً من أسلافه.

التأريخ الحضاري للإنسان:

فالإنسان: مجموعة من المواريث الحضارية التي ينقلها كلّ جيل إلى الجيل الذي يأتي من بعده، بعد أن يتلقاها من الجيل السابق وينمّيها ويطوّرها.

وهكذا تتحرك الحضارة الإنسانية عبر الأجيال، وتنتقل من جيل إلى آخر، وتنمو وتتطور بموجب قانون الوراثة. وتنتقل الأفكار والعقائد والتصورات والأعراف والتقاليد والأخلاق من جيل إلى آخر، ولا يمكن

أن تكون الحضارات مرّة واحدة وفجأة وخلال جيل واحد، وإنّما تتكون بصورة تدريجية عبر قرون طويلة وخلال التأريخ.

المواريث الحضارية بين الإسلام والجاهلية:

هناك مجموعتان من المواريث الحضارية يتوارثهما الناس جيلاً بعد جيل في جهتين متقابلتين: المواريث الحضارية الإلهية والمواريث الحضارية الجاهلية.

ومواريث الحضارة الربّانية في حياة الإنسان هي التي تلقاها الإنسان جيلاً بعد جيل من الأنبياء والمرسلين والصدّيقين، وترسّخت وتأصّلت خلال هذه المسافة الزمنية الطويلة في حياة الإنسان.

إنّ الإيمان بالله تعالى والتسليم المطلق له تعالى وتعبيد الناس لله عزّ وجلّ وتحكيم شريعته في حياة الإنسان، ورفض الطاغوت والتمرّد عليه وكسر شوكته وسلطانه ومجابهته بالنفس والمال وأفلاذ الأكباد ليس ظاهرة جديدة في حياة الإنسان، ولا تخصّ مرحلة من مراحل حياة هذا الإنسان، وإنّما هو ميراث اجتماعي ضخم يتوارثه الإنسان جيلاً بعد جيل في تأريخه، ويتصل هذا الميراث الحضاري بأنبياء الله ﷺ ، ويمتد في حياة الإنسان عبر جهاد الأنبياء ودعوتهم وتبليغهم له.

وفي حياة كل نبي من الأنبياء والمرسلين يزداد هذا الميراث الحضاري عمقاً وأصالة ونضجاً عبر الصراع المستمر القائم بين هاتين الحضارتين، وعبر الجهود التي يتحملها الأنبياء وأنصارهم في حمل

الدعوه وتبليغها إلى الناس؛ فتتبلور عبر هذه المسيرة الحضارية المفاهيم الربانية أكثر من ذي قبل، ويتأصّل الجهاد والدعوة إلى الله وأُصولها وأساليبها في حياة الإنسان في خطّ تصاعدي.

كما يصحّ العكس أيضاً فتتصاعد الذنوب والمعاصي والإسراف والتكبّر والاستكبار في الطرف الآخر، ويتعمق هذا الحقد في نفوسهم، وتتطور أساليبهم في مواجهة الدعاة إلى الله كلّما تتسع الحضارة الجاهلية، وتنمو وتتطور بصورة تصاعدية مستمرة.

الحسين عليه السلام وارث الأنبياء:

وسيّد الشهداء أبو عبدالله الحسين عليه السلام وارث هذه المسيرة الحضارية الربّانية الضخمة التي تمتد عبر حياة وجهود ودعوة الأنبياء والمرسلين والشهداء والصدّيقين عليهم السلام، وتأتي واقعة الطف امتداداً لهذا الجهاد التأريخي المستميت مع الجاهلية.

إنّ الحسين عليه السلام يوم الطف كان امتداداً واختزالاً وتأصيلاً لهذه الحركة الربّانية الممتدة في عمق التأريخ.

وتأتي الخصائص الحسينية التي جسّدتها واقعة الطف يوم عاشوراء امتداداً لهذه المواريث الحضارية والأخلاقية التي ورثها الحسين عليه السلام من أسلافه الطاهرين ـ الأنبياء والمرسلين والشهداء والصدّيقين ـ فالإخلاص لله والتضحية والبذل والعطاء والشجاعة والصمود والصرامة والصبر وعزّة النفس وإباء الضيم، والاستقامة في الدعوة إلى الله والتمرد على الطاغوت

والرفض والتسليم لله، وغير ذلك من الخصائص الحسينية التي تجسّدت في معركة الطف؛ ليست خصائص وظواهر فردية، وإنّما هي مواريث حضارية ورسالية عريقة ورثها الحسين عليه السلام من آبائه الطاهرين في هذه المسيرة الربّانية من آدم صفوة الله، ونوح نبي الله، وإبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، وعيسى روح الله عليه السلام، ومن المصطفى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن علي بن أبي طالب عليه السلام ولي الله.

فالحسين عليه السلام حصيلة هذه المسيرة الحضارية الإلهية ونتيجتها وثمرة هذه الشجرة المباركة.

وهذا هو سرّ أصالة وعراقة وقوّة وقعة الطف وما تجلّى فيها من خصائص الحركة الربّانية في التأريخ وسرّ إستمرار وبقاء هذه الوقعة في التأريخ.

كما أنّ الجيش الأُموي كان يرث في ساحة الطف خصائص الجاهلية من الظلم والاستكبار والتهافت على حطام الدنيا والقهر والقسوة والإرهاب والاضطهاد.

الشجرة الخبيثة والشجرة الطيّبة في كتاب الله:

وهذه المسيرة الحضارية هي الكلمة والشجرة الطيّبة التي تضرب أُصولها في عمق التأريخ، وتمتد فروعها إلى أعماق المستقبل، وهي ذات قرار مكين في الأرض، تؤتي ثمارها بإذن الله كل حين، وهذه الشجرة ثابتة قوية لا تهزّها الأعاصير والعواصف.

أما الحضارة الجاهلية فهي الكلمة الخبيثة والشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار، ورغم قدمها فهي ضعيفة ومهزوزة وعلى أرض رخوة وغير ذات قرار مكين تقتلعها الأعاصير وتلقي بها على قارعة الطريق، يقول تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾[1].

ومن العجب أنّ هاتين الحضارتين تمتدان معاً إلى أعماق التأريخ، إلى هابيل وقابيل، وتتكونان معاً عبر الأجيال، ومع ذلك فهما تختلفان في العراقة والأصالة والثبات، فالحضارة الإلهية أصيلة عريقة ذات جذور قوية ثابتة وراسخة لا تحركها الأعاصير الهوجاء، والحضارة الجاهلية مهزوزة ضعيفة مبتورة الجذور مالها من قرار. وهذا هو الفارق بين هاتين الحضارتين اللتين يتوارثهما الإنسان.

سرّ القوة والثبات في الشجرة الطيّبة:

والسرّ في ذلك: أن الحضارة الإلهية تستمد حيوتها من العقل والضمير والقلب، والحضارة الجاهلية تستمد وجودها من الأهواء والشهوات، تلك تستمد كيانها من الإيمان والعقيدة، وهذه تستمد وجودها من الأحقاد والأهواء، تلك تستمد وجودها من الإيمان والتسليم

(١) سورة إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٦.

لله، وهذه تستمد وجودها من اتباع الشيطان، تلك تختزل كل ما في حضارة الإنسان من قيم وأخلاق وفضائل، وهذه تختزل كل ما في تأريخ الإنسان من أحقاد وضغائن وشهوات.

وهذا الفارق هو الذي يهب الأُولى القوة والمتانة والثبات في وجه الأعاصير والهزات والابتلاءات، ويسلب الثانية القرار والثبات، ويدعها مهزوزة غير ذات قرار.

ولذلك فإنّ الآية الكريمة تعقّب على هذا الاختلاف في الأُصول والجذور بقوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[1].

فأُولئك يمنحهم الله الثبات في القول في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهؤلاء يسلبهم الله تعالى الثبات والهدى ويدعهم في الضلالة.

لماذا التأكيد لمفهوم الوارث في زيارة الحسين عليه السلام ؟

لقد ورد في هذا المفهوم في أكثر من زيارة، وكأنّ هناك عناية خاصة لدى أهل البيت عليهم السلام في إبراز هذا المفهوم في حياة الحسين عليه السلام؛ ذلك لأنّ معركة الطف من أصدق مشاهد صراع الحضارات في التأريخ، لقد جسّد الحسين عليه السلام الصراع بين الحق والباطل في كربلاء، فكانت معركة الطف تبلوراً حقيقياً لهذا الصراع التأريخي بين الحق والباطل، ولذلك نجد في هذه المعركة أنبل القيم والمفاهيم الربّانية في طرف، وأخس الرذائل

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٧.

والأهواء الشيطانية في طرف آخر، ويأتي تأكيد الوراثة في زيارة الحسين عليه السلام:

أولاً ـ للتنبيه على عراقة وأصالة الجهاد الحسيني، وأنه ليس ظاهرة فردية في حياة الإمام الحسين عليه السلام، وإنّما هي خاصية عريقة للمسيرة الإلهية على وجه الأرض، ورثها الحسين عليه السلام عمّن كان قبله من الأنبياء والأئمة الدعاة إلى الله، وهذا هو سرّ قوة وصلابة الموقف الحسيني في كربلاء رغم عدم التكافؤ الواضح بين معسكر الحسين ومعسكر بني أمية في كربلاء.

وثانياً ـ إذا كانت هذه الحركة بهذه الدرجة من الأُصالة والعراقة والعمق والقوة والمتانة التأريخية فلابدّ أن تنتصر على الجبهة المناوئة التي كان يتزعمها الحاكم الأُموي يزيد بن معاوية.

وليس الانتصار هنا بمعنى الانتصار العسكري في ساحة القتال، فقد كان الجيش الأُموي هو المنتصر في ساحة القتال إذا فسّرنا الانتصار بهذا المعنى الظاهري.

وإنّما الانتصار هنا بمعناه الرسالي وانتصار خط على خط، ولاشك أنّ المعسكر الحسيني هو المعسكر المنتصر بهذا المعنى من النصر، فإنّ العمق التأريخي والأُصالة والعراقة والمتانة التي يملكها هذا الخط لابدّ وأن يؤهله لنصر الله تعالى.

إنّ المعركة بين هاتين الجبهتين في كربلاء كانت معركة ميدانية وحضارية بالمعنى العميق لهذه الكلمة، والفئة التي تنتصر هي التي تثبت

أمام الزوابع والأعاصير، وهي الفئة التي تستمد دوافعها من العقيدة والإيمان، وتمتد جذورها إلى أعماق التاريخ في حياة الأنبياء والمرسلين وجهادهم ودعوتهم، وهذا هو سرّ انتصار الثورة الحسينية.

ثالثاً ـ لا تتوقف هذه المعركة عند وقعة الطف، فهي حلقة واحدة من سلسلة من المواقف الجهادية والتضحيات والبذل والعطاء في سبيل الله، تبدأ منذ أيام نوح‌ﷺ وقبله، وتمتد إلى أن يأذن الله تعالى بالاضمحلال الكامل للجاهلية على وجه الأرض.

وسرّ دوام واستمرار هذه الحركة هو أصالتها وعراقتها وامتدادها العميق في الحضارة الإنسانية الصالحة، وليست هذه الحركة نبتة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار، وإنّما هي شجرة طيّبة ممتدة الجذور والأصول إلى أعماق تأريخ الإسلام والإيمان.

وكما ورث الحسين‌ﷺ هذا الميراث من أبيه المرتضى‌ﷺ وجدّه المصطفى‌ﷺ وأسلافه الطاهرين من الأنبياء المرسلين؛ فإن أجيال المؤمنين والمجاهدين والدعاة إلى الله تعالى سوف يرثون من الحسين هذا الميراث، ويتحركون على خطاه ﷺ ، ويرثون منه الخصائص والمواريث التي تجلّت يوم عاشوراء في كربلاء.

وهذا هو سر استمرارية الثورة الحسينية في كربلاء.

آلية الارتباط ومادة الارتباط:

الحسين وارث الأنبياء والصالحين عليهم السلام ونحن ورثة الحسين عليه السلام، وميراثنا الذي نرثه من الحسين هو مواريث الأنبياء، وواسطة العقد في هذا الارتباط هو يوم الطف، فلابدّ لهذا الارتباط من أن يمر بمحطّات تفعيل في التاريخ، تحافظ على حرارة الخط وحيويته لئلّا تضعف وتبرد، ويوم الطف عقد الواسطة وحلقة الارتباط، ولابد من هذه الحلقات في التاريخ لئلا ينقطع الخط.

وهنا نواجه سؤالين :

الأوّل: كيف نرتبط وماهي آلية الارتباط؟

الثاني: ماهي المواريث التي نرثها من الأنبياء عبر يوم الطف؟

والسؤال الثاني غير السؤال الأوّل.

١ ـ آلية الارتباط:

مأساة الطف هي حلقة الارتباط، ولولا أمثال هذه الأيام لانقطع الخط، فهي تستقطب عواطف الجمهور وأحاسيسهم وحبّهم و... وهذه العواطف والمشاعر هي آلية الارتباط والمحافظة على قوة وحيوة وفاعلية الارتباط.

والإحياء السنوي لذكرى الحسين عليه السلام والبكاء وإقامة مجالس العزاء، وخروج مواكب العزاء في الشوارع ماهي إلّا وسائل تعبير عن هذه العاطفة القوية التي يشعر بها المسلمون تجاه سيد الشهداء عليه السلام، ولابدّ من

هذه العاطفة ولابدّ من التعبير عن هذه العاطفة للإبقاء على ارتباط الأُمّة بكوكبة شهداء كربلاء، ولولا هذا الزخم العاطفي القوي لم تبق الثورة قوية وفاعلة في وجدان الأُمة إلى اليوم، ولذلك أكّد أهل البيت عليهم السلام أهمية إقامة مجالس العزاء وتشجيع المسلمين على البكاء على مصاب الحسين عليه السلام... ولكن ذلك كلّه ـ ورغم أهميته الكبيرة ـ ليس هو الميراث.

إنّ طريقة التعبير عن عواطفنا تجاه مصاب الحسين عليه السلام شيء، ومادة الارتباط والمواريث التي نرثها من الحسين عليه السلام شيء آخر، ولئن كانت الأُولى تُمدّ للثانية وتؤهل الإنسان لها فهي بالتأكيد غير الثانية، وهذه العواطف والمجالس وسيلة وأداة لتحقيق وتفعيل تلك المواريث في حياتنا وتاريخنا، وإن كان بعض المؤمنين يتصورون أن الارتباط بالحسين عليه السلام هو في إقامة المجالس والبكاء وخروج المسيرات الحسينية.

إنّ زيارة (وارث) تبيّن لنا أن واقع وحقيقة الارتباط بالحسين عليه السلام بالمواريث التي نرثها منه عليه السلام، كما أن ارتباط الحسين عليه السلام بالأنبياء بالمواريث التي ورثها من آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام والمصطفى صلى الله عليه وآله والمرتضى عليه السلام، وهذا هو ميراث الحسين عليه السلام من الأنبياء عليهم السلام وميراثنا من الحسين عليه السلام، فكما ورث أبو عبدالله الحسين عليه السلام مواريث الدعوة والجهاد من سلفه الطاهر كذلك نرث نحن هذا الميراث الإلهي الكبير من الحسين.

وهي هي حقيقة الارتباط وحقيقة الوارثة.

ويوم الطف هو واسطة العقد بيننا وبين هذه المسيرة الحضارية

الله محتسباً حتى اليقين، وقريب منه في مخصوصة ليلة العيدين ومخصوصة ليلة عرفة ويومها.

وبهذه الطريقة الإيحائية الرائعة تجعل هذه الزيارات الزائر في الأجواء الرسالية لكربلاء، والتي ورثها الحسين عليه السلام عن سلفه الطاهرين عليهم السلام وأورثها لخلفه الذين يأتون من بعده على هداه وخطه.

يوم عاشوراء
في اللغة والتاريخ والحديث

الشيخ محمدهادي اليوسفي الغروي

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وردنا سؤال من الجزائر حول الأساس الذي بنى عليه بعض المسلمين اعتقادهم بصيام عاشوراء «يوم مقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الكرام» والاحتفال به كأحد أعياد المسلمين؛ في الوقت الذي يحزن فيه شطر عظيم من المسلمين، لاسيما من أتباع أهل البيت عليهم السلام في جميع أنحاء العالم، ويقيمون شعائر كبرى تخليداً لذكرى هذه الثورة المأساوية التي أراق فيها طغاة بني أُمية دماء العترة الطاهرة لنبي الإسلام العظيم محمد صلى الله عليه وآله في أرض كربلاء المقدسة، فما هو الحق في ذلك؟

عاشوراء، على وزن فاعولاء مختومة بالألف الممدودة، وتصح بالألف المقصورة بلا همزة: عاشورى[1] فهي صفة مؤنثة لليلة العاشرة من الشهر القمري العربي، وغلبت على الليلة العاشرة من أول الشهور القمرية العربية: محرم الحرام، ولذلك لا يوصف بها اليوم فلا يقال: اليوم العاشوراء، وإنما يقال: يوم عاشوراء بنحو الإضافة، بحذف الليلة، والتقدير: يوم ليلة عاشوراء، والموصوف الليلة محذوف.

ولا ريب في استعمال الكلمة واشتهارها في ليلة العاشر من محرم

---

(١) مجمع البحرين: مادة عشر.

الحرام ذكرى شهادة الإمام سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين بن علي عليه السلام.

وقد نص اللغويون على أنها «اسم إسلامي»[١] «لم يعرف في الجاهلية»[٢]

وعليه فكيف نفسر ما جاء في الخبر؟

١ـ عن عائشة قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله يصومه في الجاهلية، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه[٣].

٢ـ عنها قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبي يصومه: فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما نزل رمضان، كان رمضان الفريضة. وترك عاشوراء فكان من شاء صامه ومن شاء لم يصمه[٤].

وكأنها عللت صومهم فيه بخبر آخر:

٣ـ عنها قالت: كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان، وكان يوماً تستر فيه الكعبة، فلما فرض الله رمضان قال رسول الله: من شاء أن يصومه فليصمه، ومن شاء أن يتركه فليتركه[٥].

فكيف التوفيق بين هذا وبين ما مر من نصوص اللغويين على أن اسم

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣ / ٢٤٠.
(٢) الجمهرة في لغة العرب: ٤ / ٢١٢.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم.
(٤) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الحج، الباب ٤٧.

عاشوراء اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية؟ وإذا كانوا يصومونه لأنه كان يوماً تستر فيه الكعبة، فلماذا اضيف الى وصف الليلة «عاشوراء» كما مر؟ ولم تكن الكعبة تستر في الليل قطعاً. أم هل وصفوا اليوم المذكر بصفة التأنيث؟ فالعجب من العرب كيف غاب عنهم هذا؟

والجاهلية هي عهد ما قبل الإسلام، فإذا كان النبي يصوم يوم عاشوراء في الجاهلية فلماذا تركه بعد الإسلام؟ فلو كان تركه لمخالفة المشركين فلماذا رجع اليه بعد الهجرة؟ هذا ما روي عن عائشة وتلك هي التساؤلات التي تفرض نفسها بلا جواب شافٍ كافٍ.

وجاء في مجموعة ثانية:

١ـ عن ابن عباس قال: قدم النبي المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال:

ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدوّهم فصامه موسى.

قال: أنا أحق بموسى منكم. فصامه وأمر بصيامه[1]

٢ـ عنه قال: إن النبي لما قدم المدينة كانوا يصومون يوماً «يعني يوم عاشوراء» فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو نجّى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون، فصام موسى شاكراً لله. فقال: أنا أولى بموسى منهم. فصامه وأمر بصيامه.[2]

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم: ٣٠.
(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء: ٦٠.

٣ـ عنه قال: لما قدم النبي المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء فسئلوا عن ذلك فقالوا: هذا هو اليوم الذي أظهر الله فيه موسى وبني أسرائيل على فرعون، ونحن نصومه تعظيماً له. فقال رسول الله: ونحن أولى بموسى منكم. فأمر بصومه[١].

٤ـ عنه قال: قدم النبي المدينة واليهود تصوم عاشوراء، فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون. فقال النبي لأصحابه: أنتم أحق بموسى منهم، فصوموا[٢].

٥ ـ عنه قال: لما قدم رسول الله المدينة واليهود تصوم عاشوراء، فسألهم، فقالوا: هذا اليوم الذي ظهر فيه موسى على فرعون. فقال النبي: نحن أولى بموسى منهم[٣].

٦ـ عن أبي موسى الأشعري قال: دخل النبي المدينة وإذا أُناس من اليهود يعظّمون عاشوراء ويصومونه، فقال النبي: نحن أحق بصومه، فأمر بصومه[٤].

٧ـ عنه قال: كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيداً، فقال النبي: فصوموه أنتم[٥].

هذا ما روي عن ابن عباس وأبي موسى الأشعري من قبل المسلمين،

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، الباب ٥٢.
(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة يونس.
(٣) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة يونس.
(٤) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، الباب ٥٢.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الصوم: ٢٠.

وليس فيه أن اليهود كانوا يسمّونه عاشوراء، فلعلّه كان صوم اليهود إذ ذاك موافقاً لليوم العاشر من المحرم. فما واقع الحال عند اليهود قديماً واليوم؟

جاء في دوائر المعارف البريطانية والانجليزية. والفرنسية والألمانية: أن احتفال اليهود بنجاة موسى وبني اسرائيل يمتد سبعة أيام وليس يوماً واحداً فقط.

أمّا صوم اليهود: فهو في اليوم العاشر، ولكنه ليس العاشر من المحرم، بل من شهرهم الأول: تشري، ويسمونه يوم «كيبور» أي يوم «الكفارة» وهو اليوم الذي تلقى فيه الاسرائيليون اللوح الثاني من ألواح الشريعة العشرة، ولم يكن ذلك يوم نجاتهم من فرعون، بل بعد نجاتهم من فرعون، وميقات موسى ﷺ وابتلائهم بعبادة العجل الـهاًلهم، ورجوع موسى من الميقات اليهم، وإعلان اشتراط قبول توبتهم بقتل بعضهم لبعض، وبحصولهم على العفو من رفقائهم؛ ولذلك فقد خصّص اليوم قبل «كيبور» بتبادل العفو فيما بينهم، وخصّص يوم «كيبور» للصيام والصلاة والتأمل كأقدس أيام اليهود.

والتقويم اليهودي المستعمل اليوم عندهم شهوره قمرية، ولذلك فعدد أيام السنة في السنوات العادية ٣٥٥ أو ٣٥٤ أو ٣٥٣ يوماً. ولكنهم جعلوا سنواتهم شمسية بشهور قمرية، ولذلك فلهم سنوات كبيسة، ففي كلّ سنة كبيسة يضاف شهر بعد آذار الشهر السادس باسم آذار الثاني فيكون الشهر السابع، ويكون نيسان السابع الشهر الثامن، وعليه تكون

أيام السنة الكبيسة ٣٨٥ أو ٣٨٤ أو ٣٨٣ يوماً[١].

هذا هو التقويم اليهودي المستعمل لديهم قديماً وحتى اليوم، ولم ينقل عنهم أي تقويم غيره. وتلك احتفالاتهم بنجاتهم من الفراعنة تمتد أسبوعاً لا يوماً واحداً فقط.

وليس لهم فيه يوم صوم. ولهم يوم صوم هو يوم عيد «كيپورهم» العاشر من شهرهم الأول تشري، ولكنه يوم كفارتهم وقبول توبتهم، وليس يوم نجاتهم من الفراعنة. ولا ننكر وقوع توافق بين تقويمين في زمان ما، ولكنه قد يقع في سنة واحدة فقط بعد عشرات بل مئات السنين، وعلى فرض وقوع توافق بين يوم «كيپور» العاشر من شهر تشري، وبين يوم عاشوراء العاشر من شهر محرم الحرام بعد تسعة أشهر من قدوم النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة، فلماذا لم يذكر يوم «كيپور» وإنما اطلق عليه يوم عاشوراء؟ وما وجه إطلاق استحباب صوم يوم عاشوراء العربي الاسلامي عوضاً عن عيد «كيپور» العبري اليهودي، مع القول بأولوية النبي والمسلمين من اليهود بموسى عليه السلام، مع أن نجاته وإياهم لم تكن لا في عيد «كيپور» ولا في يوم عاشوراء؟

ويلاحظ بخصوص خبري أبي موسى الأشعري:

إنه في الأول يقول: «وإذا أناس من اليهود يعظّمون عاشوراء ويصومونه، فقال النبي: نحن أحقّ بصومه. فأمر بصومه» بلا ذكر لوجه تعظيمهم ليوم عاشوراء وصومه، ولا ذكر لوجه أحقية المسلمين بصومه.

---

(١) دوائر المعارف البريطانية الانجليزية والفرنسية والألمانية.

وفي الثاني يقول: «كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيداً. قال النبي: فصوموه أنتم»

بلا ذكر لوجه كون يوم عاشوراء عيداً عندهم، ولا ذكر لوجه أمره ﷺ بصومه، وكأنه يقابل بين الأمرين: بين صوم المسلمين فيه وعدّه اليهود عيداً دون الأولوية.

ويلاحظ في الخبرين أمران آخران أيضاً:

الأول: قال في الأول: «وإذا أناس من اليهود يعظّمون عاشوراء، وقال في الثاني:

«كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيداً» فعلّق وصف العيد وتعظيم اليهود على يوم عاشوراء، ولا وجه لذلك. وقد مر نص اللغويين على أنّه اسلامي لم يعرف في الجاهلية أي قبل الإسلام، وعليه فكيف عرف اليهود عاشوراء قبل الإسلام؟

الثاني: أنّه قال في الثاني: «قال النبي: فصوموه أنتم» وقال في الأول: «فقال النبي: نحن أحقّ بصومه. فأمر بصومه» وجوباً أم استحباباً؟ وظاهر الأمر الوجوب كما قالوا: وعليه فيخلو الخبر عن ذكر مدى هذا الأمر الى متى كان أو يكون؟ وكذلك تخلو منه أخبار ابن عباس.

وذكرت المدى أخبار عائشة: «فلما فرض الله رمضان قال رسول الله: من شاء أن يصومه فليصمه، ومن شاء أن يتركه فليتركه».

وقد ذكروا بلا خلاف أن فرض الله صيام شهر رمضان كان بنزول القرآن به لمنتصف السنة الثانية للهجرة، أي أنه ﷺ لم يكن بين هجرته

وبين نزول القرآن بفرض رمضان غير عاشوراء يوم واحد، وإذا كان قد أمر بصيامه مواساة لموسى ﷺ شكراً لنجاته على قول يهود المدينة له بعد هجرته جواباً عن سؤاله عن صومهم يوم عاشوراء، اذن فعاشوراء الأُولى قد مضت، ولم تأت الثانية ليصوموا يومها؛ حتّى نزل القرآن بفرض رمضان، فما معنى: «كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان»؟

وكذلك ما عن عائشة أيضاً قالت: كان عاشوراء يصام قبل رمضان؛ فلمّا نزل رمضان من شاء صام ومن شاء أفطر[1]

وعنها قالت: كان رسول الله أمر بصيام عاشوراء، فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر[2] وكأنّه أمر بالصيام فقط ولم يصوموه.

وهناك خبر آخر عن حميد بن عبد الرحمن أنّه سمع معاوية بن أبي سفيان على منبر يوم عاشوراء عام حج يقول: يا أهل المدينة، أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله يقول: هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب الله عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر[3]

فهذا يتضمن تنكراً لصيام قريش في الجاهلية، ولصيام اليهود كذلك، وينص من أول يوم على الندب والاستحباب دون الوجوب. ولكن يلاحظ عليه أمران:

الأوّل: أنّه يتضمن اعترافاً بعد علم علماء أهل المدينة بالحديث عن رسول الله !

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم ٣٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصوم: ٣٠

الثاني: أفكان هذا قبل الهجرة؟ أم بعدها؟ أم بعد فتح مكة؟ فمتى سمعه معاوية؟! واذا كان لليهود تقويم عبري يخصّهم يختلف تمام الاختلاف عن التاريخ العربي القمري، واذا لم يكن يوم عاشوراء يوم نجاة موسى ﷺ وبني إسرائيل من فرعون، فلا يصح ما جاء في بعض كتب الحديث مما نسب الى رسول الله ﷺ من أخبار في عاشوراء، تتضمن أنه يوم نجاة موسى وبني اسرائيل من الفراعنة فهو يوم عيد الخلاص، والى جانبه ذكريات أخرى منها: أنه يوم خلق الأرض والجنة وآدم ﷺ فهو عيد الخلق، وهو يوم نجاة نوح من الغرق، ونجاة إبراهيم من الحرق.

هذا، وقد روى الشيخ الفقيه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي، بسنده عن نصر بن مزاحم المنقري (م ٢١٢ هـ) عن عمر بن سعد، عن أرطاة بن حبيب، عن فضيل الرسان، عن جبلة المكية قالت: سمعت ميثم التمار يقول: «والله لتقتلن هذه الأمة ابن نبيها في المحرم لعشر مضين منه، وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة، وأن ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم بذلك عهده الى مولاي وأمير المؤمنين صلوات الله عليه.

قالت جبلة: فقلت: يا ميثم، وكيف يتخذ الناس ذلك اليوم الذي يقتل فيه الحسين بن علي ﷺ يوم بركة؟

فبكى ميثم، ثم قال: سيزعمون - بحديث يضعونه - أنه: اليوم الذي تاب الله فيه على آدم ﷺ وإنما تاب الله على آدم في ذي الحجة. ويزعمون أنه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح على الجودي، وإنما استوت على الجودي يوم الثامن عشر من ذي الحجة.

ويزعمون أنه اليوم الذي فلق الله فيه البحر لبني اسرائيل. وإنما كان

ذلك في شهر ربيع الأول[١].

ويزعمون أنّه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داود. وإنما قبل الله توبته في ذي الحجة. ويزعمون أنه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس من بطن الحوت. وإنما أخرجه الله من بطن الحوت في ذي القعدة.

ثم قال ميثم: يا جبلة، اذا نظرت الى الشمس حمراء كأنه دم عبيط فاعلمي أن سيدك الحسين قد قتل[٢].

ثم أن أخبار ابن عباس وأبي موسى الأشعري دلت على: أن رسول الله سأل اليهود عن صومهم ذالك اليوم ثم قال: أنا - أو - نحن أحق - أو - أولى منكم - أو - منهم، فصامه وأمر بصيامه. وليس فيها أنّه أفاد من وحي الله أو من علمه الإلهي، أي أنّه اعتمد على ما قال اليهود هنا، وقد قال الله تعالى: ﴿ولكم في رسول الله اسوة حسنة﴾[٣] فهنا سؤالان:

أولاً: هل يجوز للفقهاء أن يتأسوا برسول الله - على زعم هذه الأخبار - فيعتمدوا على قول أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس بأنّه عن أنبيائهم؟

ثانياً: إن نصوص هذه الأخبار تعلّل صوم الرسول وأمره بصوم ذالك اليوم بأننا أحق أو أولى من اليهود بموسى عليه السلام، فهو حكم منصوص العلة كما يقول الفقهاء، وقياس الحكم المنصوص على علته يجوزه حتى من لا

---

(١) وهذا يتفق مع ظاهر أخبار ابن عباس وأبي موسى الأشعري في أنّه صلى الله عليه وآله لما قدم المدينة وقدمها في ربيع الأوّل بلا خلاف رأى اليهود يصومون هذا اليوم ويقولون: إنّه يوم نجاة موسى وبني إسرائيل من فرعون والغرق، لا يوم عاشوراء.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ١١٠ ط بيروت.

(٣) الأحزاب: ٢١.

يجوّزه سائر أقسام القياس؛ فهل يجوز لنا أن نأخذ بقياس هذه العلة المنصوصة هنا فنقول: كلّ ما كان في الشرائع السابقة فنحن أحق أو أولى به فنفعله؟ وإلّا، فما وجه الفرق؟

نعم، في سبيل إطفاء شعلة عاشوراء، ودفن قضية كربلاء، لجأوا الى اختلاق أخبار؛ جعلوها أحاديث ونسبوها الى جدّ الحسين ﷺ، ولكن عدم التنسيق في وسائل الإعلام لهؤلاء الحكام جعلها متخالفة متضاربة كما تبين أعلاه.

أجل، أتوا بهذه الأخبار الملفّقة والكثيرة العدد بغية دفن قضية كربلاء، قضية ما أعظمها وأعظم خطرها على الإسلام! ولكن فشلوا، وبقيت قضية كربلاء على ما هي عليه، استحلال دم الحسين بن علي ﷺ.

وقد أصاب الشريف الرضي ﷺ في وصف هذا الأمر اذ قال:

كانت مآتم بالعراق تعدها أموية بالشام من أعيادها
جعلت رسول الله من خصمائها فلبئس ما ادخرت ليوم معادها
نسل النبي على صعاب مطيها ودم النبي على رؤوس صعادها[1]

بل قال غير المعترف بإمامة الحسين ﷺ أبو العلاء المعري:

وعلى الافق من دماء الشهيد ين علي ونجله شاهدان
فهما في أواخر الليل فجرا ن وفي أوليائه شفقان
ثبتا في قميصه ليجيئا الحشر مستعدياً الى الرحمان
بابن مستعرض الصفوف ببدر ومبيد الأحزاب من غطفان

---

(١) ديوان الشريف الرضي، حرف الدال، والدر النضيد، كذلك أيضاً.

دراسة
حول صوم عاشوراء

نجم الدين الطبسي

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عاشوراء في اللغة:

عاشوراء على ـ وزن فاعولاء ـ ممدوداً ومقصوراً، مجرداً عن لام التعريف، هو اليوم العاشر من المحرّم، ويقال التاسع منه[1]، وهو إسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية[2]. وهو مشتق من العشر الذي هو إسم للعدد المعين، وقيل إنّه معدول عن عاشرة للمبالغة والتعظيم. وقيل مأخوذ من العِشر ـ بالكسر ـ في أوراد الإبل تقول العرب: وردت الإبل عشراً إذا وردت اليوم التاسع، وقيل: هو في الأصل: صفة لليلة العاشر لأنّه مأخوذ من العشر الذي هو إسم الفعل، واليوم مضاف إليها، فإذا قيل: يوم عاشوراء فكأنه قيل يوم الليلة العاشرة[3].

عاشوراء وجذورها التأريخية:

يظهر من بعض الروايات أنّ عاشوراء ممّا عرّفه الله لبعض

(1) تهذيب اللغة: ١/٩٠٤، لسان العرب: ٩/٢١٨، القاموس المحيط: ٢/٨٩.
(2) الجمهرة في لغة العرب: ٤/٢١٢.
(3) عمدة القاري: ١١/١١٧، الغريبين: ١/٢٥٤، معيار اللغة: ١/٤٦٥، و٢/٨٨ تاج العروس: ٣/٤٠٠، فتح الباري: ٤/٢٨٨، إرشاد الساري: ٤/٦٤٦.

الأنبياء عليهم السلام كما في حديث مناجاة موسى عليه السلام وقد قال: «يارب لِمَ فضلت أُمة محمد صلى الله عليه وآله على سائر الأُمم؟ فقال الله تعالى:.. فضّلتهم لعشر خصال.. وعاشوراء...»[1]

حكم صوم عاشوراء

تارة الكلام في حكمه قبل نزول صوم رمضان وأُخرى: حكمه بعد لك.

أما الأوّل: فقد اختلف فقهاؤنا في أنّه هل كان واجباً أم لا؟ فعن المحقق النجفي في الجواهر، والمحقق القمّي في الغنائم والسيّد الطباطبائي في المدارك[2]، هو الأوّل، كما أنّ ذلك هو مفاد روايتنا أيضاً فعن الباقر عليه السلام كان صومه قبل شهر رمضان، فلمّا نزل شهر رمضان تُرِك[3].

وأمّا باقي المذاهب الإسلاميّة، فعن أبي حنيفة، إنّه كان واجباً، وأكثر أهل السنّة على عدم الوجوب ـ كما عن النووي ـ وللشافعي قولان، ولأحمد[4] روايتان وبعض فقهائنا اكتفى بنقل الخلاف من دون ترجيح

(١) مجمع البحرين: ٣/٥-٤، أُنظر حاشية الجمل: ١/٣٤٧.

(٢) جواهر الكلام: ١٧/١٠٧، غنائم الأيام: ٦/٧٨، المدارك: ٦/٢٦٨.

(٣) وسائل الشيعة: ١٠/٤٥٩ الباب ٢١ حديث ١، الكافي: ٤/١٤٦، ح ٤، التهذيب: ٤/٣٠١ ح ٩١٠، الاستبصار: ٢/١٣٢، من لا يحضره الفقيه: ٢/٥١ ح ٢٢٤، مرآة العقول: ١٦/٣٦٠، صوم عاشوراء بين السنّة والبدعة: ١٧.

(٤) عمدة القاري: ١١/١١٨، المجموع: ٦/٣٨٦، المغني: ٣/١٧٤، بدائع الصنائع: ٢/٢٦٢، إرشاد الساري: ٤/٦٤٩، فتح الباري: ٤/٢٩٠، شرح الزرقاني: ٢/١٧٨.

جانب من الإختلاف كالعلّامة الحلّي في التذكرة والمنتهى، والمحقق السبزواري في الذخيرة[1].

الأمر الثاني: حكمه بعد نزول صوم رمضان فهو مختلف فيه روايةً ورأياً عند الفريقين: أما عندنا: فالروايات على طائفتين منها ما تنهى عن الصوم في يوم عاشوراء وأنّه صوم متروك أو منهيّ عنه أو أنّه بدعة وماهو يوم صوم، أو أنّه صوم الأدعياء أو أنّ حظّ الصائم فيه هو النار، أو أنّ النبيّ ﷺ ماكان يصومه.

وطائفة أُخرى معارضة لها، وأنّ صومه كفارة سنة، أو أنّ النبيّ ﷺ كان يأمر الصبيان بالأمساك.

وأما روايات العامّة: فهي أيضاً عندهم مختلفة ففي بعضها أنّه ماكان النبيّ ﷺ يصوم يوم عاشوراء أو أنّه لم يأمر به بعد نزول صوم رمضان كما في البخاري ومسلم وسائر السنن. وبعضها: تفيد الإستحباب والتأكيد عليه، وقد جمعها الهيثمي في زوائده وضعّف وناقش في كثير من أسانيدها.

تفصيل البحث في الروايات:

أما الموافقة ـ من رواياتنا ـ فهي تسع[2]:

---

(١) منتهى المطلب: ٢/٦١١، تذكرة الفقهاء: ٦/١٩٢، ذخيرة المعاد: ٥٢٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢/٥١ ح ٢٢٥.

١ ـ صحيحة زرارة، عن الباقر عليه السلام كان صومه قبل شهر رمضان فلما نزل شهر رمضان ترك.

٢ ـ رواية زرارة عن الباقر والصادق عليهما السلام: «لا تصم في يوم عاشوراء»[١] ولكن في السند تأمل[٢].

٣ ـ رواية الحسن بن علي الوشاء، عن الباقر عليه السلام: «صوم متروك بنزول شهر رمضان، والمتروك بدعة»[٣] وهو قويٌّ سنداً عند المجلسي الأول[٤].

٤ ـ عن الصادق عليه السلام أما أنّه صومُ يومٍ ما نزل به كتابٌ ولا جرت به سنّةٌ إلّا سنّة آل زياد بقتل الحسين بن علي عليهما السلام[٥].

٥ ـ رواية عبدالملك عن الصادق عليه السلام: «أمّا يوم عاشوراء فيوم أُصيب فيه الحسين صريعاً بين أصحابه وأصحابه صرعى حوله ـ عراة ـ أفصوم يكون في ذلك اليوم، وما هو يومُ صومٍ.. فمن صامه أو تبرّك به حشره الله مع آل زياد ممسوخ القلب، مسخوط عليه...»[٦].

وهي ضعيفة السند عند البعض[٧].

---

(١) الكافي: ٤/١٤٦، ح ٣، وسائل الشيعة: ١٠/٤٦٢، ب ٢١، ح ٦.
(٢) مرآة العقول: ١٦/٣٦٠.
(٣) الكافي: ٤/١٤٦ ح ٤، وسائل الشيعة: ١٠/٤٦١ الباب ٢١، ح ٥. التهذيب: ٤/٣٠١ ح ٩١٠، الاستبصار: ٢/١٣٤.
(٤) روضة المتقين: ٣/٢٤٧.
(٥) الكافي: ٤/١٤٦ ح ٤.
(٦) الكافي: ٤/١٤٧ ح ٧، وسائل الشيعة: ١٠/٤٥٩ ح ٢.
(٧) مرآة العقول: ١٦/٣٦٢.

٦ ـ رواية جعفر بن عيسى قال: سألت الرضا عليه السلام عن صوم عاشوراء، وما يقول الناس فيه؟ قال: عن صوم ابن مرجانة تسألني؟ ذلك يومٌ صامه الأدعياء لمقتل الحسين، وهو يتشاءم به آل محمّد ويتشائم به أهل الإسلام ولا يُصام ولا يتبرّك به.. فمن صامها أو تبرّك بها لقي الله تبارك وتعالى ممسوخ القلب وكان حشره مع الذين سنّوا صومها والتبرك بها[١]. وقد عبّر المجلسي الأوّل عن الحديث بالقويّ[٢].

وقال المجلسي الثاني ذيل الرواية: أمّا صوم يوم عاشوراء فقد اختلفت الروايات فيه والأظهر عندي، أنّ الأخبار الواردة بفضل صومه محمولة على التقيّة، وإنّما المستحبّ الإمساك على وجه الحزن إلى العصر، لا الصوم... وبالجملة الأحوط ترك صيامه مطلقاً[٣].

كما استظهر العلّامة الطهراني من عبارة «فمن صام أو تبرّك»، إنّ ماهية الصوم ونفس الإمساك إلى الغروب بنيّة الصوم مورد الكراهة عند أئمة أهل البيت...[٤]

٧ ـ رواية زيد النرسي، عن الصادق عليه السلام مَن صامه كان حظّه من صيام ذلك اليوم حظ ابن مرجانة وآل زياد و... قلت ـ الراوي ـ وما كان حظّهم

---

(١) وسائل الشيعة: ١٠/٤٦٠ ح ٣، الكافي: ٤/١٤٧ ح ٧، التهذيب: ٤/٣٠١، ح ٩١١.
(٢) روضة المتقين: ٣/٢٤٧.
(٣) مرآة العقول: ١٦/٣٦٠.
(٤) الرسالة العاشورائية: ٢٨٤، صوم عاشوراء بين السنّة والبدعة: ٣٨.

من ذلك اليوم؟ قال: النار أعاذنا الله من النار، ومن عمل يقرّب من النار[١].

وقد وصفها المجلسي الأول بالحسن كالصحيح[٢].

٨ـ رواية ابن أبي غندر، عن الصادق عليه السلام فإن كنت شامتاً فصم، ثمّ قال: إنّ آل أمية عليهم لعنة الله ومَن أعانهم على قتل الحسين عليه السلام من أهل الشام نذروا نذراً إن قُتل الحسين، وسلم مَن خرج إلى الحسين عليه السلام وصارت الخلافة في آل أبي سفيان أن يتخذوا ذلك اليوم عيداً لهم يصوموا فيه شكراً ويفرّحون أولادهم، فصارت في آل أبي سفيان سنّة إلى اليوم في الناس، واقتدى بهم الناس جميعاً فلذلك يصومونه ويدخلون... أنّ الصوم لا يكون للمصيبة ولا يكون إلّا شكراً للسلامة.

وإنّ الحسين أُصيب يوم عاشوراء فإن كنت فيمن أُصيب به فلا تصم وإن كنت شامتاً ممن سرّك سلامة بني أُمية فصم شكراً لله»[٣].

وهذه الروايات المانعة، وإن كان بعضها ضعيفة ولكن استفاضتها ووجودها في الكتب المعتبرة، وموافقتها لسيرة المتشرعة وأصحاب الأئمة من عدم صيامهم ـ بل وللأئمة عليهم السلام ـ ممّا يخرجها عن الضعف إضافة إلى اعتبار سندها عند عند الشيخ الطوسي، حيث إنّه جمع بينها وبين الروايات المجوّزة، وهذا الجمع دليلٌ على الإعتبار السندي، وإضافة إلى وثاقة الحسين بن علي الهاشمي ـ الذي قد يرمى بالإهمال والمجهولية.

---

(١) الكافي: ١٤٧/٤ ح٦، التهذيب: ٣٠١/٤ ح٩١٢، الاستبصار: ١٣٥/٢ ح٤٤٣، وسائل الشيعة: ٤٦١/١٠ ح٢١، الوافي: ٧٣/١١ح ١٠٤٣٦.

(٢) ملاذ الأخيار: ١١٨/٧.

(٣) أمالي الطوسي: ٦٦٧، عنه وسائل الشيعة: ٤٦٢/١٠ الباب ٢١، ح ٧.

روايات الجواز:

١ ـ عن الكاظم عليه السلام: صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء[١]، وهذه الرواية وإن كانت موثقة عند المجلسي[٢] ولكن حملها المحقق القمي على التقية[٣].

٢ ـ رواية القداح عن الباقر عليه السلام: صيام عاشوراء كفارة سنة[٤]، وهي مجهولة عند المجلسي[٥].

٣ ـ رواية كثير النوى، لزقت السفينة يوم عاشوراء...[٦].

وهي ضعيفة السند. وحملت على التقية، وإنّ البركات المذكورة فيها من أكاذيب العامة[٧].

٤ ـ رواية مسعدة بن صدقة، عن علي عليه السلام: صوموا العاشوراء، التاسع والعاشر فإنّه يكفّر ذنوب سنة[٨].

(١) التهذيب: ٤/٢٩٩، ح٩٠٦. الاستبصار: ٢/١٣٤، ح٤٣٨. وسائل الشيعة: ١٠/٤٥٧ الباب ٢٠، ح١. الوافي: ١١/٧٥، ح١٠٤٤٠.
(٢) ملاذ الأخيار: ٧/١١٦.
(٣) غنائم الأيام: ٦/٧٦.
(٤) التهذيب: ٤/٣٠٠، ح٩٠٧. الاستبصار: ٢/١٣٤. وسائل الشيعة: ١٠/٤٥٧ الباب ٢٠، ح١. الوافي: ١١/٧٥، ح ١٠٤٤٢.
(٥) ملاذ الأخيار: ٧/١١٦.
(٦) التهذيب: ٤/٣٠٠ ح٩٠٨. وسائل الشيعة: ١٠/٤٥٨ الباب ١١ ح ٥.
(٧) ملاذ الأخيار: ٧/١١٦.
(٨) التهذيب: ٤/٢٩٩ ح٩٠٥. وسائل الشيعة: ١٠/٤٥٧ الباب ٢٠، ح٢.

وهي ضعيفة السند ومحمولة على التقية[1].

٥ ـ رواية حفص بن غياث: كان رسول الله صلى الله عليه وآله كثيراً ما يتفل يوم عاشوراء في أفواه أطفال المراضع من ولد فاطمة عليها السلام من ريقه ويقول: **لا تطعموهم شيئاً إلى الليل...**[2]

وهي ضعيفة السند قاصرة الدلالة[3].

٦ ـ رواية الزهري عن الإمام زين العابدين عليه السلام: **أما الصوم الذي صاحبه فيه بالخير... صوم عاشوراء**[4].

وهي ضعيفة سنداً ـ تعرضنا للبحث عن الزهري في كتابنا منهجية البخاري في صحيحه، ومحمولة إلى التقية كما صرّح بذلك المجلسيان، وأنّ الأخبار في ذم الصوم ـ وأنّه يوم تبرّكت به بنو أُمية لعنهم الله، بقتلهم الحسين عليه السلام كثيرة[5].

٧ ـ رواية الجعفريات كان علي عليه السلام يقول: **صوموا يوم عاشوراء...**[6].

لكن في اعتبار كتاب الجعفريات كلام، وقد ضعفه المحقق النجفي

---

(١) ملاذ الأخيار: ٧/١١٥.

(٢) التهذيب: ٤/٣٣٣ ح١٠٤٥؛ عنه وسائل الشيعة: ١٠/٤٥٧.

(٣) ملاذ الأخيار: ٧/١٧٤.

(٤) الكافي: ٤/٨٦ ح١، التهذيب: ٤/٢٩٦ ح٨٩٥، الفقيه: ٢/٤٨، ح٢٠٨، وسائل الشيعة: ١٠/٤٥٨؛ المقنع: ٥٧.

(٥) مرآة العقول: ١٦/٢٤٦، روضة المتقين: ٣/٢٣٠ ـ ٢٣٥.

(٦) الجعفريات: ٦٣، مستدرك الوسائل: ٧/٥٢٣، جامع أحاديث الشيعة: ١١/٧٣٠.

في الجواهر[١].

٨ ـ رواية الصدوق: فمن صام ذلك اليوم غُفر له ذنوب سبعين سنة[٢].

ولكنّها ضعيفة السند، ومعارضة بأقوى منها.

الأحاديث من طريق السُّنّة:

فهي كثيرة ويظهر عليها التهافت والتعارض، مما ألجأ الشرّاح والمحشّين ـ للصحاح والسنن ـ إلى استخدام التأويلات والتمحّلات مع الغض عن الإشكالات.

١ ـ إنّ النبيﷺ قال يوم عاشوراء: إن شاء صام[٣].

٢ ـ كان رسول اللهﷺ أمر بصيام يوم عاشوراء فلمّا فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر[٤].

٣ ـ كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول اللهﷺ يصومه فلما قدم المدينة وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه[٥].

---

(١) جواهر الكلام، ج ٢١، ص ٣٩٧. لكن المحدّث النوري في الخاتمة دافع عن الكتاب أشدّ الدفاع: ١٩/٢٤.

(٢) المقنع: ٦٦، مستدرك الوسائل: ٧/٥٢٢.

(٣) البخاري: ١/٣٤١.

(٤) البخاري: ١/٣٤١، مصنف عبدالرزاق: ٤/٢٨٨، ح ٧٨٤٢.

(٥) البخاري: ١/٣٤١، الموطأ: ١/٢٦٩ الباب ٤٩ ح ٧٥٣.

٤ ـ قال ﷺ: أنا أحقُّ بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه[١].

٥ ـ أمر النبيّ رجلاً من أسلم أن أذّن في الناس أنّ مَن كان أكل فليصم بقية يومه، ومَن لم يكن فليصم يوم عاشوراء[٢].

٦ ـ صيام عاشوراء أحتسب على الله أن يكفّر السنة التي قبله[٣]. وأورده ابن عدي في الضعفاء[٤].

٧ ـ عن أبي إسحاق: ما رأيت أحداً كان آمر بصيام عاشوراء من علي وأبي موسى[٥].

وأبو إسحاق: رمي بالتدليس وبإفساده حديث أهل الكوفة[٦].

٨ ـ عن جابر بن سمرة كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام عاشوراء.. فلما فرض رمضان لم يأمرنا به ولم ينهنا عنه...[٧]

وواضح عدم الدلالة على الرجحان ولا الاستحباب... مع الغض عن الإشكال في السند ـ بجعفر بن أبي ثور.

٩ ـ عن قيس كنّا نصوم يوم عاشوراء.. قبل أن ينزل علينا صوم

(١) البخاري: ١/٣٤١، مسند الحميدي: ١/٢٣٩، الدارمي: ٢/٣٦ ح١٧٥٩.
(٢) البخاري: ١/٣٤٢، الدارمي: ٢/٣٦ ح١٧٦١.
(٣) مسلم: ٢/٤٨٩، ابن ماجة: ١/٥٥٣، الترمذي: ج٣، الحميدي: ١/٢٠٥.
(٤) انظر تهذيب التهذيب: ٦/٣٦.
(٥) مسند الطيالسي: ١٦٧.
(٦) سير أعلام النبلاء: ٥/٣٩٨.
(٧) مسند الطيالسي: ١٠٦، انظر تهذيب التهذيب: ٢/٧٤.

رمضان والزكاة فما نزلا لم تؤمر بهما ولم تُنْه عنهما وكنا نفعله[١].

ولكن لم يفهم منه الرجحان أضف إلى الإشكال السندي.

١٠ ـ إنّ عمر أرسل إلى الحارث بن هشام أنّ غداً يوم عاشوراء فصم وأمر أهلك أن يصوموا[٢].

والحديث مرسل ولم ينسبه إلى النبيﷺ أضف إلى أنّه ليس بمشرّع.

١١ ـ عن أبي غطفان، حين صام النبيﷺ يوم عاشوراء، أمرنا بصيامه... فإذا كان العام المقبل صمنا التاسع[٣].

وهي فضلاً عن ضعف السند بيحي بن أيوب تنافي ماورد عن البخاري من أنّه ترك صوم عاشوراء بعد ما فرض رمضان.

١٢ ـ أن النبي ﷺ كان يصوم يوم عاشوراء[٤].

وهي مرسلة ومفادها الإستمرار. وهي تنافي ما ورد من أنهﷺ لم يصوم يوم عاشوراء. وقد أورد الهيثمي قرابة ثلاثين حديثاً في صوم عاشوراء وضعف أكثرها.

١٣ ـ دخل الأشعث على ابن مسعود وهو يطعم، فقال: اليوم عاشوراء، فقال: كان يُصام قبل أن ينزل رمضان فلمّا نزل رمضان تُرك فادنُ وكُلْ[٥].

---

(١) مسند الطيالسي: ١٦٨ ح ١٢١١، كنز العمال: ٨/٦٥٦، ح ٢٤٥٩٤.
(٢) الموطأ: ١/٢٩٩.
(٣) سنن أبي داود: ٢/٣٢٧.
(٤) النسائي: ٤/٢٠٤.
(٥) البخاري: ٣/١٠٣. المعجم الصغير: ٢/١١٣.

وفي نصّ آخر عن ابن مسعود، انّه قال: فـلمّا فـرض شـهر رمـضان نسخه، ثمّ قال: اقعد فقعدت فأكلت .

التعليقات العامّة على الروايات:

١ ـ قال العيني: قوله تصومه في الجاهلية، يعني قبل الإسـلام وكـان رسـول الله يصوم، أي قبل الهجرة...

قال: هذا الكلام غير موجّه، لأنّ الجاهلية إنما هي قبل البعثة فكيف يقول: وإنّ النبيّ ﷺ كان يصومه في الجاهلية، ثمّ يفسّره بقوله: أيّ قـبل الهجرة، والنبيّ ﷺ أقام نبياً في مكة ثلاث عشر سنة، فكيف يقال: صومه كان في الجاهلية[١].

٢ ـ قال جواد علي: «... ويظهر أنه خبر صيام قريش يوم عاشوراء هو خبر متأخر، ولا يوجد له سند يؤيده، ولا يعقل صيام قريش فيه وهم قوم مشركون وصوم عاشوراء هو من صيام يهود، وهو صيام كفارة واستغفار عندهم، فلم تستغفر قريش ويصومون هذا اليوم؟ وماذا فعلوا مـن ذنب ليطلبوا من آلهتهم العفو والغفران...»[٢].

٣ ـ قال العسقلاني: أفادت تعيين الوقت الذي وقع فيه الأمر بـصيام عاشوراء، وقد كان أول قدومه المدينة، ولا شك أنّ قدومه كان في ربـيع

(١) عمدة القاري: ١١/ ١٢١.
(٢) المفصل من تأريخ العرب: ٦/ ٣٤٢.

الأوّل، فحينئذٍ كان الأمر بذلك في أوّل السنة الثانية، وفي السنة الثانية فرض شهر رمضان؛ فعلى هذا لم يقع الأمر بصيام عاشوراء إلّا في سنة واحدة، ثمّ فوّض الأمر في صومه إلى رأي المتطوع...(١).

٤ ـ وقال القسطلاني فعلى هذا ـ ترك يوم عاشوراء ـ لم يقع الأمر بصومه إلّا في سنة واحدة وعلى تقدير القول بفرضيته فقد نسخ ولم يرو عنه إنّه عليه الصلاة والسلام جدّد للناس أمراً بصيامه بعد فرض رمضان، بل تركهم على ما كانوا عليه من غير نهي عن صيامه...(٢)

هذه التقارير وعشرات أمثالها، إن دلّت على شيء، لدلّت على التهافت والتناقض بين الروايات وعدم الإنسجام فيما بينها، الأمر الذي الجأ الشرّاح إلى هذه التمحلات.

آراء الفقهاء في صوم عاشوراء:

أما فقهاء العامّة فهم على القول بالإستحباب رغم مخالفة ابن مسعود وابن عمر في ذلك وقولهما بالكراهة(٣).

قال زين الدين الحنفي: قد روي عن ابن مسعود وابن عمر ما يدل على أنّ أصل إستحباب صيامه زال(٤).

---

(١) فتح الباري: ٤/٢٨٩، نيل الأوطار: ٤/٢٤٣.
(٢) ارشاد الساري: ٤/٦٤٨.
(٣) السنن الكبرى: ٤/٢٨٠، فتح الباري: ٤/٢٨٩، عمدة القاري: ١١/١٢٠.
(٤) لطائف المعارف: ١٠٢.

وقال الشوكاني: كان ابن عمر يكره قصده بالصوم[1].

وأما فقهاء الإمامية: فعن البعض: القول بالحرمة، كالمحدّث البحراني[2] والمجلسي[3]، ويميل إليه السيد الخونساري[4] في جامع المدارك والنراقي في المستند[5] والطعّان في رسالته.

وعن الشيخ الأُستاذ الوحيد الخراساني، على الأحوط الوجوبي لا يكون جائزاً[6]. وعن جمع آخر: القول بالكراهة وهو رأي أكثر المتأخرين[7].

وعن ثالث: باستحباب الأمساك إلى العصر ـ مع أنّه ليس هو الصوم الإصطلاحي ـ وهذا قول العلامة الحلّي، والشهيد الأوّل، والثاني: في الدروس والإمساك، والسبزواري في الذخيرة، والمستند عندهم صحيحة عبدالله بن سنان عن الصادق عليه السلام ما قولك في صومه؟ فقال لي: صمه من غير تبييت، وأفطره من غير تشميت ولا تجعله صوم يوم كاملاً وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربه من ماء فانّه في مثل هذا الوقت

(١) نيل الأوطار: ٢٤٣/٤، انظر بدائع الصنائع للكاساني: ٢١٨/٢.
(٢) الحدائق الناضرة: ٣٧٦/١٣.
(٣) مرآة العقول: ٣٦١/١٦، زاد المعاد: ٣٧٨.
(٤) جامع المدارك: ٢٢٧/٢.
(٥) مستند الشيعة: ٤٨٧/١٠.
(٦) توضيح المسائل، الطبعة الأولى: ٢٩٤، المسألة ١٧٥٥، تقرير أبحاث الأُستاذ الوحيد، أُنظر كتاب صوم عاشوراء بين السنّة والبدعة: ٩٢.
(٧) أُنظر صوم عاشوراء بين السنّة والبدعة: ١٠١.

من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء على آل رسول الله ﷺ[١].

ورابع: بالإستحباب مطلقاً كالصدوق في الهداية، والمحقق في نكت النهاية والخونساري في المشارق[٢]، والخوئي في المستند مع اصرار منه في ذلك[٣].

وخامس: بالإستحباب مع قصد الحزن... وهو الرأي المشهور عندنا[٤] كما هو قول الشيخ الطوسي في كثير من كتبه، والشيخ المفيد، وابن البراج، وابن زهرة، والصهرشتي وابن ادريس ويحيى بن سعيد، والمحقق الحلي في الشرائع، والرسائل التسع، والعلّامة في المنتهى والإرشاد، والسبزواري في الكفاية والمحقق النجفي في الجواهر...

نص بعض الكلمات:

١ ـ قال المحدّث البحراني «وبالجملة فإنّ دلالة هذه الأخبار على التحريم مطلقاً، أظهر ظاهر لكنّ العذر لأصحابنا فيما ذكروه من حيث

---

(١) مصباح المتهجد: ٧٢٤، وسائل الشيعة: ١/٤٥٨ ب ٢، ح ٧، الإقبال: ٣/٥٩، بحار الأنوار: ١٠١/٣١٣ ح ٦.
(٢) أُنظر صوم عاشوراء بين السنّة والبدعة: ٨٣.
(٣) مستند العروة الوثقى: ٢/٣٠٥.
(٤) الشرح الصغير: ١/٢٩٢، رياض المسائل: ٥/٤٦١، التنقيح الرائع: ١/٣٨٦، الرسالة العاشورائية: ٢٩٠، المقنعة: ٣٦٧، الاقتصاد الهادي إلى الطريق الرشاد: ٢٩٣، المبسوط: ١/٢٦٨، الرسائل العشر: ٢١٨، المذهب: ١/١٨٨، الغنية: ١٤٨، تبصرة المتعلمين: ١/١٣٦.

عدم تتبع الأخبار كملاً، والتأمّل فيها.. فتحريم صيامه مطلقاً من هذه الأخبار أظهر ظاهر»[١].

٢ ـ وقال المجلسي: «وبالجملة: الأحوط ترك صيامه مطلقاً»[٢].

٣ ـ وقال الخونساري: «وجزم بعض متأخري المتأخرين بالحرمة ترجيحاً للنصوص الناهية.. والظاهر أنّ هذا أقرب...»[٣]

٤ ـ وقال الطفّان: «تصريح الأئمة بعدم قبول ذلك اليوم لماهية الصيام ويكون نفس الصوم موجباً للحشر مع آل زياد وسائر ماهو مذكور من المهالك»[٤].

٥ ـ وقال الشهيد الثاني: «والندب من الصوم وصوم عاشوراء على وجه الحزن قال: أشار بقوله على وجه الحزن إلى أن صومه ليس معتبراً شرعاً بل هو إمساك بدون نيّة الصوم لأنّ صومه متروك كما وردت به الرواية وينبّه على قول الصادق عليه السلام: **صمه من غير تبييت وأفطره من غير تشميت وليكن فطرك بعد العصر، فهو عبارة عن ترك المفطرات اشتغالاً عنها بالحزن والمصيبة، وينبغي أن يكون الإمساك المذكور بالنيّة لأنّه عبادة**»[٥] .

---

(١) الحدائق الناضرة: ١٣/ ٣٧٦.

(٢) مرآة العقول: ١٦/ ٣٦١، زاد المعاد: ٣٧٨.

(٣) جامع المدارك: ٢/ ٢٢٧.

(٤) الرسالة العاشورائية: ٢٨٤.

(٥) مسالك الأفهام ٢/ ٧٨، وقد علق عليه في المدارك «انّه بعيد ومخالفة لما نصّ عليه المعتبر»: ٦/ ٢٦٨.

موقف الأيادي الأثيمة من عاشوراء:

ثمّ أن أيادي بني أمية ومرتزقتهم وضعوا أكاذيب في فضل يوم عاشوراء وبركته، ما تقشعر منه الجلود: فحكم علماؤهم عليها بالوضع والكذب.

١ ـ فقد رووا: من وسّع على عياله يوم عاشوراء، وسّع الله عليه سائر سنته، فحكم عليه ابن الجوزي وابن تيمية بالوضع.

قال ابن الجوزي: تمذهب من الجهال بمذهب أهل السنّة، فقصدوا غيظ الرافضة، فوضعوا أحاديث في فضل عاشوراء[1].

٢ ـ حديث الأعرج عن أبي هريرة: إنّ الله عزّ وجل افترض على بني إسرائيل صوم يوم في السنة، يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرّم فصوموه.. فإنّه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم.. والحديث طويل.

قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يشك عاقل في وضعه، ولقد أبدع مَن وضعه وكشف القناع ولم يستحي وأتى فيه المستحيل...[2]

٣ ـ حديث إبراهيم الصائغ عن ميمون بن مهران: من صام يوم عاشوراء، كتب الله له عبادة ستين سنة.

قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع بلا شك.

---

(١) الموضوعات: ٢ / ٢٠٠ .

(٢) الموضوعات: ٢ /٢٠٢.

وقال أبو حاتم: هذا حديث باطل لا أصل له.

وقال الذهبي: حبيب بن أبي حبيب كان يضع الحديث، قاله ابن حبان وغيره... روي: مَن صام عاشوراء وذكر حديثاً طويلاً موضوعاً فيه: إنّ الله خلق العرش يوم عاشوراء. فانظر إلى هذا الإفك»[١].

٤ ـ حديث من اكتحل بالأثمد.. قال العيني: وهو حديث موضوع وضعه قتلة الحسين عليه السلام .

وقال أحمد: الاكتحال يوم عاشوراء لم يُروَ عن رسول الله فيه أثر وهو بدعة[٢].

موقف أهل البيت عليهم السلام :

وقد عارض أئمة أهل البيت عليهم السلام هذا التيار الظالم، وهذه الإشاعات الكاذبة بقوّة من خلال إعطائهم للناس تعليمات خاصّة في ذلك اليوم، حيث أمروا الناس بترك السعي يوم عاشوراء، وأمروهم أنْ يجعلوا ذلك اليوم يوم حزن، وأنّ من سمّاه يوم بركة يحشر مع يزيد.

١ ـ ففي رواية الرضا عليه السلام: **«مَن ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء، قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرّت بنا في الجنة عينه، ومَن سمى يوم عاشوراء**

(١) ميزان الاعتدال: ١/٤٥٢.

(٢) عمدة القاري: ١١/١١٨.

يوم بركة وادّخر لمنزله فيه شيئاً لم يبارك له فيما ادّخر، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيدالله وعمر بن سعد لعنهم الله في أسفل درك من النار[١].

كيف يجتمع النسيء مع صوم عاشوراء؟

هنا أمر لابدّ من إثارته: وهو أنّ الجاهلية كانت تؤخّر المحرم إلى صفر تارة، ويجعلون صفراً مع ذي القعدة محرماً تحرّجاً من توالي ثلاثة أشهر محرّمة. فلم يحصل توافق بين اسم الشهر ـ محرم ـ ونفسه إلّا في كلّ اثني عشرة سنة مرّة إذا كان تأخير محرم على حساب ونظام محفوظ.

وأمّا أن كان بمعنى إنساء حرمة المحرم إلى صفر، ثمّ إعادتها مكانها في العام المقبل كما هو المعروف والمشهور في تفسير النسيء، فيكون المعنى إنّ صفر هو المحرّم عندهم. وأنّ الصوم في العاشر من صفر كان هو المتداول عند الجاهلية وعليه فكيف يجتمع مع إدّعاء أن قريشاً كانت تصوم يوم عاشوراء من المحرم، والنبيﷺ أيضاً كان يتابعهم في ذلك[٢].

عاشوراء عيد الأمويين:

إنّ الذي يعرف من خلال التتبع وتصريح المؤرّخين ـ فضلاً عن نصوص الروايات والأحاديث ـ هو أنّ الأُمويين هم الذين أعلنوا من

(١) الإقبال: ٣/٨٢.
(٢) انظر تفسير الميزان: ٩/٢٨٨، صوم عاشوراء بين السنّة والبدعة: ١٣٠.

عاشوراء بعنوان «عيد» وذلك للتغطية على الجريمة البشعة والمجازر الإنسانية التي ارتكبوها بشأن أهل البيت رسول الله صلى الله عليه وآله الأمر الذي كان يذلهم كل يوم عاشوراء حتى صار مثلاً على الألسن: أذل من أموي بالكوفة يوم عاشوراء[١].

تصريحات للمؤرّخين:

١ ـ المقريزي: لما كان الخلفاء الفاطميّون بمصر كانت تعطّل الأسواق في ذلك اليوم ـ عاشوراء ـ ويفعل فيه السماط العظيم المسمّى سماط الحزن وينحرون الإبل، وظلّ الفاطميون يجرون على ذلك كلّ أيامهم فلمّا زالت الدولة الفاطمية اتّخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يُوسعون فيه على عيالهم ويتبسّطون في المطاعم، ويتخذون الأواني الجديدة، وسنّها يكتحلون ويدخلون الحمّام جرياً على عادة أهل الشام التي سنّها لهم الحجّاج في أيام عبدالملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن على الحسين بن علي عليه السلام لأنّه قتل فيه.

وقد أدركنا بقايا ممّا عمله بنو أميّة من اتّخاذ عاشوراء يوم سرور وتبسّط[٢].

(١) مجمع الأمثال: ٢/ ٢١.

(٢) الخطط: ٢/ ٣٨٥، الحضارة الإسلامية: ١/ ١٣٧.

٢ ـ أبو الريحان: وكانوا يعظّمون هذا اليوم ـ عاشوراء ـ إلى أن اتّفق فيه قتل الحسين عليه السلام وأصحابه وفعل به وبهم ما لم يفعل في جميع الأُمم بأشرار الخلق من القتل بالعطش والسيف والإحراق وصلب الرؤوس وإجراء الخيول على الأجساد فتشائموا به فأمّا بنو أُمية فقد لبسوا فيه ما تجدد وتزيّنوا واكتحلوا وعيّدوا وأقاموا الولائم والضيافات، وأطعموا الحلاوات والطيبات وجرى الرسم في العامّة على ذلك أيّام ملكهم وبقي فيهم بعد زواله عنهم[١].

٣ ـ الكراكجي: ومن عجيب أمرهم دعواهم محبّة أهل البيت عليهم السلام مع ما يفعلون يوم المصاب بالحسين عليه السلام من المواظبة على البر والصدقة والمحافظة على البذل والنفقة والتبرك بشراء ملح السنّة، والتفاخر بالملابس المنتخبة والمظاهرة بتطييب الأبدان والمجاهرة بمصافحة الإخوان، والتوفّر على المزاورة والدعوات والشكر من أسباب الأفراح والمسرّات، واعتذارهم في ذلك بأنّه يوم ليس كالأيام وأنّه مخصوص بالمناقب العظام ويدّعون أنّ الله عزّ وجلّ تاب فيه على آدم، فكيف وجب أن يقضى فيه حق آدم فيتّخذ عيداً ولم يجز أن يقضى حقّ سيّد الأوّلين والآخرين محمّد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله في مصابه بسبطه وولده[٢].

٤ ـ السيد الشريف الرضي يصف هذا الأمر في نظم شعري:

(١) الكنى والألقاب: ١/٤٣١، انظر عجائب المخلوقات بهامش حياة الحيوان للدميري: ١/١١٤.
(٢) التعجب: ١١٥.

كـــانت مـــآتم بـــالعراق تـــمدّها
أمـــوية بـــالشام مـــن أعـــيادها
جـــعلت رســـول الله مـــن خـــصمائها
فـــلبئس مـــا ادّخـــرت ليـــوم مـــعادها
نســـل النـــبيّ عـــلى صـــعاب مـــطيّها
ودم النـــبيّ عـــلى رؤوس صـــعادها

وفي نهاية المطاف تقول: نحن إلى جانب المحدّث البحراني والعلامة المجلسي والسيّد أحمد الخونساري والشيخ الأُستاذ وكل من يستشم منه الميل إلى القول بالحرمة بعدما عرفت الروايات الذامّة والناهية، ولحن التعبير فيها وبعد ما عرفت أنّه كان مثاراً لإهتمام الحزب الأُموي وأذنابهم تغطية على مأساة كربلاء الحسين.

اللهم العن العصابة التي جاهدت الحسين وشايعت وبايعت وتابعت على قتله.

تبديل الاحرام
الى العمرة بين الواقع والخيال

نجم الدين الطبسي

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

تبديل الإحرام إلى العمرة بين الواقع والخيال:

لقد اشتهر على الألسن وشاع بين الناس أنّ الحسين بن علي عليه السلام نتيجة للضغوطات الأموية، وتهديداتهم العسكرية، وخوفاً من الاغتيال في الحرم وفي مكّة المكرمة ـ واستحلال حرمتها ـ بدّل إحرام حجّه إلى العمرة المفردة. ثمّ خرج من الإحرام ـ بعد أداء العمرة ـ متوجهاً نحو العراق.[1]

فنقول: أمّا الضغوطات والتهديدات وخوف الاغتيال في الحرم، فهي من الأمور المسلّمة التي لا تنالها يدُ التشكيك والترديد.[2]

ولكن الكلام في تبديل الحجّ إلى العمرة، وهل أنّ هذا الأمر ثابت تاريخياً ومتحقّق؟ وهل هذا يتلاءم مع الفقه الذي وصل إلينا عبر الأئمة الطاهرين عليهم السلام. فنقول من باب التمهيد: إنّ الإمام الحسين عليه السلام دخل مكّة

---

(١) إعلام الورى: ٢٣٠؛ وفي نسخة طبعة آل البيت ج ١: ٤٤٥؛ روضة الواعظين: ١٧٧.

(٢) اللهوف: ١٢٨؛ الإرشاد: ٢٠١؛ تذكرة الخواص: ٢٤٨؛ تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٤٨؛ بحار الأنوار: ٤٥: ٣٢٣؛ الخصائص الحسينية: ٣٢؛ تذكرة الشهداء: ٦٩؛ مقتل الحسين للمقرم: ١٦٥؛ الأيام المكّية: ١٥٢.

المكرمة في الثالث من شعبان عام ستين من الهجرة ـ أي قبل مغادرته الحجاز إلى العراق ـ بأكثر من أربعة أشهر، فمن التأكيد أنه(ع) دخلها حينئذ بإحرام العمرة المفردة، إذ لم يكن آنذاك موسم الحج كي يحرم بإحرام الحج.

ثمّ لعله(ع) أتى بعد ذلك، بمتعدد من العمرة المفردة، فليس من الضروري أن يكون الإمام(ع) في اليوم الثامن من ذي الحجة محرماً بإحرام سيّما إحرام البحث حتى يقع البحث في أنه هل تبدّل إحرامه إلى العمرة المفردة أم لا؟

ولكن بما أنّه ثبت تاريخياً إحرام الإمام الحسين(ع) في تلك الأيام ـ الثامن أو قبله ـ وأنّه كان محرماً، فيقع الاستفهام، ويكون مثاراً للتساؤلات في أنه(ع): هل كان محرماً بإحرام حج التمتّع ـ اكتفاء بالعمرة التي أتى بها قبله ـ بانقلاب عمرة المفردة إلى عمرة التمتع كما هو من مسلّمات الفقه؟[1] أو كان قد أحرم بعمرة التمتع، ثمّ بدّل الإحرام من حج التمتع أو عمرة التمتع إلى العمرة المفردة؟

أم نقول: إنّ الإمام لم يكن إحرامه يوم خروجه من مكّة ـ يوم الثامن ـ إلاّ إحرام العمرة المفردة لعلمه بعدم إمكانه أن يتمّ حجّه، لو أحرم للحج. فلم يحصل تبديل أصلاً.

---

(١) مستمسك العروة الوثقى ٢: ٢٣٥.

النصوص التاريخية:

يبدو من بعض النصوص التاريخية: أنّ الإمام عليه السلام بدّل الإحرام كما عن الطبرسي، والنيسابوري، والمفيد.

١ ـ قال الطبرسي: «لمّا أراد الخروج إلى العراق طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ، وأحلّ من إحرامه وجعلها عمرة؛ لأنّه لم يتمكن من إتمام الحجّ مخافة أن يقبض عليه بمكّة...»(١).

٢ ـ وقال ابن فتال: «... وأحلّ من إحرامه وجعلها عمره، لأنّه لا يتمكّن من إتمام الحجّ...»(٢)

٣ ـ التستري: «فالتزم بأن يجعل إحرامه عمرة مفردة وترك التمتع بالحجّ...»(٣)

والظاهر أنّها مأخوذة من الشيخ المفيد في الإرشاد، إذ العبارة هناك: «لمّا أراد الحسين عليه السلام التوجه إلى العراق طاف بالبيت وسعى من الصفا والمروة وأحلّ من إحرامه وجعلها عمرة؛ لأنّه لم يتمكّن من إتمام الحجّ مخافة أن يقبض عليه...»(٤)

وهذه العبارة والّتي قبلها ـ وإن كانت ظاهرة ـ واضحة الدلالة في التبديل، إلاّ أنّ بعض المعاصرين فرّق بين عباراتي «إتمام الحجّ» و«تمام

---

(١) إعلام الورى: ٢٣٠، دار الكتب الإسلامية؛ و ج ١: ٤٤٥، آل البيت عليهم السلام.

(٢) روضة الواعظين: ١٧٧.

(٣) الخصائص الحسينية: ٣٢.

(٤) الإرشاد: ٢٠١ (الطبعة الحجرية) و ٢١٨، منشورات البصيرتي.

الحجّ» حيث يرى أنّ مفاد الأوّل هو أنّ الإمام عليه السلام قد تلبّس بإحرام الحج بخلاف الثاني، ويرى أنّ النتيجة الصحيحة والنقل الصحيح في الإرشاد هو «تمام الحجّ».[1]

وعلى ضوء هذا التحقيق والنقل يكون المعنى: إنّ الإمام عليه السلام لم يدخل في إحرام الحجّ من الأوّل، بل كان محرماً بإحرام العمرة المفردة. وهذا هو الذي يظهر من الروايات وصرّح به بعض الفقهاء والمؤرّخين.

الروايات:

١ ـ الكليني: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن اسماعيل بن مزار، عن يونس، عن معاوية بن عمّار، قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: من أين افترق المتمتع والمعتمر؟ فقال: إنّ المتمتع مرتبطٌ بالحجّ، والمعتمر إذا فرغ منها ذهب حيث شاء، وقد اعتمر الحسين بن عليّ عليه السلام في ذي الحجّة، ثمّ راح يوم التروية إلى العراق والناس يروحون إلى منى، ولا بأس بالعمرة في ذي الحجّة لمن لا يريد الحجّ...»[2]

والرواية ـ صحيحة ـ كما عن السيد الخوئي[3] وإن رماها المجلسي

---

(١) يقول اليوسفي الغروي: «ونجد الشيخ الطبرسي في إعلام الورى في الفصل الخاصّ ينقل نفس الفصل الخاصّ في إرشاد الشيخ المفيد تقريباً بدون تصريح بذلك، وفيه ينقل ما ذكره الشيخ المفيد، إلاّ أنّه يغيّر كلمة «تمام الحجّ» إلى «إتمام الحجّ»، وهذا خطأ ولعلّه من النسّاخ لما بينهما من الفرق الواضح، إذ أنّ كلمة الإتمام يفيد أنّه عليه السلام قد تلبّس بإحرام الحجّ دون كلمة «تمام الحجّ».

(٢) الكافي ٤: ٥٢٥، ح ٤، عنه الوسائل ١٤: ٣٧، ب ٧ ح ٣.

(٣) معتمد العروة الوثقى ٢: ٤٣٦.

بالمجهولية.[١] وقد احتمل العلّامة المجلسي من الخبر احتمالين:

الأوّل: أنّه عليه السلام منذ البدء قد نوى الإفراد، وليس ثمّ تبديل؛ حيث قال: «ويحتمل أن يكون عليه السلام لعلمه بعدم التمكن من الحجّ نوى الإفراد، ولعلّه من الخبر أظهر».

الثاني: التبديل من عمرة التمتع إلى عمرة مفردة.

حيث قال: «قوله «وقد اعتمر»: لعلّ المراد أنّ عمرة التمتع أيضاً إذا اضطرّ الانسان يجوز أن يجعلها عمرة مفردة كما فعله الحسين عليه السلام ويظهر من المجلسي أنّه تبناه أو يميل إليه، حيث قال في البحار: «وكذا خرج من مكّة بعد ما غلب على ظنه أنّهم يريدون غيلته وقتله، حتى لم يتيسّر له ـ روحي فداه ـ أن يتمّ حجّه، فتحلّل، وخرج منها خائفاً يترقب»[٢].

ولكنه في مكان آخر ينسبه إلى بعض الكتب المعتبرة، حيث قال: «ولقد رأيت في بعض الكتب المعتبرة حلّ من إحرام الحجّ، وجعلها عمرة مفردة».[٣]

٢ ـ الكليني: «عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبد الله عليه السلام. أنّه سئل عن رجل خرج في أشهر الحجّ معتمراً، ثمّ رجع إلى بلاده، قال: لا بأس، وإن حجّ في عامه ذلك وأفرد الحجّ، فليس عليه دم، فإنّ الحسين بن عليّ عليه السلام خرج قبل التروية بيوم إلى العراق، وقد كان دخل

---

(١) ملاذ الأخيار: ٤٦١.
(٢) هذا ما لم يوجد له أثر في الفقه الذي وصلنا عن أهل البيت عليهم السلام، ولا أفتى به فقيه.
(٣) بحار الأنوار، ٤٥: ٩٩.

معتمراً»[١].

والرواية صحيحة كما عن السيد الخوئي[٢] وحسنة كالصحيح كلها عن العلامة المجلسي.[٣]

ولكن في نقل الطوسي: «خرج يوم التروية»[٤] وقال المحقق النجفي دونه: ولعلّه الأصح لصحيح معاوية.[٥]

ومفاد الخبر ـ والله العالم ـ إنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن يوم خروجه من مكة محرماً حتى بإحرام العمرة المفردة، اكتفاءاً بما اعتمر يوم دخوله مكة المكرمة، إذ في الرواية: ـ فأنّ الحسين عليه السلام، خرج قبل التروية، بيوم إلى العراق وقد كان دخل معتمراً».

ولكن سؤال الراوي يأبى هذا الاحتمال؛ حيث أنّه يسأل الإمام الصادق، عن جواز الخروج من مكة في أشهر الحج من دون إتيان مناسك الحج اكتفاءاً بالعمرة التي أتى بها.

فأجابه الإمام عليه السلام بجواز الخروج، واستند في ذلك إلى خروج الإمام الحسين من مكة أيام الحج، وقد كان دخل معتمراً، فتأمل.

---

(١) الكافي ٤: ٥٣٥، ح ٣؛ عنه الوسائل ١٤: ٣١٠، ب ٧، ح ٢؛ ج ١٠: ٢٤٦؛ التهذيب ٥: ٤٣٦؛ الاستبصار ٢: ٣٢٧، ح ١١٦٠.

(٢) معتمد العروة ٢: ٤٣٦.

(٣) مرآة العقول ١٨: ٢٣٤؛ ملاذ الأخيار ٨: ٤٥٩.

(٤) التهذيب ٥: ٤٣٦.

(٥) جواهر الكلام ٢٠، ص ٤٦١.

كلمات الفقهاء والمؤرّخين:

١ ـ قال السيد محسن الحكيم: «وأمّا ما في بعض كتب المقاتل من أنّه‌ﷺ جعل عمرته عمرة مفردة، ممّا يظهر منه أنّها كانت عمرة تمتّع، وعدل بها إلى الإفراد، فليس مما يصحّ التعويل عليه في مقابل الأخبار المذكورة التي رواها أهل البيت‌ﷺ»[1].

٢ ـ قال السيد السبزواري: «...كما يسقط بهما ـ أي برواية اليماني ورواية معاوية بن عمّار ـ ما في بعض المقاتل من أنّ الحسين‌ﷺ بدّل حجّة التمتع إلى العمرة المفردة، لظهورهما في أنّه‌ﷺ لم يكن قاصداً للحج من أوّل، بل كان قاصداً للعمرة المفردة، فلا يبقى موضوع للتبديل حينئذ»[2].

٣ ـ وقال المؤرّخ الشيخ القرشي: «وهذا ـ أي التبديل ـ لا يخلو من تأمّل، فإنّ المصدود عن الحجّ يكون إحلاله بالهدي حسب ما نصّ عليه الفقهاء لا بقلب إحرام الحجّ إلى عمرة، فإنّ هذا لا يوجب الإحلال من إحرام الحجّ»[3].

(١) مستمسك العروة الوثقى ١١: ١٩٢.
(٢) مهذّب الأحكام ١٢: ٣٤٩ ـ أنظر تقريرات الحجّ للگلپايگاني ١: ٥٨، كتاب الحجّ للداماد ١: ٣٣٣، تقريرات الحجّ للشاهرودي ٢: ٣١٢.
(٣) حياة الإمام الحسين‌ﷺ ٣: ٥٠.

المؤيّدات للقول بعدم التبديل:

١ ـ مما يضعف القول بالتبديل، هو قول المشهور عن فقهائنا من عدم جواز تبديل عمرة التمتع إلى الإفراد، فلو فعله الإمام الحسين، وثبت ذلك لما تمّ قول المشهور.

قال الشيخ الوالد: «المشهور بين الأصحاب ـ رضوان الله عليهم ـ أنّ من دخل مكة بعمرة التمتع في أشهر الحج، لم يجز له أن يجعلها مفردة، ولا أنْ يخرج من مكة، حتى يأتي بالحج، لأنّها مرتبة ـ مرتبطة ـ بالحج».[١]

٢ ـ ثمّ إنّ تبديل حج الأفراد ـ أو عمرة التمتع ـ إلى العمرة المفردة لو كان لأجل منع العدو وصدّه عن الدخول في الحرم، ومكة، فحكمه حينئذ هو الإحلال والخروج من إحرام الحج بالهدي. كما صرّح بذلك فقهاؤنا.

قال الشهيد الأول: «إذا منع المحرم عدو من إتمام نسكه كما مرّ في المختصر، ولا طريق غير موضع العدو، ذبح هديه أو نحره مكان الصدّ بنية التحلّل فيحمل على الإطلاق».[٢].

٣ ـ لقد تعرّض فقهاؤنا لفرع فقهي، واستندوا إلى فعل الحسين عليه السلام ما يستشف منه: أنّ الحسين كان يوم مغادرة مكة معتمراً بالعمرة المفردة فقط.

---

(١) ذخيرة الصالحين في شرح تبصرة المتعلّمين ٣: ١٢٤ (مخطوط)

(٢) الدروس الشرعية ١: ٤٧٨ ـ انظر مسالك الأفهام ٢: ٣٨٨.

فقد تعرضوا لما يلي وهو: أنّ المعتمر هل يجوز له الخروج من مكة إذا أقام إلى ذي الحجّة، أم يجب عليه إتيان فريضة الحج؟

أ ـ ففي قول نادر يجب إتيان مناسك الحجّ، ويحرم عليه الخروج، كما هو رأي ابن البراج الطرابلسي.[١]

ب ـ وفي قول آخر: باستحباب ذلك إذا أقام في مكة إلى يوم التروية وهو قول المحقّق النجفي،[٢] ويُفهم ذلك من المجلسي أيضاً.[٣]

ج ـ وثالث هو جواز الخروج وعدم وجوب الإقامة، وهو القول المشهور؛ واستدلّ عليه بالإجماع وبعض النصوص المعتبرة، منها: معتبرة معاوية عن عمار، وصحيحة ابراهيم بن عمر اليماني.

فالاستدلال بفعل الحسين عليه السلام ومما قاله الصادق عليه السلام، مستشهداً بفعل الحسين عليه السلام، والبحث عن انقلاب العمرة المفردة إلى عمرة التمتع وعدمه، شاهد على أنّه عليه السلام لم يكن مُحرماً بإحرام الحج ولا عمرة التمتع، بل كان محرماً بإحرام العمرة المفردة.

قال السيد الخوئي: لا ريب في أنّ المستفاد من الخبرين، أنّ خروج الحسين عليه السلام يوم التروية كاف على طبق القاعدة لا لأجل الاضطرار، ويجوز ذلك لكلّ أحد وإن لم يكن مضطراً، فيكون الخبران قرينة على الانقلاب إلى المتعة قهراً، والاحتباس بالحج إنّما هو فيما إذا أراد الحج،

---

(١) المهذب ١: ٢٧٢؛ من اعتمر عمرة غير متمتع بها إلى الحجّ ـ في شهور الحجّ ثمّ أقام بمكة الى أن أدرك يوم التروية كان عليه أن يحرم بالحجّ ويخرج إلى منى.

(٢) جواهر الكلام ٢٠: ٤٦١ ـ أنظر الدروس الشرعية ١: ٣٣٦.

(٣) مرآة العقول: ١٨، ٢٣٤؛ أنظر الأيام المكيّة: ٩٧.

وأمّا إذا لم يُرِد الحج فلا يحتبس بها للحجّ، ويجوز له الخروج حتى يـوم التروية.[1]

فعلى ضوء ما قدّمناه من الروايات والنصوص التـاريخية، وكـلمات الفقهاء والمؤرّخين والمؤيدات والشواهدالفقهية هو: أنّ دعوى التبديل من إحرام الحجّ أو عمرة التمتع إلى عمرة مفردة ممّا لا أساس له؛ بل هو مخالف للموازين الفقهية التي تلقيناها من الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

(١) معتمد العروة الوثقى ٢: ٢٣٧.

عرض وتلخيص لكتاب «اللؤلؤ والمرجان»

في شروط خطباء المنبر الحسيني

محمدهادي يوسفي الغروي

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾[1].

بتقديم هذه الآية الشريفة من سورة المائدة يبدأ الأستاذ الشهيد الشيخ المطهري﵀ حديثه في أربعة مجالس متوالية عقدت في حسينية (ارشاد) بطهران في محرم الحرام ١٣٨٩ هـ في موضوع: (التحريفات في وقعة كربلاء التاريخية وحول سيد الشهداء الإمام الحسين﵇) فجعل بحثه في هذه المجالس الأربع في أربعة فصول:

الفصل الأوّل: حول معنى التحريف وأنواعه وما وقع منه في حادثة كربلاء التاريخية.

والفصل الثاني: في عوامل التحريف وعلله: ولماذا يحرّف الإنسان تاريخ الحوادث والقضايا والشخصيات أحياناً؟ وما هي العوامل التي أدت إلى وقوع التحريفات في نقل حادثة كربلاء وقضية سيد الشهداء﵇ بصورة خاصة.

والفصل الثالث: توضيح لأنواع التحريفات التي حدثت في هذه

---

(١) المائدة: ١٣.

الحادثة التاريخية.

والفصل الرابع: حول واجبنا نحن العلماء من عموم المسلمين تجاه هذه التحريفات.

وفي الفصل الأول يقول: إنّ حادثة كربلاء بالنسبة لنا نحن المسلمين الشيعة حادثة اجتماعية كبرى سواء أردنا أم أبينا، وأعني بذلك أن لهذه الحادثة الكبرى آثاراً كبيرة وكثيرة في تربيتنا وأخلاقنا وعاداتنا.

إنّها حادثة تصرف لاستماع القضايا المتعلقة بها ملايين الساعات من أوقاتنا من قبل الملايين منا بصورة تلقائية تقريباً وبدون أن تكون أيّة قدرة تجبرنا على ذلك، ونصرف في سبيل ذلك الملايين من الأموال.

إنّ هذه القضية الكبرى يجب أن تبيّن للناس كما كانت بدون زيادة أو نقصان، وإذا حصل فيها أي دخل أو تصرف، فسوف يحرف هذا التصرف مجرى وآثار تلك الحادثة، فبدل أن نستفيد منها سوف نتضرر بها قطعاً.

وبحثنا الآن هو: أننا ـ ومع الأسف الشديد ـ قد أدخلنا في نقل وحكاية حادثة عاشوراء الكثير من آلاف التحريفات، تحريفات لفظية ظاهرية في أصول القضايا ومقدماتها وهوامشها، وتحريفات مؤسفة في دراستها وتحليلها.

إنّ هذه الحادثة ـ ومع بالغ الأسف ـ أُبتليت بتحريفات لفظية وأُخرى معنوية وماهوية.

إنّ التحريف قد يكون تحريفاً موافقاً مع أُصول القضايا، وقد لا ينسجم من القضية بل يمسخها ويقلبها ويصورها بضدّها.

ومن المؤسف حقاً أن أقول: إنّ التحريفات التي دخلت بأيدينا نحن في هذه الحادثة كلّها ممّا يتجه بها إلى التنازل وإلى مسخها وإفراغها عن خواصها وآثارها.

وقد قصّر في هذا الأمر العلماء بالتفريط، والخطباء بالإفراط، ومعهم سائر الناس.

والتحريف اللفظي كثير جداً خارج عن حدّ البيان، بحيث إذا أردنا أن نجمع ما يقرأ من الكذب في مجالس العزاء لسيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام لربما بلغت بمجموعها عده مجلدات من الكتب وأنا سأذكر هنا نماذج من بعض التحريفات التي أحدثوها في حكاية صورة هذه القضية.

أجل، هكذا بدأ الأُستاذ الشهيد الشيخ المطهري رحمه الله حديثه في تحريفات عاشوراء، ثم أخذ يعرف بكتاب المرحوم المحدث النوري رحمه الله في هذا الموضوع فقال:

«إنّ المرحوم الحاج الشيخ ميرزا حسين النوري أعلى الله مقامه، أُستاذ المرحوم الحاج الشيخ عباس القمي، والمرحوم الحاج الشيخ علي أكبر النهاوندي، والمرحوم الشيخ محمد باقر البيرجندي المحدث، كان محدّثاً خبيراً في فنه ذا ذكاء وحفظ قوي وأسلوب جذّاب جميل، ومؤمناً

ذا حرارة وجذبة في إيمانه وتقواه، وجل كتبه كتب جيدة مفيدة. أخص بالذكر هنا كتاباً كتبه في موضوع المنبر الحسيني (على صاحبه السلام) باسم: (كتاب اللؤلؤ والمرجان) وإن لم يكن كتاباً ضخماً بل صغيراً في حجمه نسبياً، ولكنه كتاب جيد جداً، تحدث فيه في وظائف خطباء المنبر الحسيني.

الكتاب في فصلين: أحد فصلين في إخلاص النية باعتباره أن من شروط الخطيب والواعظ وقارئ مجالس عزاء الإمام الحسين عليه السلام أن يكون على نية خالصة، فهو حينما يرقى المنبر ويقرأ شيئاً بشأن الإمام الحسين لا يكون طامعاً في حطام الدنيا وهشيمها! وقد بحث الموضوع بحثاً جيداً، لا أدخل فيه هنا.

والشرط الثاني من الفصل الثاني هو الصدق، وهنا شرح موضوع الصدق والكذب، وقد بحث عن أنواع الكذب بما لا أتصور أن يكون أي كتاب آخر قد بحث في الكذب وأنواعه كما بحثه في هذا الكتاب، قد أبدى هذا الرجل العظيم من نفسه قدرة فائقة في هذا البحث بما لا نظير له، وذكر في هذا الفصل نماذج من الكذب المتداول المنسوب إلى هذه الحادثة التاريخية (عاشوراء)، وقد صرح بهذا الصدد. يقول: إنّ علينا أن نعقد اليوم عزاءً جديداً لم يكن في السابق، بسبب هذه الأكاذيب الكثيرة التي تقال بشأن حادثة كربلاء ولا مانع ولا رادع!

وكتب في مقدمة الكتاب: أنّ أحد علماء الهند كتب إليّ كتاباً شكى

إليّ فيه من الأكاذيب التي تقرأ في مآتم الإمام الحسين عليه السلام في الهند، وقد طلب إليّ أن أكتب له كتاباً لعلّه يردع هؤلاء القرّاء عن قراءة الأكاذيب.

ثمّ يقول المرحوم النوري:

«لقد توهّم هذا الرجل العالم الهندي أن القرّاء حينما يذهبون إلى الهند يكذبون! ولا يدري أن الماء غير صافٍ من منبعه، وأن المراكز في النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة وإيران هي سبب هذه القراءات الكاذبة».

ثم يقول الأستاذ الشهيد المطهري رحمه الله: «وسأبين لكم هنا نماذج من هذه التحريفات تتعلق بما وقع قبل عاشوراء، وبما حدث في أثناء طريق الإمام عليه السلام من المدينة إلى كربلاء، وما حدث في أيام اقامته عليه السلام بكربلاء، وبما وقع على أهل بيته في السبي والأسر، وبما نسب منه إلى بعض الأئمة المعصومين بعد قضايا كربلاء ممّا يتلعق بعاشوراء الحسين عليه السلام.

وقبل ذكرى لهذه النماذج عليّ أن اذكّر بموضوع مهم جداً، وهو أن على جميع الناس مسؤولية تجاه هذا الأمر، أنتم الذين تساهمون بالحضور في مأتم الإمام الحسين عليه السلام ولا تتصورون أن تكونوا مسؤولين عن هذه القضية، بل تتصورون أن المسؤول هو القائل والقارئ والخطيب فقط، كلا بل أنتم مسؤولون أيضاً إنّ على جميع الناس مسؤوليتين كبيرتين:

إحداهما: مسؤولية النهي عن المنكر الذي يجب على الجميع، فإذا

فهم المستمع وعلم ـ وأكثرهم يفهمون ويعلمون ـ بكذب ما يقرأ ويقال لم يجز لهم أن يستمروا جالسين في ذلك المجلس إنّه حرام وعليهم أن يكافحوا هذه الأكاذيب!

وثانيهما: العمل على إبطال ميول أصحاب المجالس والمستمعين إلى تصعيد حرارة المآتم بحيث يرغبون أن يصبح المجلس وكأنه صعيد كربلاء ومسرح عاشوراء! فيرى قارئ المآتم أنّه إن التزم بأن يكون كلّ ما يقرأه صدقاً صحيحاً فسوف لا يصبح المجلس كما يريده المستمعون، وعلى هذا فسوف لا يدعونه للقراءة بعد هذا، فيرى نفسه مضطراً إلى اضافه مشجية مفجعة ـ وإن لم تكن صحيحة ـ إنّ على الناس أن يرفعوا أيديهم ويتنازلوا عن هذا التوقع والإصرار، ولا يؤيدوا ذلك القارئ الذي يحاول ـ بكذبه ـ أن يفجع المجلس ويجعله صعيد كربلاء، ومسرحاً حياً لحوادث عاشوراء ولو بالكذب! إنّ الناس يجب أن لا يصغوا إلّا إلى القراءه الصحيحة الصادقه، كي يرتفعوا بمستوى معارفهم وأفكارهم، وعليهم أن يعلموا أنه إذا اهتزّ ضميرهم ووجدانهم واهتزت عواطفهم بالكلمة الصادقة وانسجمت أرواحهم مع روح الحسين بن علي عليه السلام وسالت على أثر ذلك ولو دمعة واحدة من أعينهم فإن لك مقام معنوي كبير، أما الدموع التي تستدرّ من العيون بالأكاذيب فلا قيمة لها ولو كانت كزبد البحر.

إنّ هذا التوقع من قبل أصحاب المجالس أن تصبح مجالسهم مسارح

لحوادث كربلاء هو مولد للكذب؛ فإنّ أكثر الأحاديث المذكورة الموضوعة إنّما كانت مقدمة لاستدرار الدموع فمن أجل أن يتطرّق القارئ إلى ذكر مصاب كربلاء ويستدرّ به الدموع يرتكب هذه الأكاذيب، وليس أي شيء سوى هذا...».

هذا هو ما يقوله الأستاذ الشهيد المطهري ثم يبدأ بذكر النماذج.

ونحن نبدأ بذكر قصة كتاب (اللؤلؤ والمرجان) ثم تلخيصه:

قصة كتاب (اللؤلؤ والمرجان)

كتب أحد علماء الهند يصفه المؤلف في مقدمة كتابه بألقاب جليلة إلى أن يقول السيد السند المؤيد المجتبى، المولوي محمد مرتضى العندي الجونبوري، مرات عديدة إلى المؤلف المحدث المحقّق العلامة الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي صاحب الكتاب الكبير (مستدرك الوسائل) يشكو إليه خطباء المنبر الحسيني عليه السلام أنهم غير آبهين بالكذب، بل حريصون عليه، ومصرّون إصراراً تاماً على نشر الأكاذيب والموضوعات، بل يكاد بعضهم أن يرى ذلك جائزاً ومباحاً، وأنه خارج عن صفة المعصية، وحتى القبح العقلي لأنه يسبب بكاء المؤمنين على الحسين المظلوم الشهيد عليه السلام، فطلب منه أن يكتب مقالاً بهذا الشأن داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل هؤلاء بالتي هي أحسن، عسى أن يكون تنبيهاً لهم فيكفّوا عن هذه السنّة القبيحة!

ثم يقول المؤلف: «ولو لم يكن أهل العلم ليتساهلوا مع هؤلاء، بل كانوا يراقبونهم على تمييز السليم عن السقيم والصدق عن الكذب من مقالهم فينهونهم عن نشر الأكاذيب، لم يكن ليصل الأمر بهم إلى هذا الحد من الفساد والجرأة على الله والرسول والأئمة عليهم السلام، ولم يكونوا هكذا ينشرون الأكاذيب الواضحة المعلومة الفساد، ولم يكن ليصل الأمر بمذهب الإمامية إلى هذه الدرجة من الاستهزاء والسخرية ولم تكن هذه المجالس الشريفة تصل إلى هذا الحد من فقدان بهائها ورونقها وبركتها الروحية والمعنوية!».

ثم يعتذر إليه من تأخير الإجابة فيقول: «وبسبب اشتغالي بتأليف كتاب (مستدرك الوسائل) لم أكن لأتمكن من اجابة ملتمسة، حتى إذا فرغت في هذه الأيام من هذه الخدمة كتبت هذا المختصر ـ حسب أمر السيد ـ في بيان الكيفية اللائقة لعمل هذه الطائفة وسميته بت (اللؤلؤ والمرجان) في بيان شرائط الخطباء، ورجائي ـ بلطف الله ـ واثق بأن يكون هذا الكتاب سبباً في ردع بعضهم عن جميع أو بعض تلك الأكاذيب والفساد العظيم المترتب عليها إن شاء الله تعالى» ثم يبوب الكتاب إلى مقدمة وفصلين وخاتمة:

أما المقدمة، ففي بيان أن إبكاء المؤمنين على المصائب التي أُصيب بها أبو عبدالله الحسين وسائر أهل بيته عليهم السلام من العبادات المندوبه المستحبة، المقرر لها الثواب الجزيل والأجر الجميل.

ثم يقول: ولكن الوصول إلى هذه الرتبة الجليلة والانخراط في سلك هذه الطائفة مشروطة بشروط عمدتها شرطان..

على كلّ خطيب أدخل نفسه في هذا الصنف أن يحصل على هذين الشرطين على نحو الجزم أو الاطمئنان بل يختبر نفسه في ذلك عارضاً لها على الميزان العادل الذي هو بيد العلماء الرّاسخين أُمناء الشرع المبين ليخلص من كيد الشياطين ولا يلقي بنفسه إلى التهلكة والخسران المبين!

وهذان الشرطان أحدهما: الإخلاص، والآخر: الصدق، ونذكر شرح هذين الشرطين ضمن فصلين: الفصل الأوّل في الإخلاص:

قال في هذا الفصل: يجب أن يعلم الخطباء بأن عملهم عبادة كسائر العبادات، وإنما يكون العمل عبادة فيما إذا لم يكن للعامل حين العمل أي قصد سوى رضا الله، والرسول وأئمة الهدى صلوات الله عليهم، وإنْ كان فإنّما هو مجرد حصول الثواب الموعود وغفران الذنوب، فإن ذلك لا ينافي الإخلاص إذ العمل معه لإطاعة أمر البارئ عزّ اسمه، وبالطاعة يصل المطيع إلى ما أعدّ من الثواب الجزيل والأجر الجميل ويأمن من شرّ ذنوبه. فحينما يضع الخطيب قدمه على المرقاة الأُولى لمنبر الخطابة يجب أن ينسى غير ذات الواحد سبحانه، وخلفائه الراشدين المعصومين عليهم السلام: ينسى كل أحد فلا يرى أحداً ولا يطلب رضا أحد سواه سبحانه، ولا يرقى المنبر لتحصيل المال، أو نشر فضيلته في الأقطار والبلاد، وإيصال محاسن مقاله إلى أسماع العباد.

ثم يقول: إنّ الخطيب الذي يكون غرضه الأصلي من وراه تعلّم فن الخطابة وما يتعلق بها من أخبار الفضائل والمصائب والخطب والمواعظ وحتّى المسائل الدينية، مجرّد تحصيل المال وكسبه، فيكون كسائر الكسبة والتجار يعامل الناس ويساومهم في زيادة وقلّة الأجرة، لعرض متاعه على الزبائن والمشترين يرسل الوسائط إليهم ويكتب الرسائل، فإذا أُذِنَ له وذهب وقرأ وكان ما أعطي أقل مما كان يتوقع غضب وفضحه!

إنّه من أوضح مصاديق ما رواه الكشي في رجاله عن العرف بن القاسم عن علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال له:

«إياك أن تستأكل بنا فيزيدك الله فقراً».

وما رواه الكليني في الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام في وصاياه لأبي النعمان:

«ولا تستأكل الناس بنا فتفتقر».

ورواه المفيد في أماليه هكذا: **«يا أبا النعمان: لا تستأكل بنا الناس فلا يزيدك الله بذلك إلّا فقراً»** وما رواه الكليني في الكافي أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن أراد به الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة»[1] وما رواه ابن شعبة الحراني في آخر كتابه

(١) أصول الكافي: ٤٦/١، الحديث ٢، ولفظه: «... ومن أراد بـه خـير الآخرة ..» ط

تحف العقول في وصايا المفضل بن عمر لأصحابه:

(لا تأكلوا الناس بآل محمد ﷺ، فإني سمعت أبا عبدالله يقول: «افترق **الناس فينا على ثلاث فرق: فرقة أحبّونا وانتظروا قائمنا ليصيبوا من دنيانا، فقالوا وحفظوا كلامنا وقصّروا عن فعلنا فسيحشرهم الله إلى النار، وفرقة أحبّونا وسمعوا كلامنا ولم يقصروا عن فعلنا، ولكن ليستأكلوا الناس بنا، فيملأ الله بطونهم ناراً، يسلّط عليهم الجوع والعطش، وفرقة أحبّونا وحفظوا قولنا وأطاعوا أمرنا ولم يخالفوا فعلنا فأولئك منّا ونحن منهم»)**[1].

ومن العجائب المضحكة أن هؤلاء مع هذه التجارة ومعارضة الدنيا بالآخرة يفخرون على منابرهم في محافلهم ومجالسهم فيعدّون أنفسهم من خدّام سيّد الشهداء ﷺ! وإنّما يدخل الخطيب في سلك خدّام ذلك الإمام ﷺ فيما إذا كان ما يقوله لله عزّ وجلّ ولأداء حق أوليائه ﷺ، وإلّا فهو كاسب اتّخذ فضائلهم ومصائبهم رأسمال لعمله.

ثم إنّ المحدّث النوري ﷺ عدّ بعض المهالك العظيمة المترتبة على عدم إخلاص الخطيب فمنها:

أوّلاً: حرمانه من الثواب المعدّ للإخلاص في هذه العبادة.

ثانياً: دخوله في مصداق من جعلوا آل محمد ﷺ رأسمال لعملهم وتجارتهم وكسب معايشهم كما ذكر.

= مكتبة آخوندي.

(١) تحف العقول: ٣١٤، مطبعة الأعلمي.

ثالثاً: دخوله فيمن باع آخرته بدنياه.

رابعاً: دخول كثير منهم في مصداق من يصف معروفاً ولا يعمل به، فيقول: سيما أولئك الذين يذكرون الخطب البليغة لأميرالمؤمنين عليه السلام وموعظه الشافية وقوله وفعله، فيحذرون الناس حب الدنيا وآفاتها ومهلكاتها وبلياتها، ويحثونهم على بغض الدنيا والزهد فيها، ويستشهدون لذلك بأحوال أئمة الدين وخواص أصحابهم والعلماء العاملين، ويذكرون الآيات والأحاديث المناسبة مرتبة ومنتظمة.. بينما هم معجبون بجيفة الدنيا، مغرمون بها، متلوثون بخبائثها ورذائلها، بحيث إذا غفل صاحب المجلس في حين دخولهم أو خروجهم فلم يعمل بلوازم تكريمهم وتوقيرهم كما يتوقعون، أو قلل من أجرتهم شيئاً اهتموا وعتبوا واعترضوا وردّوا الأُجرة ولم يعودوا لذلك المجلس، وهو مع هذه الحالة الذميمة والأفعال القبيحة يعيبون على أهل الدنيا ويحسبون أنفسهم من أهل الآخرة!

ثم ينبه على عدّة أمور يحتوي أوّلها على بيان حقيقة الزهد فيقول:

إنّ حقيقة الزهد: هو إعراض القلب بصدق عن الدنيا وعدم تعلّقه بها، وعدم الاعتناء بها كشيء ينبغي أن يتعلق قلبه بها، ويحبه، بحيث لا يفرح بها إذا أقبلت عليه ولا يغتمّ إذا ولّت عنه: ﴿لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ .

فمن بلغ إلى هذه الرتبة لم تكن له رغبة حريصة على تحصيلها

وجمعها، ولا يبدي السرور لإقبالها ولا يضطرب لإدبارها وهان عليه امتثال الأمر الإلهي في انفاق المال الواجب منه كالزكاة والخمس وأمثالهما، والمستحب كسائر الصدقات، بل تنشط للطاعة، إذ يتساوى لديه الذهب والفضة مع الحجر والتراب.. بهذا وأشباهه من العلائم والآثار بإمكاننا أن نعلم أنه صاحب زهد حقيقي.

وقد تبدو هذه العلائم والآثار من أحد دون أن يحس في نفسه بحقيقة الزهد، بل هو يحب الدنيا وقلبه متعلّق بها، ولكنه متنفّر من ذلك ولا يرضى لنفسه بتلك العلاقة، فهنا عليه أن يحاول الحصول على العلائم والآثار والاستمرار عليها آملاً في الوصول إلى الحالة النفسانية، كما جاء في الحلم عن أميرالمؤمنينعليه السلام إذ روى الآمدي في (الغرر والدرر) أنه قال: «إن لم تكن حليماً فتحلّم، فإنه قلّ من تشبه بقوم إلّا أوشك أن يكون منهم».

وأيضاً عنهعليه السلام: «من لم يتحلّم لم يحلم».

وفي التنبيه الثاني ينبّه المؤلف على عدد من المحرمات الضمنية منها:

الترويج للباطل في المحافل أو في الدعاء في نهاية المجالس والمدح لمن لا يستحق ذلك، والإهانة إلى عظماء الدين، وإفشاء أسرار آل محمدعليهم السلام، وإعانة الظالمين، وتعزيز المجرمين، وإثارة جرأة الفاسقين، وتفسير القرآن، والحديث بالرأي والمعاني الفاسدة، والفتوى بغير علم وتنقيص مقام الأنبياء لتعظيم مقام الأئمةعليهم السلام .

وتقطيع الأخبار وحذف ما لا يتلاءم منها مع الأفكار الخاصة.

والإكثار من القصص والاكتفاء بها وبالمضحكات منها بالخصوص.

وطرح الشبهات بقوّة مع الضعف في ردّها وجوابها.

وذكر ما ينافي عصمة أهل البيت عليهم السلام.

فالخطب بهذه وأمثالها لا يفقد الإخلاص فحسب بل يرتكب كبائر الذنوب والمعاصي.

وبهذا ينتهي خلاصة الفصل الأوّل من الكتاب.

وفي الفصل الثاني من الكتاب، يبيّن الشرط الثاني من الشرطين الأساسيين للخطابة وهو الصدق، ويوضّحه ضمن مقامات خمسة:

الأوّل: في مرتبة الصدق والثناء عليه.

والثالث: في تعظيم إثم الكذب على الله ورسوله والأئمة الطاهرين عليهم السلام.

والرابع: في أقسام الكذب وأحكامها.

والخامس: في بيان المراد من الصدق في الخطابة.

وفي المقام الرابع حيث يقتم الكذب يذكر منه الكذب على المعصومين في أمور الدنيا ومعاشرة الناس ويمثل لذلك بما يقرأه جماعة من الخطباء: أنّ زينب عليها السلام جاءت إلى أخيها الحسين عليه السلام وهو في حالة الاحتضار فيروون عنها كلمات ثم يقولون: فرمقها الحسين بطرفه وقال لها: أُخيّه ارجعي إلى الخيمة فقد كسرت قلبي وزدت كربي.

وفي القسم الثاني عشر منه يذكر الكذب المعمول المتعارف في الكتب والمقالات والمقامات شعراً ونثراً شبيهاً بالنظم كمقامات الهمداني والحريري وأمثالهما، فينقل عن المحقّق النراقي في كتابه (مستند الأحكام) في فروع الكذب على الله والرسول والأئمة عليهم السلام في يوم الصيام أنّه قال:

«وما ينسب إليهم من القول في المراثي ونحوها ممّا نقطع أنهم لم يقولوه، فإن كان بما يعلم أن نسبة هذا المقال إليهم إنّما هو من مبالغات الشعر المتعارف عليها في الأشعار، فالظاهر أنه لا بأس به، وإلّا بطل الصوم بنسبة تلك الكذبة والأحوط تركهما».

ثم يقول المؤلف: يظهر من عمل العلماء والسيرة المستمرة وبعض القرائن الأخرى: أنّ هناك تساهلاً شرعياً في الشعر، وفي النثر المتشابه للشعر من حيث الصدق والكذب وأنهم لم يجروا على ظاهره حكم الكذب، والوجه فيه هو ما أشار إليه النراقي في مستنده، فإنّ كثيراً ممّا يقولونه في هذه المقامات ونحوها فينسبون به قولاً أو فعلاً إلى أحد، إنّما هو مبني على المبالغة والاستعارة والتشبيه لا يقصد به معنى آخر يتنزه الكلام بملاحظته عن لوث الكذب القبيح؛ بل يعد بملاحظة ذلك المعنى ذا مزايا من الفصاحة والبلاغة وفي عداد المختار من المقالات. وهذا باب نجد منه حتّى في كلام الله تبارك وتعالى، وهو كلام صدق وليس كذباً، فقد يكون الإنسان أو الحيوان أو النبات أو الجماد على حالة بإمكاننا بعد

الاطلاع على حاله هذا أن ننتقل ونصل إلى أمور أخرى، بحيث لو كان صاحب تلك الصفة أو الحالة ذا لسان ناطق وكان حياً حاضراً ويريد أن يخبرنا عن حاله لكان يخبرنا بما ينقله لنا الآن هذا الناقل عن لسانه ويقول: قال فلان كذا، فهذا كلام صادق غير كاذب، إذ غرض قائله، أن فلاناً على صفة كذا، فهذا كلام صادق غير كاذب، إذ غرض قائله، أن فلاناً على صفة كذا، وهذا هو الذي يقال له، لسان الحال ومنه ما يقولونه وفي كل شيء له آية تشهد له على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته ورزقه.

وبهذا أوّل السيد المرتضى وجمع من المتكلمين غير القائلين بالشعور للحيوانات، أوّلوا الآيات والأخبار الدالة بظاهرها على وجود الشعور فيهم، ففي رسالة في (المسائل الطرابلسيات) في بيان قصة النملة مع سليمان عليه السلام التي نقلها الله في قرآنه المجيد، بعد أن تبيّن أن النملة الأولى إذ رأت سليمان وجنوده خافت وزمزمت بما كان شارة خوفها وإخطارها لسائر النمل، قال: (وتلك الحكاية البليغة الطويلة لا تجب أن تكون النملة قائلة لها ولا ذاهبة إليها، وإنّما لما خافت من الضرر الذي أشرف النمل عليه جاز أن يقول الحاكي لهذه الحال تلك الحكاية البليغة المرتبة، لأنها لو كانت قائلة ناطقة ومخوفة، بلسان وبيان، لما قالت إلّا مثل ذلك».

ثم قال المحدّث النوري: لا زال العلماء الأخيار يسطّرون هكذا كلمات في النظم والنثر، بل يزينون بها مقالاتهم وكلماتهم، ويتوصلون بها إلى منصّة القبول، وبما أنه كثير في النظم فهم يتجاوزون ذكر القرينة

على ذلك من صدر كلامهم بأن يقولوا: بأن مرادهم بقول من ينسبون إليه إنّما هو القول بلسان الحال لا الواقع. خلافاً للمنثور من الكلام إذ لابد فيه من التنبيه على ذلك، كما هو مقتضى التقوى، لكيلا يؤخذ كلامه بظاهره فينتسب الكذب إلى المعصومين عليهم السلام أو غيرهم.

ثم روى كمثال على ذلك ما نقله الشريف الرضي في (نهج البلاغة) أن أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن قرأ (سورة التكاثر) قال في بيان حال الأموات:

«ولئن عميت آثارهم وانقطعت أخبارهم، لقد رجعت فيهم أبصار العبر، وسمعت عنهم آذان العقول، وتكلموا من غير جهات النطق، فقالوا: كلحت الوجوه النواظر وخوت الأجساد النواعم ولبسنا هدام البلى وتكادنا ضيق المضجع، وتوارثنا الوحشة وتهكمت علينا الربوع الصموت، فانمحت محاسن أجسادنا، وتنكرت معارف صورنا، وطالت في مساكن الوحشة إقامتنا، فلم نجد من كرب فرجاً، ولا من ضيق مخرجاً»(١).

ثم يدخل المؤلف في المقام الخامس: في بيان المراد من الصدق في مقام نقل الأخبار والقصص والسيرة الذي يجب أن يعلم به الخطيب ويرعاه في مقام العمل فيعرف بذلك ما عليه من التكاليف في كيفية نقل الأخبار والقصص، فيقول في توضيح المراد:

إنّ الناقل إذا نقل الخبر والقصة بالواسطة وهو عن غره حتى يصل

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢١، ط الصالح.

إلى أصل الخبر والقصة، لم يكن غالباً ما ينقله النقال قطعياً لديه، فضلاً عمّن يسمع منه، بل يحتمل فيه الصدق والكذب كليهما. نعم قد يظن الناقل والسامع في بعض القصص والأخبار بطرف من الطرفين، الصدق والكذب، ولكن لا عبرة بهذا الظنّ، إلّا ما كان منه من طريق خاص، أو بالغاً إلى درجة معينة، قد ذكر ذلك كلّه في محلّه من علم الأصول. وبما أن كثيراً من أمور معاش بني‌آدم بل كثير من أُمور معادهم يصلهم بطريق النقل ورواية الرواة، فقد قُرّر لذلك الشرع الحنيف موازين معينة، كيي يتبعها المتشرعون ولا يتجاوزونها، فإذا تجاوزنها أحدهم عدّ في الشرع كاذباً.

فالكذب هنا هو ما يخالف الحق ورضا الله وقانون الشرع، في قبال المعنى العربي اللغوي له وهو ما يخالف الواقع الخارجي. بل قد يكون ما يقوله صدقاً وإنّما يقول أو ينقل الناقل ما رآه بعينه، ولكنه قد تقرر في الشرع شروط لو لم تتحقق لم يجز نقله، فإذا نقله كان كاذباً، مع أن ما يقوله صدق في الواقع، كما يكون ذلك في توجيه نسبة الزنا إلى الزوجة التي رآها عليه، فإنّه لا يجوز له نقله إلّا بأربعة شهود قد شهدوا ما شهد هو ورأى، فإن فعل جرى عليه حد القذف (إلّا مع اللعان) وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

---

(١) النور: ٤.

أما الحكم العام: فتكليف الناقل أنْ ينقل ما ينقل عن ثقة يطمئن إلى ما ينقله له، ولا يكون كذلك حتى يكون ذلك متحرزاً عن قول الكذب، بل يكون بناؤه على قول الصدق، بل يكون ذلك قد أصبح عادة وملكة له معروفاً بذلك عند مَن يعرفه ويعاشره ولا يكون كثير النسيان والسهو، بصيراً بما ينقله ولو إجمالاً، فإذا كان كذلك اطمأنّ السامع إلى نقله.

هذا هو الحكم السائد لدى جميع العقلاء في جميع العصور والقرون، أنهم إنّما ينقلون الأخبار عن هؤلاء الثقاة، وبدون النظر إلى مذهب الراوي هل هو على حقّ أو على باطل، ولا فرق في هذا المقام في نقله وروايته بلسانه أو كتابه.

أما إذا كان الناقل ينقل الخبر عن غير الثقة، فهو أيضاً في حكم الكاذب في الشرع! ويدل على هذه الدعوى كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصاياه إلى ابنه الحسن أو الحسين عليهما السلام التي نقلها الشريف الرضي في (نهج البلاغة) والسيد ابن طاووس في كتابه (كشف المحجة لثمرة المهجة) عن (رسائل الشيخ الكليني) بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام وقد جاء فيها قوله عليه السلام: **«ولا تحدّث إلّا عن ثقة فتكون كذّاباً»**.

وقريب من هذا ما رواه أيضاً في (نهج البلاغة) عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه كتب إلى الحارث بن الأعور الهمداني يقول له: **«ولا تحدّث الناس بكل ما سمعت وكفى بذلك كذّاباً»**.

وحاصل جميع هذه الأخبار المعتبرة هو: أن المكلف في مقام نقله

لخبر ديني أو دنيوي لإفادة أمر واقعي إلى غيره، فحينما ينقل ذلك عن واسطة أو وسائط أو كتاب، يجب عليه أن ينقل ذلك عن ثقة يطمئن إلى نقله فإن ظهر بعد امتثاله لهذا الأمر خطأ ولم يكن الواقع كما سمعه أو رآه في كتاب وترتب على ذلك مفسدة فلا يكون ذلك سبباً لمؤاخذته في الآخرة ولا موجباً لندم الناقل على نقله لذلك الخبر عن الثقة، إذ ه معذور في نقله عند الخالق جلّ وعلا إذ أذِنَ له في النقل عن الثقة، وكذلك عند الخلق إذ مدار أُمور حياتهم على النقل عن الثقاة والاعتماد على أخبارهم، فإذا ترتب فساد على هذا النقل لم يندم على ذلك.

أما إذا تساهل في مقام النقل فلم يفرّق بين الثقة وغيره، ونقل كلّ ما سمعه من أيّ ناقل وما رآه في أيّ كتاب، وظهر أنه كذبٌ بل ترتب عليه مفسدة، لم يكن معذوراً عند الله والناس، بل شمله ما ورد بشأن الكذّابين من الذم واللوم، وما أعدّ لهم من النكال والنقمة، ولا يحق له أن يعتذر بعدم علمه بكذبه وأنه احتمل صدقه؛ إذ يقول الله له: لقد حذّرناك أن لا تنقل كلّ ما سمعته من كلّ أحد، وأن لا تروي كلّ ما رأيته، فيعذّب بعقاب الكذب ويؤاخذ على المفاسد المترتّبة على ذلك، وإن لم يعلم بكذبه حين نقله.

فناقل الحديث حيث لا علم له بصدقه ولم يبلغه من الشرع أمر بالعمل بذلك الخبر تصديقاً به، فاعتماده على غير الثقة في النقل عمل بجهالة، والتعليل المذكور في آية النبأ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ

بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1]. يثبت لنا أنّ العمل بجهالة مذموم وممنوع عقلاً وشرعاً، وأنّ كلّ ما يترتب عليه من نتائج السوء، فسوف يؤاخذ به العامل بجهالة وسوف يندم على عمله هذا، بخلاف من ينقل عن الثقة، فإنّه وإنْ كان غير مطلع على صدق ذلك الخبر، لكنّه حيث كان له إذن بل أمر من الشارع بالأخذ بنقل الثقاة وتصديقهم والبناء على واقعية ما أخبروا به، فكلّما عمل على أمر الشارع هذا فنقل عن الثقة، لم يكن عاملاً بجهالة: فإذا فرض أنّ كان قول الثقة خلافاً للواقع، وترتب على ما نقله ذلك الثقة مفسدة أو مفاسد، فبما أنّ ذلك كان بأمر الشارع لم تتبعه تبعات عمله ولا يندم على ذلك، وكان معذوراً عند الله والناس.

ومن هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام كما في الكافي: «إذا حدّثتم بحديث فأسندوه إلى الذي حدّثكم، فإن كان حقاً فلكم، وإن كان كذباً فعليه»[2].

ثم يذكر المؤلف عدّة تنبيهات في المقام، فيقول في التنبيه الأوّل: حيث علمت أن تكليف الناقل في نقله لأُمور الدين والدنيا وللآخرين، هو أن ينقل ذلك من لسانه أو مؤلفاته، أو في هذه العصور منحصر غالباً في النقل عن الكتب، وعرفت أن المحذور في النقل عن الثقات وأن نقله لو كان خلاف الواقع لم يكن على هذا الناقل حرج وملامة، فيعلم أنّ

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) أُصول الكافي: ١/٥٢، الحديث ٧.

الثقة أيضاً كثيراً ما ينقل خبراً، ولكن الثقاة الآخرين ينقلون ما يخالفه، وقد يكون ما نقله منافياً لبعض القواعد وأصول المذهب، ولا ينافي نقل الثقة بل المؤمن العادل لخبر كهذا، لا ينافي وثاقته وعدالته، فإن لاختلاف الحديث والأخبار والقصص والحكايات أسباباً وعوامل كثيرة.

والذي يهمّنا هنا هو تنبيه الخطيب المؤمن المتّقي البصير على أنه إذا رأى رواية في كتاب عالم، فهو وان لم يكن عليه محذور في نقله؛ لكنه عليه أن يتأمّل ويلتفت بل يفحص كيلا يكون ذلك مخالفاً لما ذكره سائر العلماء ويظهر منه أنّ الخبر الأوّل خلاف الواقع، بحيث لا يبقى بدّ من تأويله من ظاهره، وعليه قبل ذلك أن يذكر المصدر مستنداً عليه، ولا يخبر بالخبر بصورة قطعية بأن يقول: كان الإمام أو قال أو عمل الإمام كذا، ثم عليه أن يشير إلى الخلاف في المسألة ومخالفة الآخرين من العلماء، أو المحدثين لهذا الراوي، كيلا يغرّر بالمستمعين، ولا سيّما فيما إذا كان الناقل من كبار العلماء.

ثم يذكر المؤلف لتوضيح الموضوع مثالين فيقول:

الأوّل: ما قاله العالم الجليل عديم المثيل الشيخ المفيد رحمه الله في كتابه (الإرشاد) في سياق ذكره لمعاجز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

«ومن آيات الله الخارقة للعادة في أمير المؤمنين عليه السلام: أنه لم يعهد لأحد من مبارزة الأقران ومنازلة الأبطال مثلما عرف له عليه السلام من كثرة ذلك على مرّ الزمان، ثم إنّه لم يوجد في ممارسي الحروب إلّا من عرفته بشر

ونيل منه بجراح أو شين، إلّا أميرالمؤمنين عليه السلام فإنه لم ينله مع طول مدة زمان حروبه جراح من عدوّه ولا شين، ولا وصل إليه أحد منهم بسوء، حتى كان من أمره مع ابن ملجم على اغتياله ما كان.

هذه أعجوبة أفرده الله تعالى بالآية فيها، وخصّه بالعلم الباهر في معناها، فدلّ بذلك على مكانه منه وتخصّصه بكرامته التي بان بفضلها من كافه الأنام[1].

ثمّ قال الشيخ النوري رحمه الله: وليس بالإمكان الإذعان بكلام هذا الشيخ العظيم وتركه على ظهره إذ هو ينافي أخباراً كثيرة روى بعضها هذا الشيخ العظيم نفسه. ثم سرد خمسة عشر خبراً معتبراً مخالفاً لما أفاده رحمه الله.

ثم انتقل إلى المثال الثاني: فذكر خبر السيّد ابن طاووس في أواخر كتابه (الملهوف في قتلى الطفوف) في أربعين الإمام الحسين عليه السلام: ثم ذكر ما ينافي فذكر أموراً سبعة يستبعد معها التصديق بخبر الأربعين الأوّل، والذي تكفّل بردّه مشروحاً مفصّلاً الشهيد السيّد القاضي الطباطبائي في كتابه (تحقيق الأربعين) (بالفارسية).

وفي التنبيه الثاني، يقول الشيخ النوري رحمه الله: إنّ غاية ما يحصل السامع من خبر الثقة ونقله، بل نقل المؤمن العادل، إنّما هو الظنّ أو الاطمئنان بصدق الخبر إذ أنّ الناقل العادل أو الموثق لا يكذب عمداً، ويستبعد احتمال النسيان والخطأ في الأمور المحسوسة التي يخبر عنها فلا عبرة به.

(١) الإرشاد: ٣٠٧ ط آل البيت.

هذه إذا لم تكن بعده إلينا واسطة وكانت السلسلة طويلة والنقل من كتاب عن كتاب، وهو بدوره عن كتاب آخر، وهكذا فيكثر أسباب سلب الطمأنينة إليه في أخباره، وذلك لكثرة وجود الخطأ والنسيان والسقط في النسخ، وكثرة التحريف والتصحيف من الكتّاب والنسّاخ، وعدم العلم بأنّ هذا الكتاب هو من مؤلفات من ينسب إليه، وظهور عدم وثاقة صاحب الكتاب السابق الذي اطمأنّ إليه الناقل الثقة لعدم خبرته وبصيرته وغير ذلك من العلل والعوامل. ولهذا فإن الناقل المتدين المستقيم الطريقة، لا ينبغي له أن يقطع بمجرد وقوفه على خبر في كتاب منسوب إلى أحد العلماء، فلربماكان قد كتبه في أوائل عمره وهو بعد لم يبلغ مقام التمييز للخبر السليم عن السقيم والراوي الثقة عن غيره، ولهذا توجد في كتابه أخبار موهونة مخالفة لرواية الثقات، بل أخبار كاذبة باليقين، مثل: كتاب (محرق القلوب) للعالم الجليل المولى محمد مهدي النراقي من أعيان علماء الدهر وأحد الخمسة من المهديين في عصره، مع ذلك يوجد في كتابه هذا مطالب منكرة يعجب الناظر البصير فيها، كيف كتب ذلك العالم هكذا أخبار في كتابه كارسال المسلّمات، من دون أن ينسب ذلك الى عالم معيّن أو كتاب...

فمن ذلك: أن يوم عاشوراء ظهر في الميدان رجل جاول وطارد، ثم وقف وعرّف نفسه أنه هو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ابن عمّ عمر بن سعد! ثم بارز وقاتل بين يدي الحسين عليه السلام حتى قتل! هذا وقد قتل هاشم

المرقال في صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام في يوم مقتل عمار بن ياسر، وقد ورد هذا قبله في كتاب (روضة الشهداء) للكاشفي.

وقد يكون مؤلف الكتاب من كثرة اخلاصه واشتياقه لنشر مناقب ومصائب أهل البيت عليهم السلام، مع ما له من قوّة تبيين السليم عن السقيم، لا يلتفت إلى ذلك ولا يفرّق بينهما، إذ يجعل همه تعظيم تلك المصائب فيستقبل كلّ سبب لذلك، بل يصل به الأمر إلى أن يقوّي بزعمه الأخبار الواهية والقصص الكاذبة باعتبارات ضعيفة ونكات سخيفة واستحسانات باردة.

أتذكّر أنه في أيام مجاورتي لمرقد الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء المقدسة واستفادتي من علامة عصره الشيخ عبدالحسين الطهراني (طاب ثراه) جاءه سيّد قارئ من أهالي مدينة الحلّة حاملاً معه إليه عدة أجزاء عتيقة من ميراث والده وكان قارئاً معروفاً، يقصد استعلام اعتبار أو عدم اعتبار تلك المجاميع المخطوطة، ولم يكن لها أوّل ولا آخر وكان مكتوباً في حاشية أوائلها: هذا من تأليف فلان من تلامذة المحقّق صاحب المعالم، ولم يكن في مؤلفاته مقتل الحسين عليه السلام، ولما قرأ الشيخ بعض الأجزاء علم أنها ليست من مؤلفاته ولا يحتمل أن تكون من مؤلفات عالم، وذلك لكثرة اشتمالها على الأكاذيب الواضحة والأخبار الواهية، فنهى الشيخ ذلك السيّد عن نقل ما فيها ونشره.

ثم اتفق أن أطلع عليها أحد معارف الفضلاء فأخذها من ذلك السيّد

القارئ، وكان مشتغلاً بتأليف كتابه (أسرار الشهادة) فروى مرويات تلك الأجزاء في كتابه بتصرف فيها فأضاف بها على عدد الأخبار الواهية الموضوعة فيه، وفتح بذلك أبواب الطعن والاستهزاء للمخالفين.

ثم يستنتج المحدّث النوري رحمه الله من ذكر هذه الأمثلة قائلاً: فإذا كان الخطيب القارئ بانياً على العمل الصحيح وقاصداً أن يحشر نفسه في سلك خواص خدّامهم عليهم السلام، ولا يرى في نفسه قوة تمييز الكتاب المعتمد عن الكتاب غير المعتمد، ولو كان الأوّل من غير عالم والثاني من عالم فليسأل ذلك من اساتذة أهل الفن، ولا يتعدّى مقالهم.

جاء رجل من مدينة (كرمانشاه) إلى العالم الكامل الفريد الشيخ محمّد علي صاحب المقامع رحمه الله فعرض عليه: أنّه رأى في الرؤيا أنّه يقطع بأسنانه من لحم جسم الإمام الحسين عليه السلام فأطرق الشيخ يفكّر ولم يكن يعرفه، ثم رفع رأسه يسأله لعلّه يقرأ على الحسين عليه السلام؟ قال: نعم، فقال الشيخ: لا ينقل شيئاً من غير الكتب المعتبرة وإلّا فاترك القراءة عليه مطلقاً.

وفي التنبيه الثالث يقص الشيخ عن علماء اليهود قصة (المسنا) في شرح التوراة الذي ألفه يهودا ابن شمعون بعد عهد عيسى عليه السلام في مدة أربعين سنة، ثم تأليف التفسير الأوّل له القرن الثالث في مدينة أورشليم يعرف فيهم باسم بجمرا أورشليم، والتفسير الثاني في القرن السادس في مدينة بابل العراق يعرف فيهم باسم كمرا بال، أو تلمود اورشليم وتلمود

بابل ثم يشبه بذلك ما يتداوله القرّاء نقلاً عمّا سمعوه من القرّاء قبلهم أو ما رأوه في مجاميع مخطوطة، أو عن محفوظات الصدور، فإن هذا يشبه المسنا المكتوب بعد عدة قرون من عهد موسى بل وبعد عيسى عليه السلام نقلاً عن محفوظات صدور شيوخ اليهود بادّعاء أنها من الوحي لموسى غير المكتوب علاوة على ما في التوراة.

وللمثال يذكر قطعاً منها:

أوّلاً: ما ينقلونه عن حبيب بن عمرو: أنه أتى أمير المؤمنين عليه السلام بعد الضربة على رأسه الشريف، وحوله رؤساء القبائل وشرطه الخميس والأشراف، وما منهم أحد إلّا ودمع عينيه يترقرق على سوادها حزناً على أمير المؤمنين عليه السلام، فنظرت إلى أبناء علي عليه السلام وقد أطرقوا برؤوسهم وما تنفس منهم متنفس إلّا وظننت أن شظايا قلبه تخرج من أنفاسه.

ثم جمعوا له الأطباء فأخرج أثير بن عمرو رية الخروف وأدخله (هكذا) في الجرح ثم أخرجه فرآه مطّخاً بمخ رأسه فسأله الحاضرون فخرس أثير وتجلج لسانه ففهم الناس وأيسوا من أمير المؤمنين عليه السلام، فاطرقوا برؤوسهم يبكون صامتين مخافة أن يسمع النساء ذلك، إلّا أصبغ بن نباتة فإنه لم يطق ولم يتمالك نفسه دون أن شرق بعبرته ففتح أمير المؤمنين عينه.. إلى أن يقول: فقال حبيب: فقلت: يا أبا الحسن! الصل يقوى إذا ارتعش، والليث يضرى إذا خدش! فأجابه أمير المؤمنين بجوابٍ سمعته أم كلثوم فبكت، فطلبها أبوها فجاءت إليه حتى دخلت عليه فقالت

له: أنت شمس الطالبيين وقمر الهاشميين دشاس كثبها المترصد، وأرقم أجمتها المتفقد، عزتنا إذا شاهت الوجوه ذلاً، وجمعها إذا الركب الكثير قلا.. إلى آخر الخبر.. وقد نقل الخبر أبو الفرج في (مقاتل الطالبيين) وليست فيه هذه التفاصيل وجاء من أصولنا في (أصل عاصم بن حميد) كذلك من دون هذه التفاصيل.

ثانياً: ما نقله الدربندي في كتابه نقلاً عن مجموعة منسوبة لبعض القرّاء، عن عبدالله بن سنان، عن أبيه عن جدّه، أنه كان رسول أهل الكوفة بكتابهم إلى الإمام الحسين(ع) ثم يروي تفاصيل خروجه(ع) وعياله ثم تفاصيل حمل عياله من كربلاء أُسارى فيبكي لهم! ثم يقول: وهذا مخالف لما رواه المفيد في (الإرشاد) في كيفية خروج الإمام(ع) ومخالف لزيّه بل ان تلك التفاصيل من زيّ الجبابرة! والملوك لا أئمة أهل البيت(ع).

ثالثاً: ما رواه الدربندي أيضاً من جمع حبيب أصحابه وجمع أبي الفضل بني هاشم وخطابهما في أصحابهما يتواطأون على السبق إلى القتال وأن زينب(ع) سمعت ذلك وأخبرت أخاها إلى آخره.

رابعاً: ما يروونه أن الإمام الحسين(ع) أتى إلى ابنه الإمام السجاد(ع) بعد مقتل أنصاره وبني هاشم فسأله عنهم فأخبره بهم. وهو صريح في عدم علمه حتى سأله وهو باطل.

خامساً: خبر طلبه(ع) فرسه للركوب ومجيء زينب به له وحديثها له

بوصية أمّها الزهراء. وقد جاء في المقاتل المعتمدة: أنّه في صباح يوم عاشوراء طلب فرس رسول الله المرتجز فركبه بعد خطبته على ظهر بعير، فلماذا يطلب بعده فرساً غيره؟ وقد أمر عمر بن سعد بطلبه قائلاً لهم: اطلبوه فإنّه من جياد خيل رسول الله.

سادساً: ما يذكرون من أن زينب رأته يجود بنفسه فرمت بنفسها عليه وهي تقول: أنت أخي، أنت رجاؤنا، أنت كهفنا، أنت حمانا؛ فرمقها بطرفه وقال لها: أخيّه ارجعي إلى الخيمة فقد كسرت قلبي وزدت كربي. (ويعلم منه أنه لم يعدّ هذا ممّا يجوز من لسان الحال) ولعلّه لما فيه من مجيئها إليه وهو يجود بنفسه ووقوعها عليه وأمره لها بالرجوع إلى الخيمة، وهذا ليس من لسان الحال، بل هو إخبار عنهما بفعل لم يفعلاه ولم يكن من المناسب أن يقولاه.

سابعاً: ما يروونه عن أبي‌حمزة الثمالي أنّه أتى دار الإمام السجاد، وطرق الباب فخرجت إليه جارية فلمّا علمت أنه أبوحمزة حمدت الله لوصوله لعلّه يسلّي علي بن الحسين، إذ أنه أغمي عليه اليوم مرّتين، فدخل وصبّره بقوله: سيّدي أن القتل لكم عادة وكرامتكم من الله الشهادة ولقد قتل جدّك وعمّك وأبوك! فصدّقه الإمام وقال: لكن لم يكن فينا الأسر، ثم نقل له تفاصيل من كيفية سبيهم وأسرهم ولا أصل له.

ثامناً: ما يرسلونه عن هشام بن الحكم أنه لما كان الإمام الصادق ببغداد كان عليّ أن أحضر كلّ يوم لديه وإلّا كان يسألني عن غيابي عنه،

فدعاني يوماً بعض الشيعة إلى مجلس عزاء جدّه الحسين عليه السلام فاعتذرت بضرورة الحضور لدى الإمام إلى أن يقول: فحضرت المجلس ولم اذهب إلى الإمام إلا غداً، فسألني وأصرّ وكرّر فأخبرته فقال: أتزعم أنّي ما حضرت عندكم؟ قلت: لم أشاهدكم هناك، فقال: حينما خرجت من الحجرة ألم تر شيئاً أو ثوباً عند الأحذية؟ قلت: نعم ثوباً مطروحاً هناك، قال: أنا كنت ذلك الثوب، الخ.

وفي التنبيه الرابع تعرض المحدث النوري رحمه الله إلى بعض ما يجزئ هؤلاء على هذه المسامحة، ومنه أخبار التسامح التي تؤدي ما معناه: من بلغه شيء من الثواب فعمل به كان له أجره، ولهذا فقد جرت سيرة العلماء في مؤلفاتهم على نقل الأخبار الضعيفة وتأليف الروايات غير الصحيحة في أبواب الفضائل والقصص والمصائب، والمسامحة في هكذا أمور ولا سيما المصائب، فمهما كان الخبر فيها ضعيفاً لكن بمقتضى تلك الأخبار المعتبرة وسيرة العلماء المعلومة يجوز التسامح في نقلها ولا حرج فيها على القارئ والسامع بل يبلغ به الثواب المذخور له.

ثم يقول: وهذا الكلام إن تمّ فإنّما يتم في موارد سيرة العلماء لا على وجه الكلّية، حتى يشفع لحال هؤلاء القرّاء الذين نحن بذكرهم، فلا يصح لهم أن يتمسكوا به، إذ أن هذا الكلام بهذا البيان مبنيّ على مغالطة سنكشف عنها القناع فلا تعالج داء هؤلاء ولا تصلح ما أفسدوه، ولتوضيح ذلك يقول:

لما بعد عهد العلماء العظام عن عصر الأئمة الكرام والرواة المحدثين القريبين منهم عليهم السلام، وتلاشت الإشارات التي كان يتميز بها الحديث السليم؛ عن السقيم والراوي الصادق عن الكاذب، اضطرّوا أن يضعوا ممّا بقي من تلك المقاييس ميزاناً بقدر الميسور فنوّعوا الأحاديث به إلى أنواع.

الأوّل: الصحيح، وهو الخبر الذي يكون كلّ رواته عدول الإمامية الاثني عشرية.

الثاني: الحسن، وهو الخبر الذي يكون كلّ أو بعض رواته شيعة ممدوحين غير مصرّح بعدالتهم.

الثالث: الموثق، وهو الخبر الذي يكون كلّ أو بعض رواته عدولاً غير إماميين من أهل الخلاف والزيديّة والكيسانية والواقفية والفطحية والناووسية.

الرابع: الضعيف، وهو الخبر الذي يكون كلّ أو بعض رواته من الفسقة أو مجهولي الحال أو غير مذكورين في كتب التراجم والرجال، أو يكون الخبر مرسلاً بلا سند أو ناقصاً من أوّله أو وسطه أو آخره.

فبعض العلماء اقتصر في الدليل لإثبات الواجب والحرام في أحكام الإسلام على الصحيح فحسب، وأضاف بعضهم إليه الحسن، وبعضهم أضاف إليهما الموثق، وبعضهم أضاف إليها القسم الرابع شريطة أن يكون العلماء قد عملوا به فيقوى ضعفه بعملهم ويجبر كسره

بموافقتهم له.

وأما في غير الواجب والحرام: فمشهور العلماء على العمل بالضعيف، حتى لو لم يكن له جابر من عمل العلماء الأقدمين؛ فهم يسيرون على هذا في المستحبات والمكروهات، وكذلك في أبواب الفضائل والمصائب والقصص.

ولكنا إذا تأملنا في سيرتهم ونظرنا في موارد عملهم علمنا أن ما نُسب إليهم منه صحيح قد صرّحوا هم به؛ ولكنه ليس على إطلاقه وعمومه المتوهم من كلامهم في بادئ النظر: بأن ينقلوا ويعملوا بأخبار أي كتاب يصلهم، سواء عرفوا صاحبه أو لا، وكان مؤلفه ممّن يكتسب من الضعفاء أو لا، ورأوا فيه الكذب الواضح أو لا، فحاشاهم أن يكون لهذا عندهم هكذا إطلاق أو عموم قولاً أو عملاً.

بل إنّ بناءهم وسيرتهم إنّما هو على القانون العملي الذي وصلنا من الشارع المقدس وهو: أنّه لا يجوز النقل إلّا عن ثقة، سواء كان نقلاً قولياً أو كتابياً، والمراد من الثقة هو المتحرز عن الكذب، بل الحائز على ملكة الصدق، ولا يكون مخلطاً كثير النسيان والسهو غير ضابط لما يرويه. فإذا سمعوا أو رأوا حديثاً في كتاب فان كان كلّ رواته متصفين بالأوصاف المذكورة كان حجّة شرعية ودليلاً فقهياً يعملون به في جميع الموارد. أما إن كان كلّ رواته أو بعضهم مجهولين أو مهملين أو غير متصفين بتلك الأوصاف فكلّ هذا من الضعف، وهذا هو مورد إذنهم في العمل به أبواب

الفضائل والمصائب.

فعُلم: إنّ العلماء لم يكونوا ينقلون خبراً إلّا عمّن اطمأنوا إلى صدقه، ولم يأخذوا خبراً إلّا من كتاب هكذا رجل. وهذا هو الضعيف الذي يقال إنّهم يتسامحون فيه في المستحبات والمكروهات.

والحاصل: أن العلماء لم يكونوا يأخذون أو ينقلون أو يستكتبون خبراً من كتاب أو راوٍ إلّا بعد أن يطمئنوا الى وثاقته، وأن لا يكون الخبر من جهته مردوداً، ومن هنا لم يكن العلماء الصالحون العدول لينقلوا خبراً من كتاب لا يعرفون صاحبه، وكذلك لا يستخرجون خبراً من كتاب يعرفون مؤلفه بعدم المبالاة بالتفريق بين الخبر الموهون وغيره.

وبالجملة: فهناك فرق ظاهر بين الأخبار الموهونة وبين الضعيفة منها، فربّ خبر ضعيف لا يكون موهوناً، بل هو في غاية الاعتبار بلحاظ بعض قرائن الصدق والصحة، كأكثر مرسلات (الكافي) وكثير من مرسلات أخبار (كتاب من لا يحضره الفقيه) للصدوق (والنهاية) للشيخ الطوسي‌ﷺ والتي هي في عداد الأخبار الضعيفة وكذلك أخبار كتب كثير من المشايخ المعتمدين كابن شهرآشوب والقطب الراوندي وابن طاووس وأضرابهم، التي هي من قسم الضعاف أيضاً ولكنها ليست من الموهون. والنقل عنها جائز يأذن فيه الفقهاء ولا كلام في ذلك.

وإنّما الكلام في الأخبار الموهونة والكتب غير المعتمدة التي لم يعتمد عليها العلماء السابقون، حتى مثل العلامة المجلسي‌ﷺ ككتاب

(روضة الشهداء) للكاشفي (والمنتخب) للشيخ الطريحي المشتملين على الأخبار الموهونة كقتل عبدالعظيم الحسني، وعرس القاسم، وقصة زعفر الجني، وقصة زبيدة، وشهربانويه، والقاسم المثنى بن القاسم بالري مع اتفاق المؤرخين على أنه غلام لم يبلغ الحلم وأنه لم يعقب .ويزيد في وهن الخبر خلافه للأخبار المعتبرة أو العادة المعقولة.

ومن ذلك خبر حضور أبي الفضل عليه السلام في وقعة صفين مع أنه لم يكن حاضراً فيها أبداً إلّا ما رواه الخوارزمي من قصة الدرع، وأعجب من ذلك ما ينقلونه من استسقاء الحسين عليه السلام في مسجد الكوفة وأميرالمؤمنين عليه السلام يخطب فجاء إليه أبو الفضل بالماء مع أنّ الحسين عليه السلام إذ ذاك كان عمره أكثر من ثلاثين عاماً. ومن ذلك قصة فاطمة بنت الحسين بالمدينة حيث بقيت هناك لمرضها.

ثم يقول المؤلف: ونحن نختم هذا الفصل بذكر فروع:

الفرع الأول: روى الشيخ أبو علي ابن الشيخ الطوسي في أماليه مرسلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال، ما معناه: (من روى عني حديثاً وهو يعلم أنه حديث كذب فهو أحد الكذّابين).

وروى المجلسي هذا في بحاره، ثم علّق عليه يقول: يدل هذا الخبر على عدم جواز نقل خبر يعلم بكذبه، وإن كان يسنده الى راويه.

وقال الشيخ الأنصاري في رسالة في قاعدة التسامح في الفرع: ولا يبعد عدم الجواز إلّا مع بيان كونها كاذبة.

وكذلك قال الشيخ النوري: الظاهر أن حكم هذا هي الحرمة، إذ لا فرق في حكم العقل بقبح الكذب بين ذلك وبين الكذب الذي يفتريه هو ويختلقه.

أما لو كان يبين كذبه، أو كان معلوماً للسامعين، فظاهر الشيخ الأنصاري في رسالة في قاعدة التسامح جوازه، وإن كان مذموماً بل فيه شبهة حرمة كما قال به الشيخ المجلسي في كتابه (عين الحياة في النصائح والموعظات) في شرح وصايا النبي لأبي ذر ﷺ ومال إليه الشيخ النوري.

الفرع الثاني: عندما تجب إقامة أو قراءة تعزية الإمام الحسين ﷺ، فعلى المكلف (صاحب المجلس) أن يلتفت الى تكليفه، بكون العمل له موافقاً لقانون الشرع الشريف، فلا يدعو قارئاً معروفاً بالكذب عند أهل الدين والخبرة ليقرأ أخباراً كاذبة فيبدل الطاعة بالمعصية والثواب بالعقاب. وقد يكون بعض القراءات من المصاديق المتشابهة، فعلى المتدين أن يعمل بالاحتياط، ولا سيما إذا كان ذلك نذراً أو وقفاً أو وصية.

الفهرس التفصيلي

مقدمة الهيئة العلمية للمؤتمر

١ـ الولاء والبراءة في القرآن الكريم / محمد مهدي الآصفي

المقدمة ٣

كيف يكون الولاء؟ ٦

١ ـ الطاعة والانقياد والتسليم ٦

٢ ـ الحب والاخلاص لله سبحانه وتعالى ٧

٣ ـ النصرة لله ولرسوله وللمؤمنين ٨

ضرورة الممارسة الفعلية للحاكمية ١٠

معنى البراءة ١٢

الولي والإمام ١٤

الولي امتداد للمحور الإلهي ١٦

ضرورة توحيد الولاء ١٧

الله تعالى وحده هو مصدر الولاية والحاكمية والسلطان ١٩

دور الولاية وأهميتها في حياة الأُمّة ٢١

الإنسان بين محوري «الولاية» و «الطاغوت» ٢٤

خصائص الصراع بين محوري «الولاية» و «الطاغوت» ٢٥

واقعة الطف محكّ لمعنى «الولاء» و «البراءة» ٣٢

٢ـ الولاء والبراءة / محمد مهدي الآصفي

مشاهد الولاء في زيارة وارث ٤٥
المشهد الأوّل، التسليم ٤٦
المشهد الثاني، الشهادة ٤٧
المشهد الثالث، الموقف ٥١
البراءة هي الوجه الآخر للولاية ٥٤
الطوائف الملعونة ٥٩
ما تفعله الصراعات الحضارية بالناس ٦٣
يوم الفرقان الأوّل ٦٤
يوم الفرقان الثاني ٦٦
يوم الفرقان الثالث ٦٧

٣ـ عزّ الأمة وكرامتها في أهداف الثورة الحسينية / محمد مهدي الآصفي

الثورة الحسينية رمز العزّة والكرامة للأُمّة الإسلامية ٩٥
١ ـ تحرير إرادة الأُمّة ١٠٣
٢ ـ سلب الشرعية من النظام ١١٥

٤ـ الثوابت الأربعة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام / محمد مهدي الآصفي

المقدمة ١٢٥
١ ـ حتميّة الشهادة ١٢٦
٢ ـ حتميّة الفتح ١٣٠
٣ ـ العلاقة بين الفتح والشهادة ١٣٦
٤ ـ إنّ هذا الفتح لن يتكرر في التاريخ ١٣٧

٥ـ خطب الحسين عليه السلام في كربلاء / محمّد مهدي الآصفي

١ ـ حالة الدنيا في عصر الإمام عليه السلام ١٤٤
٢ ـ إعراض الناس عن الحقّ وإقبالهم على الباطل ١٤٩
٣ ـ العزوف عن الدنيا والشوق إلى لقاء الله ١٥٠

٦ ـ تأملات في الخطاب الحسيني / محمّد مهدي الآصفي

أولاً ـ تأمّلات في الخطاب الحسيني بمكّة عشيّة مغادرته إلى العراق ١٥٥
١ ـ ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته ١٥٦
ـ مقارنة بين الحرّ الرياحي وعبيدالله بن الحر الجعفي ١٥٧
٢ ـ باذلاً ١٥٩
٣ ـ فينا ١٦١
٤ ـ موطّناً على لقاء الله نفسه ١٦٣
ـ التوطين ١٦٥
ـ لقاء الله ١٦٧
٥ ـ فليرحل ١٧٠
ثانياً: تأملات في الخطاب الحسيني يوم عاشوراء ١٨١
١ ـ سللتم علينا سيفاً في أيمانكم ١٨١
٢ ـ وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوّنا وعدوّكم ١٨٥
٣ ـ فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم ١٨٦
٤ ـ بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم ١٨٨
٥ ـ ويحكم، أهؤلاء تعضدون وعنّا تتخاذلون؟ ١٩٠
٦ ـ يا عبيد الأمة وشذّاذ الآفاق (الأحزاب) ١٩١
٧ ـ فسُحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشذّاذ الأحزاب ١٩٢
٨ ـ غدر قديم وشجت عليه أصولكم ١٩٣

٧ـ الاستماتة والجزع من الموت في ساحة عاشوراء / محمد مهدي الآصفي

مسألة الموت في المسيرة الحسينية ١٩٩
كيف يواجه الناس الموت؟ ٢٠١
الجزع من الموت ٢٠٢
أسباب الجزع من الموت ٢٠٣
الموقف ٢٠٥
انقلاب اللاموقف إلى الموقف المضاد ٢٠٦
سللتم علينا سيفاً في ايمانكم ٢٠٧
آخر مراحل الردّة ٢٠٨
عودة الانسجام في الطرف المعاكس والانقلاب على الأعقاب ٢٠٩
الأطوار الثلاثة في حياة الإنسان ٢١٠
ـ الحالة الأولى ٢١٠
ـ الحالة الثانية ٢١١
ـ الحالة الثالثة ٢١١
آثار ونتائج الجزع من الموت في المجتمع ٢١٣
المناهج التربوية لمكافحة هذه الحالة ٢١٤
مشهد من مشاهد الاستماتة في الطف ٢١٦
ـ جواب أهل بيته ٢١٧
ـ جواب أصحابه ٢١٨

٨ـ سنة التعميم في القرآن الكريم وتطبيقاتها في ثورة الإمام الحسين عليه السلام / محمد مهدي الآصفي

شأن نزول الآيات ٢٢٣
دلالة الآيات على سنّة التعميم ٢٢٤

عامل التعميم ٢٢٦
ـ الإشراك بـ (الرضا) ٢٢٨
ـ المشاركة في التاريخ بالرضا والسخط ٢٢٩
ـ كسب الأمة وكسب الفرد ٢٣٠
موارد التعميم ٢٣٣
١ ـ التعميم في الإدانة والمسؤولية والعقوبة ٢٣٣
٢ ـ التعميم في الحجّة ٢٣٥
٣ ـ التعميم في الثواب ٢٣٦
٤ ـ التعميم في نسبته في العمل ٢٣٩
٥ ـ التعميم في الشهود والحضور ٢٤٠
٦ ـ التعميم في النتائج والسنن الإلهية في المجتمع والتاريخ ٢٤٢
٧ ـ التعميم في النتائج والسنن الإلهية في نفس الإنسان ٢٤٤
٨ ـ تعميم اللعن والبراءة ٢٤٥
اللعن والبراءة ٢٤٦
الطوائف الملعونة في زيارة (وارث) ٢٤٨
عاشوراء في خارطة الولاء والبراءة ٢٤٩
الولاء والبراءة بالموقف والعمل وليس بالنيّة ٢٥٢
الرضا الضحل والرضا العميق ٢٥٤

٩ ـ وارث الأنبياء / محمد مهدي الآصفي

الوراثة ٢٥٩
الوراثة البايولوجية ٢٥٩
الوراثة الحضارية ٢٦٠

التأريخ الحضاري للإنسان ٢٦٠
فالإنسان مجموعة من المواريث الحضارية التي ينقلها كلّ جيل إلى ٢٦٠
المواريث الحضارية بين الإسلام والجاهلية ٢٦١
الحسين عليه السلام وارث الأنبياء ٢٦٢
الشجرة الخبيثة والشجرة الطيّبة في كتاب الله ٢٦٣
سرّ القوة والثبات في الشجرة الطيّبة ٢٦٤
لماذا التأكيد لمفهوم الوارث في زيارة الحسين عليه السلام؟ ٢٦٥
آلية الارتباط ومادة الارتباط ٢٦٨

١٠ ـ يوم عاشوراء في اللغة والتاريخ والحديث / محمدهادي اليوسفي الغروي
.... ٢٧٥

١١ ـ دراسة حول صوم يوم عاشوراء / نجم الدين الطبسي
عاشوراء في اللغة ٢٨٩
عاشوراء وجذورها التأريخية ٢٨٩
حكم صوم عاشوراء ٢٩٠
تفصيل البحث في الروايات ٢٩١
روايات الجواز ٢٩٥
الأحاديث من طريق السنّة ٢٩٧
التعليقات العامّة على الروايات ٣٠٠
آراء الفقهاء في صوم عاشوراء ٣٠١
نص بعض الكلمات ٣٠٣
موقف الأيادي الأثيمة من عاشوراء ٣٠٥
موقف أهل البيت عليهم السلام ٣٠٦

كيف يجتمع النسيء مع صوم عاشوراء؟ ٣٠٧
عاشوراء عيد الأمويين ٣٠٧
تصريحات للمؤرّخين ٣٠٨

١٢ـ تبديل الإحرام إلى العمرة بين الواقع والخيال / نجم الدين الطبسي

تبديل الإحرام إلى العمرة بين الواقع والخيال ٣١٣
النصوص التاريخيّة ٣١٥
الروايات ٣١٦
كلمات الفقهاء والمؤرّخين ٣١٩
المؤيّدات للقول بعدم التبديل ٣٢٠

١٣ـ عرض وتلخيص لكتاب «اللؤلؤ والمرجان» في شروط خطباء المنبر الحسيني / محمّدهادي اليوسفي الغروي

.... ٣٢٥
الفهرس التفصيلي ٣٦١

المجمع العالمي لأهل البيت

طهران - شارع الشهيد نجات اللهي - الزقاق رقم ٢ - مبنى رقم ١٥

هاتف: ٨٩٠٧٢٨٩ فاكس: ٨٨٩٣٠٦١

www.ahl-ul-bait.org

ISBN: 964-7756-33-X